



<http://www.masaha.org>

الأغاني

الجزء العاشر

تأليف

ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



<http://www.masaha.org>

الجزء العاشر

مقدمة التحقيق

بيان حول الجزء العاشر

بحمد الله و حسن توفيقه، تمّ هذا الجزء بعد مقابلته بأصوله المخطوطة و المطبوعة، و بعد تصحيح ما وقّنا له، و ضبط ما ينبغي ضبطه من لغة و أسماء، و تحرّي وجه الصواب جهد الطاقة فيما وضعناه من شروح و تعليقات.

و الأصول التي اعتمدنا عليها في المراجعة هي الأصول التي اعتمدنا عليها في مراجعة الأجزاء السابقة، و قد تقدّم وصف هذه الأصول جميعا في تصدير الجزء الأول. و تقدّم في هذا التصدير أن النسخة التي اصطلحنا على أن نرّمز لها بحرف «أ» مكتوبة بخطوط مختلفة.

و المجلد الذي راجعنا عليه في هذا الموضوع من هذه النسخة مكتوب بالخط المغربي، كتبه-كما هو وارد في آخر صفحة منه-بشعر الجزائر محمد بن محمد المدعو السلاوي الحسني الفاسي المنشأ و الدار في أواخر جمادي الثانية من سنة ست و تسعين و مائة و ألف هجرية. و هو أكبر حجما من سائر مجلدات هذه النسخة؛ إذ يبلغ طول صفحة 31 سنتيمترا، و عرضها 20 و طول ما رسم من الكتابة في الصحف 22 بعرض 13 و في كل صفحة 29 سطرا. أما سائر الأجزاء فهي دونه في الحجم و في عدد السطور. و أوّل هذا المجلد محلي و مجدول بالذهب، و يقع في 303 ورقة و باقي الصحف مجدول بالمداد الأحمر.

و يبتدئ هذا المجلد بأخبار عنتر بن شدّاد العبسي التي تقع في أوّل صفحة 237 من الجزء الثامن من هذه الطبعة، و ينتهي بأخبار أبي زيد و تقع في الجزء الثاني عشر من هذه الطبعة.

و هذا الاختلاف بين هذا المجلد و سائر المجلدات يدل على أنه ليس من أسفار النسخة التي في دار الكتب المصرية و المرقومة برقم 1318 أدب، و إنما جمع معها و سلك في رقمها. و في آخره ما يدل على ذلك صراحة إذ ورد فيه: «تم السفر الثالث من كتاب الأغاني...» و هذا السفر يصل إلى قريب من نصف الكتاب مع أن هذه النسخة تقع في أربعة عشر مجلدا كما قلنا في وصفها في تصدير الكتاب. و واضح من هذا أن هذا

المجلد لا بد أن يكون جزءاً من نسخة أخرى لا تعدو أسفارها ستة أو سبعة على الأكثر.

و قد اطلع على هذا المجلد كما اطلع على سائر مجلدات هذه النسخة الأستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ حسن بن محمد العطار من جلة العلماء و الأدباء في القرن الثالث عشر الهجري.

و قد وضعت لهذا الجزء فهرس كاملة كالأجزاء السابقة، غير أنا توسعنا في فهرس هذا الجزء عند ذكر أسماء رجال السند؛ إذ لم نكتف بذكر رقم أو رقمين لكل رجل بل أثبتنا كل أرقام الراوي إذا اختلف من روى عنهم أو من رووا عنه، ليكون ذلك مرجعاً للرجال الذين روى عنهم أبو الفرج أخباره التي ذكرها في كتابه.

تتمة التراجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* <الجزء العاشر من كتاب الأغاني>

1- أخبار دريد بن الصّمة و نسبه

نسبه:

هو دريد بن الصّمة. و اسم الصّمة، فيما ذكر أبو عمرو، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقة، و قيل علقمة، بن خزاعة بن غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن. و أما أبو عبيدة فقال: هو دريد بن الصّمة، و اسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقة و لم يذكر معاوية. و قال ابن سلام: الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة.

صفاته:

و دريد بن الصّمة فارس شجاع شاعر فحل، و جعله محمد بن سلام أوّل شعراء الفرسان. و قد كان أطول الفرسان الشعراء غزوا، و بعدهم أثرا، و أكثرهم ظفرا، و أيمنهم نقيبة عند العرب، و أشعرهم دريد[1] بن الصّمة.

قتل يوم حنين:

و قال أبو عبيدة: كان دريد بن الصّمة سيّد بني جشم و فارسهم و قائدهم، و كان مظفّرا ميمون النّقيبة، و غزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها، و أدرك/الإسلام فلم يسلم، و خرج مع قومه في يوم حنين مظاهرا للمشركين، و لا فضل فيه للحرب، و إنّما أخرجوه تيمّنا به و ليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته، و خالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دريد يومئذ على شركه. و خبره يأتي بعد هذا.

إخوته:

و كان لدريد أخوة و هم عبد الله الذي قتله غطفان، و عبد يغوث قتله بنو مرّة، و قيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، و خالد قتله بنو الحارث بن كعب، أمّهم جميعا ريحانة بنت معد يكرب الزبيديّ أخت عمرو بن معد يكرب كان الصّمة سبها ثم تزوّجها فأولدها بنيه. و إيّاها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

أ من ريحانة الدّاعي السّميع # يؤرّقني و أصحابي هجوع

/إذا لم تستطع شيئا[2] فدعه # و جاوزه إلى ما تستطيع

[1] يلاحظ بأدنى تأمل أن سياق الكلام مستغن عن ذكر هذا الاسم.

[2] في «أ، ح، م»: «أمزا» .

ابنه و بنته شاعران:

و كان لدريد ابن يقال له سلمة، و كان شاعرا و هو الذي رمى أبا عامر الأشعري [1] بسهم فأصاب ركبته فقتله و ارتجز فقال: إن تسألوا عني فإني سلمه # ابن سمادير [2] لمن توسمه

أضرب بالسيف رءوس المسلمة

و كانت لدريد أيضا بنت يقال لها عمرة [و كانت] [3] شاعرة، و لها فيه مرات كثيرة.

شعره في الصبر على النوائب:

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة و أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، و أخبرني بأخبار/له مجموعة و متفرقة جماعة من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم، و أخبرني أيضا بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني و قد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصّمة حيث يقول: تقول أ لا تبكي أخاك! و قد أرى # مكان البكا لكن بنيت على الصبر

لمقتل عبد الله و الهالك الذي # على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

و عبد يغوث أو خليبي خالد # و عزّ مصابا حنو [4] قبر على قبر

أبى القتل إلا آل صمة إنهم # أبوا غيره و القدر يجري إلى القدر

فإمّا ترينا ما تزال دماؤنا # لدى واطر يشقى بها آخر الدهر

فإنا للحم السيف غير نكيرة # و نلحمه [5] حيناً و ليس بذي نكر

يغار علينا واطرين فيشتفى # بنا إن أصبنا، أو نغير على وتر

بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة # فما ينقضي إلا و نحن على شطر

و أخبرني ابن عمّار قال: حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكميث بن زيد يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصّمة، و ذكر هذه الأبيات.

يوم اللوى و مقتل أخيه عبد الله و ما رثاه به من الشعر:

قال أبو عبيدة: فأما عبد الله بن الصّمة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غطفان و معه بنو جشم و بنو نصر [1] أبو عامر الأشعري هو ابن عم

أبي موسى الأشعري، و قد كان هذا الحادث يوم حنين.

[2]سمادير اسم أم سلمة امرأة دريد بن الصمة.

[3]الزيادة عن «ح» .

[4]في «أ» : «حتى قبر» يقال: حثوت عليه التراب أحثوه حثوا و حثيته أحتية حثيا، و الياء أعلى.

[5]لحمه (من باب فتح) : أطعمه اللحم. و في «الصحاح» : «و لا تقل ألحمه و الأصمعي يقوله» .

أبناء معاوية فظفر بهم و ساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى و مضى بها. و لما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له/أخوه دريد: يا أبا فرعان-و كانت لعبد الله ثلاث كنى: أبو فرعان، و أبو ذفافة، و أبو أوفى، و كلها قد ذكرها دريد في شعره:- نشدتك الله ألا تنزل فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها، فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه[1] و ينقع نقيعه[2]، فيأكل و يطعم و يقسم البقية بين أصحابه، فبينا هم في ذلك و قد سطعت الدواخن، إذا بغبار قد ارتفع أشد من دخانهم، و إذا عبس و فزارة و أشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم[3]: انظر ما ذا ترى؟ فقال أرى قوما جعادا كأن سرايلهم قد غمست في الجادي[4] قال: تلك أشجع، ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوما كأنهم الصبيان، أسنتهم عند آذان خيلهم. /قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: أرى قوما أدمانا[5] كأنما يحملون الجبل[6] بسوادهم، يخذون[7] الأرض بأقدامهم خذاً، و يجزون رماحهم جراً، قال: تلك عبس و الموت معهم! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللوى فاقتتلوا فقتل رجل من بني قارب و هم من بني عبس عبد الله بن الصمة فتنادوا: قتل أبو ذفافة! فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئاً و جرح دريد فسقط فكفوا عنه و هم يرون أنه قتل، و استنقذوا المال و نجا من هرب. فمّر الزهدمان و هما من بني عبس، و هما زهدم و قيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة و إنما قيل لهم الزهدمان تغليبا لأشهر الاسمين عليهما، كما قيل العمران لأبي بكر و عمر رضي الله عنهما، و القمران للشمس و القمر. قال دريد: فسمعت زهدما العبسي يقول لكردم الفزاريّ إني لأحسب دريدا حيا/فانزل فأجهز عليه، قال: قد مات، قال: انزل فانظر إلى سبته[8] هل ترمّز؟ قال دريد: فسددت من حنارها[9] أي من شرجها، قال فنظر فقال: هيهات، أي قد مات، فولى عني، قال و مال بالرجّ في شرح دريد فطعنه فيه فسأل دم كان قد احتقن في جوفه، قال دريد فعرفت الخفة حينئذ فأمهلت، حتى إذا كان الليل مشيت و أنا ضعيف قد نرفني[10] الدم حتى ما أكاد أبصر، فجزت بجماعة تسير[11] فدخلت فيهم، ف وقعت بين عرقوبي بعير طعينة، فنفر البعير فنادت: نعوذ بالله منك، فانتسبت لها فأعلمت الحيّ بمكاني، فغسل عني الدم و زوّدت زادا و سقاء فنجوت، و زعم بعض الغطفانيّين أن المرأة كانت فزارية و أنّ الحيّ كانوا علموا بمكانه فتركوه فداوته المرأة حتى برأ و لحق بقومه، قال: ثم حجّ كردم بعد ذلك في نفر من بني عبس، فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفاً، و مرّ بهم فأنكرهم، فجعل يمشي فيهم و يسألهم من هم؟ فقال له كردم: عمّن تسأل؟ فدفعه دريد، و قال: أمّا عنك و عمّن معك فلا

أسأل أبدا، و عانقه، و أهدي إليه فرسا و سلاحا، و قال له: هذا بما فعلت بي يوم اللوى.

[1]المرباع بكسر أوله: ربع الغنيمة، و هو حظ الرئيس في الجاهلية.

[2]نقع الشيء في الماء و غيره ينقعه (من باب فتح) فهو نقيع، و مثله أنقعه. نبذه: أي اتخذ منه النبيذ.

[3]الريئة: الطليعة.

[4]الجادى: الزعفران.

[5]الأدمان: جمع آدم على مثال سودان و حمران. و الآدم من الناس: الأسمر.

[6]في ج م: «الأرض» .

[7]يخدون: يشقون.

[8]السبة بالضم: الاست. و ترمز (بحذف إحدى تاءيهما) : تضطرب و تتحرك.

[9]الحتار بالكسر: ما أحاط بالشيء كحتار الغربال و المنخل.

[10]يقال: نرف الدم فلانا فهو منزوف و نزيف أي سال منه دم كثير حتى يضعف.

[11]في «أ، م» : «قيس» .

و قال دريد يرثي أخاه عبد الله:

أرث جديد الحبل من أمّ معبد # بعاقبة [1] و أخلفت كلّ موعد
و بانث و لم أحمد إليك جوارها # و لم ترج مئاً ردة اليوم أوعد

/و هي طوبلة و فيها يقول:

أ عاذلتي كلّ امرئ و ابن أمّه # متاع كزاد الراكب المتزود
أ عاذل إن الرزء أمثال خالد [2] # و لا رزء ممّا أهلك المرء عن يد
نصحت لعارض و أصحاب عارض # و رهط بني [3] السّوداء و القوم شهدي
فقلت لهم ظنّوا [4] بألفي مدجج # سراتهم في الفارسيّ المسرّد
أمرتهم أمرّي بمنعرج اللّوى # فلم يستبينوا الرّشد إلّا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم و قد أرى # غوايتهم و أنّني [5] غير مهتد
و هل أنا إلّا من غزبة [6] إن غوت # غويت، و إن ترشد غزبة أرشد
دعاني أخي و الخيل بيني و بينه # فلما دعاني لم يجدني بقعدد [7]
تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا # فقلت أعبد الله ذلكم الردي
/فإن يك عبد الله خلّى مكانه # فلم يك وقّافا و لا طائش اليد
/و لا برما [8] إذا الرياح تناوحت # برطب العضاء و الهشيم المعصّد
نظرت إليه و الرّماح تنوشه [9] # كوقع الصّياصي في التّسيح الممدّد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبدّدت # و حتى علاني اشقر اللّون مزبد [10]

[1] بعاقبة أي بأخرة.

[2] ذكر المؤلف فيما مر إخوة دريد و ذكر منهم خالد و عبد الله. و التصريح بهذا الاسم في هذا الشعر الذي قاله دريد في رثاء أخيه عبد الله خاصة يدل على أن عبد الله و خالد و عارضا (المذكور في البيت التالي) ثلاثة أسماء لشخص واحد و قد صرح بذلك شارح الحماسة ج 2 ص 156 حيث قال: «عارض هو أخو دريد و كانت له ثلاثة أسماء عارض و عبد الله و خالد، و ثلاث كنى كان يكنى أبا أوفى و أبا ذفافة و أبا فرعان أو أبا فرغان»

[3] رهط بني السّوداء يعني بهم أصحاب أخيه عبد الله. و القوم شهدي أي شهودي.

[4]ظنوا: أي أيقنوا أو معناه ما ظنكم بألفين من الأعداء راصدين لكم يرقبونكم. و المدجج: التام السلاح، من الدجة و هي شدة الظلمة لأن الظلمة تستر كل شيء، و المدجج يستتر نفسه بالسلاح. و سراتهم: أشرفهم و سادتهم. و الفارسي المسرد عني به الدروع المتتابعة الحلق في نسجها.

[5]كذا في «ح» و «الحماسة» . و في «سائر الأصول» : «أو» .

[6]غزية: قبيلة من هوازن. و هي رهط الشاعر.

[7]القعدد كقنفذ: الجبان اللئيم القاعد عن المكارم.

[8]البرم: الضجر. و تناوحت الرياح هبت صبا مرة و شمالا مرة و جنوبا مرة، و ذلك آية الجذب. و العضاة: كل شجر يعظم و له شوك.

و الهشيم: النبت اليابس المتكسر. و المعضد: المقطع بالمعضد.

[9]تنوشه: تتناوله. و الصياصي: جمع صيصية و هي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة و اللحم.

[10]هذه رواية الأصول و فيه إقواء. و رواية «الحماسة» ،

فما رمت حتى خرقتني رماهم # و غودرت أكيو في القنا المتقصد [1]
 قتال امرئ و اسي أخاه بنفسه # و أيقن أنّ المرء غير مخلد
 صبور على وقع المصائب حافظ # من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
 في بعض هذه الأبيات غناء و هو:

صوت

تمثل عليّ عليه السّلام بشعره:

أمرتهم أمري بمنعرج اللّوى # فلم يستبينوا الرّشد إلّا ضحى الغد
 فلما عصوني كنت منهم و قد أرى # غوايتهم و أنّي غير مهتد
 و هل أنا إلّا من غزيرة إن غوت # غويت و إن ترشد غزيرة أرشد

الغناء ليحيى المكيّ ثاني ثقل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد، و ذكره إسحاق في هذه الطريقة و لم ينسبه إلى أحمد. و هذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند منصرفه من صفين.

/حدّثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ قال حدّثنا حسين بن نصر بن مزاحم قال حدّثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجاله أن عليّاً عليه السّلام لمّا اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين و تفرّقت الخوارج و قالوا له ارجع عن أمر الحكمين و تب و اعترف بأنك كفرت إذ حكمت، و لم يقبل ذلك منهم، و خالفوه و فارقوه تمثّل بقول دريد: أمرتهم أمري بمنعرج اللّوى # فلم يستبينوا الرّشد إلّا ضحى الغد

الأبيات:

أخوه عبد الله و أسماؤه و كناه:

قال أبو عبيدة: كانت لعبد الله بن الصّمة ثلاثة أسماء و ثلاث كنى: عبد الله و معبد و خالد. و يكنى أبا ذفافة و أبا فرعان و أبا أوفى.

و قال دريد:

أبا ذفافة من للخيل إذ طردت # فاضطرّها الطعن في وعث [2] و إيجاف
 يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شغلت # كلتا اليدين درورا غير وقّاف

له أفضل بيت في الصبر على النوائب:

فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست # و حتى علاني حالك اللون أسودي

قال التبريزي: و يروي أسود على الإقواء. و أسودي يريد أسوديا كما قيل في الأحمر أحمرى و في الدوّار دوّاري ثم خفت ياء النسب بحذف إحداهما.

[1]المتقصد: المتكسر.

[2]الوعث هنا: الطريق الخشن الغليظ العسر. و الإيجاف: سرعة السير.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دريد بن الصّمّة: قليل التّشكي للمصيبات حافظ # من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

عائته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها و قال شعرا:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزّبير عن أبي المهاجر، و ذكر مثله أبو عمرو الشّيبانيّ، أنّ أمّ معبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها، لأنها/رأته شديد الجزع على أخيه، فعائته على ذلك و صغرت شأن أخيه و سيّته، فطلقها و قال فيها: أرثّ جديد الحبل من أم معبد # بعاقبة و أخلفت كلّ موعد

/و بانث و لم أحمد إليك جوارها # و لم ترج منا ردّة اليوم أوغد

فقال له أمّ معبد: بئس و الله ما أثبتت عليّ يا أبا قرّة! لقد أطعمتك مادومي، و بثتّك مكتومي، و أتيتك باهلا[1] غير ذات صرار و ما استفرمت[2] قبلك إلا من حيض.

و قال أبو عبيدة في خبره: بلغ دريد بن الصّمّة أن زوجته سيّت أخاه فطلقها و ألحقها بأهلها و قال في ذلك: أعبد الله إن سيّتك عرسي # تقدّم بعض لحمي قبل بعض

إذا عرس امرئ شتمت أخاه # فليس فؤاد شأنه بحمض[3]

معاذ الله أن يشتمن رهطي # و أن يملكن إبرامي و نقضي

حارب غطفان يوم الغدير طلبا بأخيه و قال شعرا:

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال: أغار دريد بن الصّمّة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم[4] حيّا حيّا، و قتل من بني عبس ساعدة بن مرّ، و أسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مرّة بن عوف الجشميّ. فقلت بنو جشم: لو فاديناه[5]! فأبى ذلك دريد عليهم، و قتله بأخيه عبد الله، و قتل من بني فزارة رجلا يقال له حزام و إخوة له، و أصاب/جماعة من بني مرّة و من بني ثعلبة بن سعد و من أحياء غطفان، و ذلك في يوم الغدير. و في هذا اليوم و في من قتل فيه منهم يقول: تأبّد من أهله معشر # فجوّ سويقة[6] فالأصفر

[1]الباهل «في الأصل»: الناقة لإصرار عليها، تريد أنها أباحتها نفسها.

[2] كذا في «ح» ، و استفرمت المرأة: تضيقت بالفرم (بفتح أوله و إسكان ثانيه) أي عالجت ذلك الموضع منها ليضيق و يستحصف، و ربما تتعالج بحب الزبيب و نحوه تضيق به متاعها.

[3] فؤاد حمض: فاسد متغير.

[4] استقراهم: تتبعهم.

[5] فاداه: أطلقه و قبل فديته. و في «القرآن الكريم» **وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ نُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ .**

[6] تأبد: أقفر. و معشر و جو سويقة و الأصفر أسماء مواضع.

فجزع الحليف[1] إلى واسط # فذلك مبدى و ذا محضرا
 فأبلغ سليمى و ألفافها[2] # و قد يعطف النسب الأكبر
 بأئى تأرت بإخوانكم # و كنت كأئى بهم مخفر[3]
 صبحنا فزارة سمر القنا # فمهلا فزارة لا تضجروا
 و أبلغ لديك بني مازن # فكيف الوعيد و لم تقررروا
 فإن تقتلوا فتية أفردوا # أصابهم الحين أو تظفروا
 فإن حزاما لدى معرك # و أخوته حولهم أنسر
 و يوم يزيد بني ناشب # و قبل يزيدكم الأكبر
 أثرنا صريح بني ناشب # و رهط لقيط فلا تفخروا
 تجرّ الصّباع[4] بأوصالهم # و يلحقن منهم و لم يقبروا

/و يقول في ذلك أيضا دريد بن الصّمّة في قصيدة له أخرى:

جزينا بني عيس جزاء موقرا # بمقتل عبد الله يوم الدّئائب[5]
 و لو لا سواد الليل أدرك ركضنا # بذى الرّمث و الأرطى[6] عياض بن ناشب
 قتلنا بعبد الله خير لداته # ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة: أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن الصّمّة هذا
 فقال: كاد دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم. فلما بلغ المنشد قوله: و
 لو لا سواد الليل أدرك ركضنا # بذى الرّمث و الأرطى عياض بن ناشب
 /قال عبد الملك: ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حتى يدركه.

قال أبو عبيدة و قال دريد أيضا في هذه الواقعة:

قتلنا بعبد الله خير لداته # و خير شباب الناس لو ضمّ أجمعا
 ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب # منيّه أجرى[7] إليها و أوضعا
 فتى مثل متن السيف بهتر للئدى # كعالية الرّمح الرّدينيّ أروعا

[1]الجزع: منعطف الوادي. و الحليف و واسط: موضعان.

[2]ألفافها: قومها المجتمعون حولها، مفرده لف بالكسر.

[3]أخفّره: نقض عهده و غدره. و الهمزة فيه للإزالة أي أزال خفّارته
 كأشكاه إذا أزال شكواه.

[4]يشير إلى ما هو معروف عن الضيع من أنها إذا لقيت قتيلا بالعراء و ورم و انتفخ غرموله تأتيه فتركبه و تقضي حاجتها منه ثم تأكله (راجع «نهاية الأرب» ج 9 ص 274 طبع دار الكتب المصرية و «الحيوان» للجاحظ طبع مصر ج 5 ص 40) .

[5]الذئب يوم من أيام العرب المشهورة (راجع «الأغاني» ج 5 ص 63-35 طبع دار الكتب المصرية) .

[6]ذو الرمث: موضع. و الرمث و الأرطى نبتان.

[7]أجرى إليها: قصد إليها.

أغرته أمه بالاستعانة بأخواله في ثأر أخيه فأبى و قتل ذؤاب بن أسماء: و قال ابن الكلبي: قالت ريحانة بنت معد يكره لدريد بن الصّمة بعد حول من مقتل أخيه: يا بنيّ إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن بخالك و عشيرته من زبيد، فأنف من ذلك و حلف لا يكتحل و لا يدهن و لا يمسّ طيبا و لا يأكل لحما و لا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره، فغزا هذه الغزاة و جاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بفنائها، و قال: هل بلغت ما في نفسك؟! قالت: نعم متّعت بك! و روي عن ابن الكلبيّ لريحانة في هذا المعنى أبيات لم تحضرني و قد كتبت خبرها.

أخوه قيس بن الصّمة و مقتله:

و أمّا قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصّمة، قتله بنو أبي بكر بن كلاب. و كان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دماذ عن أبي عبيدة، أنه غزا في قومه بني خزاعة من بني جشم، فأغاروا على إبل لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب، فانطلقوا بها. و خرج بنو أبي بكر بن كلاب في طلبها حتى إذا دنوا منهم قال عمرو بن سفيان الكلبيّ، و كان حازما عاقلا، امكثوا، و مضى هو متنكرا حتى لقي رجلا من بني خزاعة فسلم عليه و استسقاها فسقاها و انتسب له هلاليا، فسأله عن قومه و أين مرعى إبلهم، و أعلمه أنه جاء رائدا [1] لقومه يريد مجاورتهم، فخبّره الرجل بكلّ ما أراد، فرجع إلى قومه و قد عرف بغيبته، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلاب و قتلوا قيس بن الصّمة، و ذهبوا بإبل بني خزاعة و ارتجعوا إبلهم [2]. و كان يقال لعمر بن سفيان ذو السيفين، لأنه كان يلقي الحرب و معه سيفان خوفا من أن يخونه أحدهما. و إياه عنى دريد بن الصّمة بقوله: إنّ امرأ بات عمرو بين صرمته [3] # عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرور

يا آل سفيان ما بالي و بالكمو # هل تنتهون و باقي القول مأثور؟

يا آل سفيان ما بالي و بالكمو # أنتم كبير و في الأعلام عصفور

هلاً نهيتم أخاكم عن سفاهته # إذ تشربون و غاوي الخمر مدحور؟

لا أعرفن لمة سوداء داجية # تدعو كلابا و فيها الرمح مكسور

لن تسبقوني و لو أمهلتكم [4] شرفا # عقبى إذا أبطأ الفجج [5] المخاصير [6]

خبر الحرب بين بني عامر و بني جشم و بين أسد و غطفان:

و أخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيديّ قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابيّ قال: [1] في ب، س، ح: «زائرا» و هو تحريف.

[2] في ب، س: «أموالهم» .

[3] الصرمة بكسر الصاد: القطيع من الإبل و الغنم اختلف في عدده.

[4] في ب، س: «أهملتكم» .

[5] الفحج بضم الفاء و سكون الحاء: جمع أفحج أو فحجاء، وصف من الفحج بفتح الفاء و الحاء و هو تباعد ما بين أوساط الساقين من الرجل و الدابة.

[6] المخاصير: جمع مخصور و هو الذي يشتكي خصره.

أغارت بنو عامر بن صعصعة و بنو جشم بن معاوية على أسيد و غطفان، و كان دريد بن الصَّمَّة و عمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندين[1]، فدريد على بني جشم بن معاوية، و عمرو بن سفيان على بني عامر. فقال عبد الله بن الصَّمَّة/لأخيه: إني غير معطيك الرئاسة، و لكن لي في هذا اليوم شأنًا. ثم اشترك عبد الله و شراحيل بن سفيان، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بني أسد سئين و أصاب القوم ما شاءوا. و أدرك رجل من بني جذيمة عبد الله بن الصَّمَّة فقال له عبد الله بن الصَّمَّة: ارجع فإني كنت شاركت شراحيل بن سفيان، فإن استطاع دريد فليأته و ليأخذ مالي منه. و أقام دريد في أواخر الحي فقال له عمرو: ارتحل بالناس قبل أن يأتيك الصّراخ[2]، فقال: إني أنتظر أخي عبد الله. حتى إذا أطال عليه قال له: إن أخاك قد أدرك فوارس من الحليفين يسوقون بطعنهم فقتلوه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل[3]: إن عبد الله أنبأني و لم يكذبني قط أن له شركة مع شراحيل فأدوا إلينا شركته. فقالوا له: ما شاركناه قط. فقال دريد: ما أنا بتارككم حتى أستحلفكم عند ذي الخلصة (وثن من أوثانهم). فأجابوه إلى ذلك و حلفوا، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاءوه ينشدونه الشُّرك. فقال لهم دريد: أ لم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قتل. فقالوا: ما حلفنا و جعلوا يناشدون عبد الله أن يعطيهم، فقال: لا، حتى يرضى دريد، فأبى أن يرضى فتوعدوه أن يسرقوا إليه. فقال دريد في ذلك: /

هل مثل قلبك في الأهواء معذور # و الحبّ بعد مشيب المرء مغرور

و ذكر الأبيات التي تقدّمت في الخبر قبل هذا و زاد فيها: إذا غلبتم صديقا تبطشون به # كما تهذّم في الماء الجماهير[4]

و أنتم معشر في عرفكم شنج[5] # بنخ الظهور و في الأستاه تأخير

قد علم القوم أنّي من سراتهم # إذا تقبّض في البطن المذاكير

و قد أروع سوام القوم ضاحية # بالجرد يركضها الشّعث المغاوير[6]

يحملن كلّ هجان[7] صارم ذكر[8] # و تحتهم شرّب[9] قبّ مضامير

أو عدتم إبلي كلّاً سيمنعها # بنو غزيرة لا ميل و لا صور[10]

[1]التساند: التعاضد.

[2]الصراخ: صوت الاستغاثة.

[3] بالتأمل في سياق هذه القصة يلاحظ أن هذه الكلمة زائدة.

[4] الجماهير: الرمال الكثيرة المتراكمة.

[5] العرق: الأصل. و الشنج: التقبض و التقلص، و البزخ: تقاعس الظهر عن البطن، و قيل هو خروج الصد و دخول الظهر يريد أنهم مشوهو الأجسام غير أهل للرئاسة.

[6] الجرد: جمع أجرد و هو الفرس القصير الشعر. و الشعث جمع أشعث و هو المغبر الرأس المتلبد الشعر. و المغاوير جمع مغوار و هو المقاتل الكثير الغارات.

[7] الهجان: الكريم.

[8] كذا في «ح». و في «سائر الأصول»: «كرم» .

[9] الشزب: جمع شازب، و هو الضامر اليابس، و القب: جمع أقب و هو من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن.

[10] الصور: جمع أصور و هو المائل و في ح، أ، م «و لا عور» .

أخوه عبد يغوث و مقتله و ما رثاه به:

و أمّا عبد يغوث بن الصّمّة و خبر مقتله فإنه كان ينزل بين أظهر بني الصّادر فقتلوه. قال أبو عبيدة في خبره: قتله مجمّع بن مزاحم أخو شجنة بن مزاحم و هو من بني يربوع بن غيظ بن مرّة. فقال دريد بن الصّمّة: أبلغ نعيما و أوفى إن لقيتهما # إن لم يكن كان في سمعيهما صمم

فما أخي بأخي سوء فينقصه # إذا تقارب بابن الصّادر القسم

/و لن يزال شهابا يستضاء به # يهدي المقانب [1] ما لم تهلك الصّمم [2]

عاري الأشاجع [3] معصوب بلمّته # أمر الرّعامه، في عرينه شمم

خالد بن الصمة و مقتله:

قال أبو عبيدة: أمّا قوله «أو نديمي خالد» ، فإنه يعني خالد بن الصّمّة؛ فإن بني الحارث بن كعب غزت بني جشم بن معاوية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصّمّة، و إياه عنى. و قال غير أبي عبيدة: خالد بن الحارث [4] الذي عناه دريد هو عمّه خالد بن الحارث أخو الصّمّة/بن الحارث قتله أحمس (بطن من شنوءة) ، و كان دريد بن الصّمّة أغار عليهم في قومه فظفر بهم و استاق إبلهم و أموالهم و سبى نساءهم و ملأ يديه و أيدي أصحابه، و لم يصب أحد ممّن كان معه إلا خالد بن الحارث عمّه، رماه رجل منهم بسهم فقتله؛ فقال دريد بن الصّمّة يرثيه: يا خالدا خالد الأيسار و التّادي # و خالد الرّيح إذ هبّت بصرّاد [5]

و خالد القول و الفعل المعيش به # و خالد الحرب إذ عصّت بأرراد [6]

و خالد الرّكب إذ جدّ السّفار بهم # و خالد الحيّ لّمّا ضنّ بالزاد

/و قال أبو عبيدة: قال دريد يرثي أخاه خالدا:

أميم أجدي عافي الرّزء و اجشمي # و شدّي على رزء ضلوعك و أباسي

حرام عليها أن ترى في حياتها # كمثل أبي جعد فعودي أو اجلسي

أعفّ و أجدي نائلا لعشيرة # و أكرم مخلود [7] لدى كلّ مجلس

و ألين منه صفحة لعشيرة # و خيرا أبا ضيف و خيرا لمجلس

[1] المقانب: جمع مقنب و هو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

[2] الصمم: جمع صمة و هو الشجاع. و لعله عنى قومه.

[3] الأشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف، و قيل هي عروق ظاهر الكف واحدها أشجع. و العرينين: الأنف.

[4] كذا في «الأصول» . و لعله: «خالد الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث... إلخ» .

[5] الصراد: الغيم الرقيق لا ماء فيه.

[6] كذا في أ، م، . و الأزراد: جمع زرد و هي الدرع المزرودة؛ سميت بذلك للينها و تداخل بعضها في بعض. و في «سائر الأصول» : «قصت بأوراد» . و الأوراد: جمع ورد، و الورد من معانيه القطيع من الطير و الجيش على التشبيه به.

[7] كذا في الأصول.

تقول هلال خارج من غمامة # إذا جاء يجري في شليل [1] و قونس
 يشدّ متون الأقرين بهاؤه # و يخبت نفس الشانئ المتعبس
 و ليس بمكاب [2] إذا الليل جته # نؤوم إذا ما أدلجوا في المعرس
 و لكته مدلاج ليل إذا سرى # بند [3] سراه كلّ هاد مملّس [4]

هذه رواية أبي عبيدة.

يوم ثيل:

و أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه العباس بن هشام عن
 أبيه أن خالد بن الصّمة قتل في غارة أغارتها بنو الحارث بن كعب على بني
 نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم ثيل [5]، فأصابوا ناسا من بني نصر.

و بلغ الخبر بني جشم فلحقوهم، و رئيس بني جشم يومئذ مالك بن
 حزن، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر، فأصابوا ذا القرن
 الحارثي أسيرا و فقتوا عين شهاب بن أبان الحارثي بسهم، / و قتل يومئذ
 خالد بن الصّمة و كان مع مالك بن حزن، و أصابت بنو جشم منهم ناسا، و
 كان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذ شهاب بن أبان، و لم يشهد دريد بن
 الصّمة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصّمة، و لما قدّم
 لتضرب عنقه، صاح بأوس بن الصّمة، و كان له صديقا، و لم يكن أوس
 حاضرا، فلم ينفعه ذلك و قتل. فلما قدم أوس غضب و قال: أ قتلتم رجلا
 استجار باسمي! فقال عوف بن معاوية في ذلك: نبئت أوسا بكى ذا القرن إذ
 شربا # على عكاظ بكاء غال مجهودي [6]

إني حلفت بما جمعت من نشب # و ما ذبحت على أنصابك السّود

لتبكين قتيلا منك مقتربا # إني رأيتك تبكي للأباعيد

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيبا:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي
 عبيدة، و أخبرني عبد الله بن مالك النحويّ الصّريّر قال حدّثنا محمد بن
 حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: تزوّج دريد بن الصّمة امرأة فوجده ثيبا، و كانوا
 قالوا له إنها بكر، فقام عنها قبل أن يصل إليها، / و أخذ سيفه فأقبل به إليها
 ليضربها، فتلقت أمّها لتدفعه عنها، فوقف يديها (أي جزّهما و لم يقطعهما) ،
 فنظر إليها بعد ذلك و هي معصوبة فقال: أقرّ العين أن عصبت يديها # و ما
 إن تعصبان على خضاب

[1] الشليل: الغلالة تلبس تحت الدرع. و القونس: أعلى بيضة الحديد، و قيل مقدم البيضة.

[2] المكباب: الكثير النظر إلى الأرض.

[3] يندّ: يشر، و ينفر.

[4] كذا في الأصول. و الظاهر أنها محرفة عن «عملس» و هو القوي الشديد على السفر أو القوي على السير السريع، و مثله «العمرس» .

[5] لم نجد يوما بهذا الاسم فيما راجعنا من مصادر. و في ياقوت: «ثبتل بالفتح ثم السكون ماء قرب النجاج كانت به وقعة مشهورة» .

[6] في «ج»: «مجلودي» .

فأبْقَاهُنَّ أَنْ لَهْنَ جَدًّا # وَ وَاقِيَةَ كَوَاقِيَةَ الْكَلَابِ

قالوا: يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ.

ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي:

قال أبو عبيدة و ابن الأعرابي جميعا في هذه الرواية: أسر دريد بن الصَّمَّة عياضا الثُّعلبيَّ أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم [1] عليه. ثم إن دريدا أتاه بعد ذلك يستثيبه. فقال له: ائت رحلك حتى أبعث إليك بثوابك؛ فانصرف دريد. فبعث إليه بوطب [2] نصفه لبن و نصفه بول. فغضب دريد و لم يلبث إلا قليلا حتى أغار على بني ثعلبة، و استاق إبل عياض، و أفلت عياض منه جريحا؛ فقال دريد في ذلك من قصيدة: فإن تنج يدمى عارضاك فإننا # تركنا بنيك للصباع و للرخم [3]

جزيت عياضا كفره و عقوقه # و أخرجته من المدقاة [4] اللهم

ألا هل أتاه ما ركبنا سراتهم # و ما قد عقرنا من صفي [5] و من قرم

هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدَّثنا دماز عن أبي عبيدة قال: هجا دريد بن الصَّمَّة عبد الله بن جدعان التَّيميَّ تيم قريش فقال: هل بالحوادث و الأيام من عجب # أم باهن جدعان عبد الله من كلب

است حميت [6] و هي في عكم ربته # في يوم حرّ شديد الشرّ و الهرب

إذا لقيت بني حرب و أخوتهم # لا يأكلون عطيين [7] الجلد و الأهب

لا ينكلون و لا تشوي [8] رماحهم # من الكماة ذوي الأبدان و الجيب [9]

/فاقعد بطينا مع الأقوام ما قعدوا # و إن غزوت فلا تبعد من النصب

فلو ثقفتك [10] وسط القوم ترصدني # إذا تلبّس منك العرض [11] بالحقب

[1] أنعم عليه: أطلقه.

[2] الوطب: سقاء للبن يتخذ من جلد.

[3] الرخم: (بضم الراء و سكون الخاء) : جمع رخمة (بفتح الراء و الخاء). و هي طائر أبقع على شكل النسر خلقة إلا أنه مبقع بسواد و بياض يقال له الأنوق.

[4] المدفأة: الإبل الكثيرة الأوبار و الشحوم.

[5] الصفي: الناقة الغزيرة اللبن. و القرم: الفحل.

[6]الحميت: المتين. و العكم (بكسر العين و سكون الكاف) : العدل يجعل فيه المتاع و يشد عليه بالعكام أي الحبل. و يلاحظ أن هذا الشطر غير واضح.

[7]العطين: الجلد المدبوغ.

[8]تشوي: تصيب الشوى و لا تقتل. و الشوى: الأطراف.

[9]الأبدان: جمع بدن و هو هنا الدرع القصيرة. و الجيب: جمع جبة و هي هنا الدرع أيضا.

[10]ثقفه: صادفه.

[11]العرض هنا: الجسد، و الحقب شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلبي تشده على وسطها. يريد إذا صادفتك وسط القوم لبست

و ما سمعت بصقر ظلّ يرصده # من قبل هذا بجنب المرح [1] من خرب [2]

قال: فلقية عبد الله بن جدعان بعكاظ فحيّاه و قال له: هل تعرفني يا دريد؟ قال لا. قال: فلم هجوتني؟ قال: و من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جدعان. قال: هجوتك لأنك كنت امرأ كريما، فأحببت أن أضع شعري موضعه. فقال له عبد الله: لئن كنت هجوت لقد مدحت؛ و كساه و حملة على ناقة برحلهما. فقال دريد يمدحه: إليك ابن جدعان أعملتها # مخففة للسرى و التّصب

فلا خفض حتى تلاقي امرأ # جواد الرّضا و حليم الغضب

و جلدا إذا الحرب مرّت به # يعين عليها بجزل الحطب

رحلت البلاد فما إن أرى # شبيه ابن جدعان وسط العرب

سوى ملك شامخ ملكه # له البحر يجري و عين الذهب

تغزل في الخنساء و خطبها فامتنعت و تهاجيا:

/أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفا عليه لم يتجاوزه إلى غيره، و حدّثني حبيب بن نصر المهلبيّ و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبة عن الأصمعيّ و أبي عبيدة، و أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عليّ بن المغيرة عن أبي عبيدة، و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان/قال حدّثني أبو بكر العامريّ قال حدّثني ابن نوبة [3] عن أبي عمرو الشيبانيّ، و أخبرني عمّي قال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ [4]، و قد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضوع، أن دريد بن الصّمّة مرّ بالخنساء بنت عمرو بن الشّريد، و هي تهنا بعيرا لها و قد تبدّلت حتى فرغت منه، ثم نصت عنها ثيابها فاغتسلت و دريد بن الصّمّة يراها و هي لا تشعر به فأعجبته؛ فانصرف إلى رحله و أنشأ يقول: حيّوا تماضر و اربعوا صحبي # وقفوا فإن وقوفكم حسبي

أخناس قد هام الفؤاد بكم # و أصابه تيل من الحبّ

ما إن رأيت و لا سمعت به # كالיום طالي أينق جرب

متبدّلا تبدو محاسنه # يضع الهناء مواضع الثّقب [5]

متحسّرا نضح الهناء به # نضح العبير بريطة العصب [6]

لبسة النساء و استخفيت.

[1] كذا في «الأصول» . و لعله «المرخ» و هو شجر سريع الورى
يقتدح به.

[2] الخرب: ذكر الحباري، و قيل الحباري كلها.

[3] الذي في ج، أ: «... و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال
حدّثني أبو نوبة... إلخ» .

[4] في أ، م هنا زيادة، هي: «و أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو
بكر العامري عن ابن الأعرابي» .

[5] الهناء: القطران. و النقب (بضم النون و تسكين القاف أو فتحها) :
القطع المتفرقة من الجرب. و الواحدة نقبة، و قيل هي أول ما يبدو من
الجرب.

[6] في ب، س: «العطب» . و العطب (بالضم و بضمّتين) : القطن.

فسليهم عني خناس إذا # عضّ الجميع الخطب ما خطبي

-قالوا: و تماضر اسمها. و الخنساء لقب غلب عليها- فلما أصبح غدا على أبيها[1] فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحبا بك أبا قرّة! إنك للكريم لا يطعن في حسبه، و السيّد لا يردّ عن حاجته، و الفحل لا يقرع أنفه. - و قال أبو عبيدة خاصّة مكان «لا يطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه» [2]- و لكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، و أنا ذا كرك لها/ و هي فاعلة. ثم دخل إليها و قال لها: يا خنساء، أتاك فارس هوازن و سيّد بني جشم دريد بن الصّمّة يخطبك و هو من تعلمين، و دريد يسمع قولهما. فقالت: يا أبت، أ تراني تاركة بني عمّي مثل عوالي الرّماح و ناكحة شيخ بني جشم هامة[3] اليوم أو غدا!. فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرّة قد امتنعت، و لعلها أن تجيب فيما بعد.

فقال: قد سمعت قولكما، و انصرف. هذه رواية من ذكرت. و قال ابن الكلبيّ: قالت لأبيها: أنظرني حتى أشاور نفسي، ثم بعثت خلف دريد وليدة فقالت لها: انظري دريدا إذا بال، فإن وجدت بوله قد خرق الأرض ففيه بقيّة، و إن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه. فاتبّعت وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. و عاود دريد أباه فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة؛ ثم أنشأت تقول: أ تخطبني، هبلت، على دريد # و قد أطردت[4] سيّد آل بدر!

معاذ الله ينكحني حبركي[5] # يقال أبوه من جشم بن بكر

/و لو أمسيت في جشم هديّا[6] # لقد أمسيت في دنس و فقر

فغضب دريد من قولها و قال يهجوها:

وقاك الله يا ابنة آل عمرو # من الفتيان أمثالي و نفسي

فلا تلدي و لا ينكحك مثلي # إذا ما ليلة طرقت بنحس

/لقد علم المراضع في جمادى # إذا استعجلن عن حرّ [7] بنهس

بأني لا أبيت بغير لحم # و أبدأ بالأرامل حين أمسي

و أئني لا ينال الحيّ ضيفي[8] # و لا جاري يبيت خبيث نفس

إذا عقب القدور تكلّ مالاً[9] # تحت حلائل الأبرام عرسي

[1] في «الأمالي» ج 2 ص 161 طبع دار الكتب المصرية أنه خطبها إلى أخيها معاوية.

[2] كذا في الأصول. و لعلها: «في غيبة» بالغين المعجمة.

[3] يقال: فلان هامة اليوم أو غد؛ إذا شاخ و أشرف على الموت.

[4] أطردت: أمرت بطرده.

[5] الحبركى: الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين، و الأثى منه حبركاة. و قد ورد هذا البيت في «اللسان» هكذا: و لست بمرضع ثديي
حبركي # قصير الشبر من چشم بن بكر

[6] الهدى: العروس.

[7] الحز: القطع. و النهس: تعرّق ما على العظم و انتزاعه بمقدم
الأسنان.

[8] رواية «الأمالي»: :

و أني لا يهر الضيف كلبى

أي لا ينبح في وجهه لأنسه به.

[9] كذا في «ح». و في «سائر الأصول»: «تكن ملأى» و هو تحريف.

و رواية هذا الشطر في «الأمالي» و «اللسان» (في مادة برم): «إذا

و أصفر من قذاح التّبع صلب # خفيّ الوسم في ضرس[1] و لمس
دفعت إلى المفيض[2] إذا استقلّوا # على الرّكبات[3] مطلع كلّ شمس
فإن أكدي[4] فتامكة تؤدّي[5] # و إن أربى فإني غير نكس
و تزعم أنني شيخ كبير # و هل خبّرتها أني ابن أمس
/تريد شرنبث[6] القدمين شثنا # يبادر بالجدائر كلّ كرس
و ما قصرت يدي عن عظم أمر # أهمّ به و لا سهمي بنكس
و ما أنا بالمزجّي[7] حين يسمو # عظيم في الأمور و لا بوهس

قال: فليل للخنساء: أ لا تجيبينه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أردّه و أهجوه.

آخر أيامه و شعره بعد أن أسن و ضعف جسمه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: لما أسنّ دريد جعل له قومه بيتا مفردا عن البيوت، و وگلوا به أمة تخدمه، فكانت إذا أرادت أن تبعد في حاجة قيّده بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له: كيف أنت يا دريد؟ فأنشأ يقول: أصبحت أقذف أهداف المنون[8] كما # يرمي الدّريئة[9] أدنى فوقة[10] الوتر

عقب القدور عددن مالا». و عقبه القدر: ما التزق بأسفلها من تابل و غيره. و تحت: تعجل، يقال حته دراهمه إذا عجل له النقد.

و قد وردت هذه الكلمة في الأصول «تحب» و التصويب عن «اللسان» . يريد أنه إذا اشتد القحط و عدّت عقب القدور مالا عجلت زوجته العطاء لزوجات الأبرام. و الأبرام: اللئام، الواحد: برم، و هو في «الأصل» الذي لا يدخل مع القوم في الميسر.

[1] ضرس السهم: عجمه.

[2] المفيض: الضارب بالقذاح.

[3] في الأصول: «الركبان» و التصويب عن «الأمالي» ؛ و يروى فيه: دفعت إلى النجّي و قد تجاثوا # على الركبات مطلع كل شمس

قال أبو علي قال لنا أبو بكر قال أبو حاتم عن الأصمعي: هذا غلط، إنما هو مغرب كل شمس، لأن الأيسار إنما يتياسرون بالعشيات.

[4] أكدي: أخفق و لم يصب.

[5] كذلك في الأصول. و يلاحظ أنه لم يرد في «كتب اللغة» إلا التامك بدون هاء التأنيث. و التامك: الناقة العظيمة السنام أو السنام نفسه. و النكس: الرجل الضعيف لا خير فيه.

[6] الشرنبث: الغليظ. و الشثن: الغليظ أيضا. و الكرّس: ما تكرس أي صار بعضه فوق بعض. و الجدائر: جمع جديرة و هي الحظيرة. و قد رواه أبو علي في «الأمالى» :

تريد أ فيحج الرجلين شثنا # يفلع بالجديرة كل كرس

و قال: و يروى:

تريد شرنبث الكفين شثنا # يفلع بالجدائر كل كرس

[7] المزجي من القوم: المزلق و هو الملتصق بالقوم و ليس منهم، و الرجل الناقص المروءة، و الدون من كل شيء، و البخيل. و الوهس: الذليل الموطوء.

[8] في أ، م: «السنين». و في ح: «المئين» .

[9] الدريئة: حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي؛ قال عمرو بن معد يكرب: ظلت كأني للرماح دريئة # أ قاتل عن أبناء جرم و فرّت

[10] في «اللسان» : «الفوق: مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. و حرفاه: زنمته. و هذيل تسمى الزنمتين الفوقيتين.

في منتصف[1] من مدى تسعين من مائة # كرمية الكاعب العذراء بالحجر
 في منزل نازح م الحيّ متبذ # كمربط العير لا أدعى إلى خبر
 /كأثني خرب[2] قصّت قوادمه # أو جنة من بغاث في يدي خصر[3]
 يمضون أمرهم دوني و ما فقدوا # مئي عزيمة أمر ما خلا كبري
 و نومة لست أفضيها و إن متعت[4] # و ما مضى قبل من شأوي و من عمري
 و أنني رايني قيد حبست به # و قد أكون و ما يمشى على أثري
 إن السنين إذا قرّين من مائة # لوين مرّة[5] أحوال على مرر

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: قالت
 امرأة دريد له: قد أسننت و ضعف جسمك و قتل أهلك و فني شبابك، و لا
 مال لك و لا عدّة، فعلى أيّ شيء تعوّل إن طال بك العمر أو على أيّ شيء
 تخلف أهلك إن قتلت؟ فقال دريد:

صوت

أعادل إنما أفنى شبابي # ركوبي في الصّرخ إلى المنادي
 مع الفتيان حتى كلّ جسمي # و أقرح عاتقي حمل النّجاد
 أعادل إنه مال طريف # أحبّ إليّ من مال تلاد
 أعادل عدّتي بدني[6] و رمحي # و كلّ مقلّص شكس القيادة
 و يبقى بعد حلم القوم حلمي # و يفنى قبل زاد القوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، و غيره يرويه لعمر بن معد يكرب، و
 قول أبي عبيدة أصحّ. لابن[7] محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر في
 مجرى البنصر/عن إسحاق. و ذكر عمرو بن بانة أن لابن سريج فيها ثاني
 ثقيل بالبنصر. و خلط المغنّون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في
 هذين اللحين: أريد حياته[8] و يريد قتلي # عذيرك من خليلك من مراد

و لو لا لاقيتني و معي # تكشّف شحم قلبك عن سواد

[1] منتصف الشيء: وسطه.

[2] الخرب: ذكر الحباري.

[3] كذا في الأصول. و لعلها «هصر». و يقال ليث هصور و هصر
 (ككتف) و هصر (كصرد).

[4]متعت: طابت.

[5]المرّة: طاقة الحبل.

[6]البدن هنا: الدرع. و فرس مقلص (بكسر اللام) : طويل القوائم
منضم البطن.

[7]في الأصول هنا. «و لابن محرز... إلخ» .

[8]في ب، س: «جاءه» .

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم:

و قال أبو عبيدة فيما روينا عن دماذ عنه: قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غدرا، و أسروا ابن عمّ له؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع و بني سعد جميعا، فقتل فيهم. و كان فيمن قتل عمّار بن كعب؛ و قال فيهم: دعوت الحيّ نصرا فاستهلوا # بشبّان ذوي كرم و شيب

على جرد كأمثال السّعالى # و رجل مثل أهمية[1] الكئيب
فما جبنوا و لكنا نصينا # صدور الشّرعيّة[2] للقلوب
فكم غادرن من كاب صريع # يمّج نجيع جائفة[3] ذنوب
و تلکم عادة لبني رباب # إذا ما كان موت من قريب
فأجلوا و السّوام لنا مباح # و كلّ كريمة خو عروب
و قد ترك ابن كعب في مكرّ # حبسا بين ضبعان و ذيب

كان أبوه شاعرا:

قال أبو عبيدة: و كان الصمة أبو دريد شاعرا، و هو الذي يقول في حرب الفجار التي كانت بينهم و بين قريش: /

لاقت قريش غداة العقيد # ق أمرا لها وجدته وبيلا
و جئنا إليهم كموج الأتيّ [4] # يعلو التّجاد و يملا المسيلا
و أعددت للحرب خيفانة [5] # و رمحا طويلا و سيفا صقيلا
و محكمة من دروع القيو # ن تسمع للسيف فيها صليلا

و كان أخوه مالك شاعرا:

قال: و كان أخوه مالك بن الصمة شاعرا؛ و هو القائل يرثي أخاه خالدا: أ بني غزيرة إنّ شلوا [6] ماجدا # وسط البيوت السّود مدفع كركر [7]

لا تسقني بيدك إن لم أتمس # بالخيل بين هبولة [8] فالقرقر

[1] كذا في أكثر الأصول. و في م، ح: «أهمية» و لا معنى لهما. فلعل الصواب «أهيلة» جمع هيال و هو ما انهال من الرمال.

[2] الشرعية: الطويلة، يريد الرماح.

[3] الجائفة: الطعنة التي تنفذ إلى الجوف. و ذنوب: طويلة الشر و الأذى؛ و مثله قولهم: يوم ذنوب إذا كان طويل الشر لا ينقضي.

[4] الأتي: السيل لا يدري من أين أتى.

[5]الخيفانة: الفرس.

[6]الشلو (بالكسر) هنا: الجسد.

[7]كركر: علم على عدة مواضع.

[8]هبولة و القرقر: موضعان.

تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد ورتاه:

/أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: تحالف دريد بن الصَّمَّة و معاوية بن عمرو بن الشريد و توثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده، و إن قتل أن يطلب بثاره. فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المرِّي. فرثاه دريد بقصيدته التي أولها: ألا هبت تلوم بغير قدر # و قد أحفظتني و دخلت ستري

و إلا تتركني لومي سفاها # تلمك عليه نفسك غير عصر

و فيها يقول:

فإن الرّزء يوم وقفت أدعو # فلم أسمع معاوية بن عمرو
و لو أسمعته لأتاك يسعى # حيث السّعي أو لأتاك يجري
بشكّة [1] حازم لا غمز فيه # إذا لبس الكماة جلود نمر [2]
/عرفت مكانه فعطفت زورا [3] # و أين مكان زور يا ابن بكر
على إرم [4] و أحجار ثقال # و أغصان من السلّمات سمر
و بنيان القبور أتى عليها # طوال الدهر شهرا بعد شهر

حديث عارض الجشمي عنه و قد خرف:

أخبرني عبد الله بن مالك النحويّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: وقف عارض الجشميّ على دريد و قد خرف و هو عريان و هو يكوم كوم بطحاء [5] بين رجله يلعب بذلك؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد. فرفع رأسه دريد إليه و قال: كأنتي رأس حزن [6] # في يوم غيم و دجن [7]

يا ليتني عهد زمن # أنفض رأسي و ذقن

كأنتي فحل حصن # أرسل في حل عنن

أرسل كالطّبي الأرّن [8] # ألصق أذنا بأذن

قال: ثم سقط؛ فقال له عارض: انهض دريد! فقال:

[1] الشكّة: السلاح.

[2] يقال: لبس فلان لفلان جلد النمر إذا تنكر له. و كانت ملوك العرب إذا جلست لقتل إنسان لبست جلود النمر ثم أمرت بقتل من تريد قتله.

[3] الزور في اللغة: الجمل القوي، و لعله هنا اسم جملة.

[4]الإرم: حجارة تنصب علما في المفازة.

[5]البطحاء هنا: الحصى الصغار.

[6]حرضن: سم جبل.

[7]الدجن: جمع دجنة و هي الظلمة.

[8]الأرن: النشيط.

لا نهض في مثل زماني الأوّل # محنّب الساق شديد[1]الأعصل
ضخم الكراديس[2]خميص الأشكل[3] # ذي[4]حنجر رجب و صلب أعدل

خرج في حرب حنين و هو شيخ و نصح مالك بن عوف فخالفه:
حدّثنا محمد بن جرير الطبري قال حدّثنا محمد بن حميد قال حدثنا
سليمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزّهريّ عن عبيد الله بن عبد
الله قال: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه و سلم مكة أقام بها خمس
عشرة ليلة يقصر[5]، و كان فتحها في عشر ليال يقين من شهر رمضان.
قال ابن إسحاق: و حدّثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: لمّا
سمعت به هوازن جمعها مالك بن عوف النّصريّ، فاجتمعت إليه ثقيف مع
هوازن، و لم يجتمع إليه من قيس إلا هوازن و ناس قليل من بني هلال، و
غابت عنها كعب و كلاب، فجمعت نصر و جشم و سعد و بنو بكر و ثقيف و
احتشدت، و في بني جشم دريد بن الصّمّة شيخ كبير فان ليس فيه شيء إلا
التيمن برأيه و معرفته بالحرب، و كان شيخا مجرّبا، و في ثقيف في الأحلاف
قارب بن الأسود بن مسعود، و في بني مالك ذو الخمار سبيع/بن الحارث، و
جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلّمّا أجمع مالك المسير حط مع
الناس أموالهم و أبناءهم و نساءهم. فلّمّا نزلوا بأوطاس[6] اجتمع إليه
الناس و فيهم دريد بن الصّمّة في شجار[7] له يقاد به. فقال لهم دريد: بأيّ
واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، ليس بالحزن الصّرس[8] و
لا السّهل الدّهس[9]. ما لي أسمع رغاء الإبل و نهيق الحمير و بكاء الصغير
و ثغاء الشاء؟! قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم و نساءهم و
أموالهم. فقال: أين مالك؟ فدعي له به. فقال له: يا مالك، إنك قد أصبحت
رئيس قومك، و إنّ هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام!. ما لي أسمع رغاء
البعير و نهيق الحمير و بكاء الصّبيان و ثغاء الشاء؟! قال: سقت مع الناس
نساءهم و أبناءهم و أموالهم. قال: / و لم؟ قال: أردت أن أجعل مع كلّ رجل
أهله و ماله ليقاتل عنهم. قال: فانقضّ به و وبّخه و لامه، ثم قال: راعي
ضأن و الله (أي أحق) ! و هل يردّ المنهزم شيء! إنها إن كانت لك لم ينفعك
إلا رجل بسيفه و رمحه، و إن كانت عليك فضحت في أهلك و مالك. ثم قال:
ما فعلت كعب و كلاب؟ قال: لم يشهدا أحد منهم. قال: غاب الحدّ و الجدّ!
لو كان يوم علاء و رفعة لم تغب عنه كعب و كلاب! و لوددت أنكم
[1]التحنيب: احديداب في وظيفي يدي الفرس، و هو مما يوصف صاحبه
بالشدّة. و الأعصل: المعوج الصلب من كل شيء، و منه ناب أعصل أي
معوج شديد؛ قال أوس بن حجر: رأيت لها نابا من الشر أعصلا

- و في الأصول: «أعضل» بالضاد و هو تصحيف.
- [2]الكراديس: جمع كردوس و هو كل عظم تام ضخم.
- [3]ليس في «كتب اللغة» إلا الشاكلة بمعنى الخصرة و هي المرادة في هذا الشعر.
- [4]كذا في «جميع الأصول»: المراد به ليس واضحا.
- [5]قصر الصلاة: أن يترك من ذوات الأربع ركعتين و يصلي ركعتين.
- [6]أوطاس: واد بديار هوازن.
- [7]الشجار: مركب أصغر من الهودج.
- [8]الضرس: الصعب.
- [9]الدهس: اللين السهل. -

فعلتم مثل ما فعلوا. فمن شهدها منهم؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر و بنو عوف بن عامر. قال: ذاك الجذعان [1] من عامر لا ينفعان و لا يضران. ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة [2] بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً. ارفعهم إلى أعلى [3] بلادهم و علياء قومهم ثم الق القوم بالرجال على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، و إن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك و مالك و لم تفضح في حريمك. قال: لا و الله ما أفعل ذلك أبداً! إنك قد خرفت و خرف رأيك و علمك. و الله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري-فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكر و رأي-فقالوا له: أطعناك و خالفنا دريدا. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده و لم أغب عنه. ثم قال: يا ليتني فيها جذع # أخب فيها و أضع

أقود وطفاء الرَّمع # كأنها شاة صدع

قال: فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم انهزم المشركون فأتوا الطائف و معهم مالك بن عوف، و عيسكر بعضهم بأوطاس و توجه بعضهم نحو نخلة [4]، و تبعت خيل/رسول الله صلى الله عليه و سلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن رفيع السلميّ أحد بني يربوع بن سمّال [5] بن عوف دريد بن الصّمّة فأخذ بخطام جملة و هو يظن أنه [6] امرأة، و ذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به فإذا هو برجل شيخ كبير و لم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ما ذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: و من أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلميّ. فأنشأ دريد يقول: ويح ابن أكمة [7] ما ذا يريد # من المرعش الدّاهب الأدر

فأقسم لو أنّ بي قوّة # لوّلت فرائصه ترعد

و يا لهف نفسي ألا تكون # معي قوّة الشارخ [8] الأمر

/ثم ضربه السلميّ بسيفه فلم يغن شيئاً. فقال له: بئس ما سلّحتك أمك! اخذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب به و ارفع عن العظام و اخفض عن الدّماغ، فإنّي كذلك كنت أفعل بالرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمّة، فربّ يوم قد منعت فيه نساءك!. فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته بالسيف سقط فانكشف، فإذا عجانة [9] و بطن فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء [10]. فلما رجع ربيعة [1] الجذع: الشاب الحدث.

[2] بيضة القوم: أصلهم و مجتمعهم.

[3] في السيرة: «متمنع بلادهم» .

[4] نخلة: المراد هنا نخلة اليمانية، و هي واد يصب فيه يدعان (اسم واد) و به مسجد لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و به عسكرت هوازن يوم حنين («معجم البلدان» لياقوت) .

[5] في الأصول: «سماك» و التصويب من «السيرة لابن هشام» و «القاموس» .

[6] كذا في السيرة. و في الأصول: «أنها» .

[7] كذا في الأصول. و في «مختصر الأغاني»: «تكمة» . و قد جاء في «سيرة ابن هشام» (ج 2 ص 852) أن ربيعة بن رفيع هذا يقال له ابن الدغنة و هي أمه فغلبت على اسمه، و يقال: ابن لذعة.

[8] كذا في «مختصر الأغاني» . و في سائر الأصول: «الشامخ» و الشارخ: الشاب.

[9] العجان: الدبر، و قيل هو ما بين الدبر و القبل.

[10] فرس عري: غير مسرج، وصف بالمصدر، ثم جعل اسما فجمع فقيل خيل أعراء. و لا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عري.

إلى أمّه أخيرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعتق قتيك ثلاثا من أمهاتك. وبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم في آثار من توجّه قبل أوطاس أبا عامر الأشعريّ ابن عمّ أبي موسى الأشعريّ، فهزمهم/الله جلّ و عزّ و فتح عليه. فيزعمون أنّ سلمة بن دريد بن الصّمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالتم عمرة بنت دريد ترثيه:

جزى عنّا الإله بني سليم # و أعقبهم بما فعلوا عقاق[1]

و أسقانا إذا سرنا إليهم # دماء خيارهم يوم التلاقي

فربّ منوّه بك من سليم # أجيب و قد دعاك بلا رماق[2]

و ربّ كريمة أعتقت منهم # و أخرى قد فككت من الوثاق

و قالت عمرة ترثيه أيضا:

قالوا قتلنا دريدا قلت قد صدقوا # و ظلّ دمعي على الخدين بيتدر[3]

لو لا الذي قهر الأقوام كلّهم # رأيت سليم و كعب كيف تأتمر

إذا لصّبّهم عبّا و ظاهرة[4] # حيث استقرّ نواهم جحفل ذفر[5]

استحّته قومه على الأخذ بثأر أخيه خالد من بني الحارث فقال شعرا و أجابه عبد الله بن عبد المدان:

و نسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ يآثره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبيّ: كان دريد بن الصّمة يوما يشرب مع نفر من قومه، فقالوا له: يا أبا ذفافة-و كان يكنى بأبي ذفافة و بأبي قرّة-أينجو بنو الحارث بن كعب منك و قد قتلوا/أخاك خالدا!؟ فقال لهم: إنّ القوم جمرة[6]مذحج، و هم أكفاء جشم، و لا يجمل بي هجاؤهم. فاحفظوه بكثرة القول و أغضبوه، فقال: يا بني الحارث أنتم معشر # زندكم وار و في الحرب بهم[7]

[1] في «لسان العرب» و «السيرة لابن هشام»: «و عقتهم» بدل «و أعقبهم». و عقاق (بالبناء على الكسر): العقوق.

[2] الرماق من العيش: البلغة و القليل يمسك الرمق.

[3] في أم، م: «ينحدر». و في «سيرة ابن هشام» «فضل دمعي على السربال ينحدر» .

[4] كذا في «السيرة» لابن هشام. و قد جاء في «لسان العرب» (في مادة «غيب») : «و من كلامهم لأضربك غب الحمار و ظاهرة الفرس؛ فغب الحمار أن يرعى يوما و يشرب يوما، و ظاهرة الفرس أن يشرب كل يوم نصف النهار». و في الأصول: «عنا و ظاهرهم» و هو تحريف.

[5] كذا في «السيرة» . و الذفر: المتغير الرائحة؛ يقال: كتيبة ذفرا. أي إنها سهكة من الحديد و صدئه. و في الأصول «زفر» بالزاي و هو تحريف.

[6] يقال: بنو فلان جمرة، إذا كانوا أهل منعة و شدة. و الجمرة: كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يخالفون أحدا و لا ينضمون إلى أحد، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لفراغ القبائل، كما صبرت عبس لقبائل قيس. قال أبو عبيدة: جمرات العرب ثلاثة بنو ضبة بن أد، و بنو الحارث بن كعب، و بنو نمير بن عامر، و طفئت منهم جمرتان: طفئت ضبة لأنها حالفت الرباب، و طفئت بنو الحارث لأنها حالفت مذحج، و بقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف.

[7] بهم: جمع بهمة و هو الشجاع.

و لكم خيل عليها فتية # كأسود الغاب يحمين الأجم
 ليس في الأرض قبيل مثلكم # حين يرفضّ العدا غير جشم
 لست للضمّة إن لم آتكم # بالخناذيد[1] تبارى في اللجم
 فتقرّ العين منكم مرّة # بانبعث الحرّ نوحا تلتدم[2]
 و ترى نجران منكم بلقعا # غير شمطاء و طفل قد يتم
 فانظروها كالسّعالى[3] شرّبا # قبل رأس الحول إن لم أكرم

قال: فنمي قوله إلى عبد الله بن عبد المدان، فقال يجيبه: نبتت أن
 دريدا ظلّ معترضا # يهدي الوعيد إلى نجران من حصن[4]

/كالكلب يعوي إلى بيدا مقفرة # من ذا يواعدنا بالحرب لم يحن[5]
 إن تلق حيّ بني الدّيان تلقهم # شمّ الأنوف إليهم عزّة[6] اليمن
 ما كان في الناس للدّيان من شبه # إلاّ رعين و إلاّ آل ذي يزن
 /أغمض جفونك عمّا لست نائله # نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
 نحن الذين تركنا خالدا عطبا # وسط العجاج كأنّ المرء لم يكن
 إن تهجنا تهج أنجادا شرامحة[7] # بيض الوجوه مرافيدا على الزمن
 أورى زياد لنا زندا و والدنا # عبد المدان و أورى زنده قطن[8]

رده أسماء بن زنباع عن طعنيته زينب و طعنه فأصاب عينه:
 أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو بكر العامريّ عن ابن
 الأعرابيّ قال: أغار دريد بن الضّمّة في نفر من أصحابه، فمروا بأسماء بن
 زنباع الحارثي و معه طعنيته زينب، فأحاطوا به لينتزعوها في يده، فقاتلهم
 دونها فقتل منهم و جرح، ثم اختلف هو و دريد طعنتين: فطعنه دريد فأخطأه،
 و طعنه أسماء فأصاب عينه، و انهزم دريد و لحق بأصحابه؛ فقال دريد في
 ذلك: شلت يميني و لا أشرب معنّة # إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قال: و هي قصيدة.

[1]الخناذيد: جياذ الخيل، واحدها خنذيد.

[2]تلتدم: تضرب صدرها في النياحة.

[3]السعالى: الغيلان، واحدها سعاة. و الشزب: جمع شازب و هو

الضامر.

[4] حَضَن: جَبَلَ بَنَجْد.

[5] لَمْ يَحْن: لَمْ يَهْلِكْ.

[6] فِي الْأَصُول: «غَرَّة» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

[7] الشَّرَامِحَةُ: جَمْعُ شَرْمَحٍ وَهُوَ الْقَوِيُّ وَالطَّوِيلُ.

[8] فِي هَذَا الْبَيْتِ إِقْوَاءٌ وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ.

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي و يزيد بن عبد المدان و شعره في ذلك:

و نسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب الكلبي قال: جاور رجل من ثمالة عبد الله بن الصمة، فهلك عبد الله و أقام الرجل في جوار دريد. و أغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جثم، فأصاب مال الثمالي و أصاب ناسا من ثمالة كانوا جيرانا لدريد؛ فكف دريد عن طلب القوم و شغل بحرب من يليه، و قال لجاره ذلك: أمهلني عامي هذا. فقال الثمالي: قد أمهلتك عامين. و خرج دريد ليلة لحاجته و قد أبطأ في أمر الثمالي، فسمعه يقول: /

كساک دريد الدهر ثوب خزاية # و جدّك الحامي حقيقته أنس
دع الخيل و السمر الطوال لختعم # فما أنت و الرّمح الطويل و ما الفرس
و ما أنت و الغزو المتابع للعدا # و همّك سوق العود و الدّلو و المرس[1]
فلو كان عبد الله حيّا لردّها # و ما أصبحت إبلي بنجران تحتبس
و لا أصبحت عرسي بأشقى معيشة # و شيخ كبير من ثمالة في تعس
يراعي نجوم الليل من بعد هجعة # إلى الصبح محزوناً يطاوله النّفس
و كنت و عبد الله حيّ و ما أرى # أبالي من الأعداء من قام أو جلس
فأصبحت مهضوما حزينا لفقده # و هل من نكير بعد حولين تلتمس

قال: فضاقت دريد ذرعا بقوله، و شاور أولي الرأي من قومه؛ فقالوا له: ارحل إلى يزيد بن عبد المدان؛ فإن أنسا قد خلف المال و العيال بنجران للحرب التي وقعت بين خثعم، و إن يزيد يردها عليك. فقال دريد: بل أقدم إليه قبل ذلك مدحة ثم أنظر ما موقعي من الرجل، فقال هذه القصيدة و بعث بها إلى يزيد: /

بني الدّيان ردّوا مال جاري # و أسرى في كبولهم[2] الثّقال
و ردّوا السّبي إن شئتم بمنّ # و إن شئتم مفادة بمال
فأنتم أهل عائدة و فضل # و أيد في مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيئا فليست # حبايل أخذه غير السؤال
و حربكم بني الدّيان حرب # يغصّ المرء منها بالّلال
و جارتكم بني الدّيان بسل[3] # و جاركم يعدّ مع العيال
حذا عبد المدان لكم حذاء # مخضرة الصدور على مثال

/بني الدّيان إنّ بني زياد # هم أهل التكرّم و الفعال
فأولوني بني الدّيان خيرا # أقرّ لكم به أخرى الليالي

[1]العود: المسن من الإبل. و المرس: الحبل، و المراد هنا حبل
الاستقاء.

[2]في أ، م، ح: «في كبولكم» .

[3]البسل: الحرام.

قال: فلما بلغ يزيد شعره قال: وجب حقّ الرجل! فبعث إليه أن اقدم علينا. فلما قدم عليه أكرمه و أحسن مثواه. فقال له دريد يوماً: يا أبا النضر، إني رأيت منكم خصالا لم أرها من أحد من قومكم: إني رأيت أبنيتكم متفرّقة، و نتاج خيلكم قليلا، و سرّجكم يجيء معتما، و صبيانكم يتضاغون[1] من غير جوع. قال: أجل! أمّا قلّة نتاجنا فتناج هوازن يكفينا و أمّا تفرّق أبنيتنا فللغيرة على النساء. و أمّا بكاء صبياننا فإنّنا نبدأ بالخيل قبل العيال. و أمّا تمسّينا بالنعم فإنّ فينا الغرائب و الأرامل، تخرج المرأة إلى مالها حيث لا يراها أحد. قال: و أقبلت طلائعهم على يزيد، فقال شيخ منهم: أتتكَ السلامة فارع النعم # و لا تقل الدّهر إلا نعم

و سرّج دريدا بنعمى چشم # و إن سالك المرء إحدى القم[2]

فقال له دريد: من أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعنا لا نسرح و لا نصطح حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذحج. و ردّ يزيد عليه الأسارى من قومه و جيرانه، ثم قال له: سلني ما شئت؛ فلم يسأله شيئا إلا أعطاه إياه. فقال دريد في ذلك: مدحت يزيد بن عبد المدان # فأكرم به من فتى ممتدح

إذا المدح زان فتى معشر # فإنّ يزيد يزين المدح

حللت به دون أصحابه # فأورى زنادي لماً قدح

/ و ردّ النساء بأطهارها # و لو كان غير يزيد فضح

و فكّ الرجال و كلّ امرئ # إذا أصلح الله يوماً صلح

و قلت له بعد عتق النساء # و فكّ الرّجال و ردّ اللّقح[3]

أجر لي فوارس من عامر # فأكرم بنفحته إذا نفح

و ما زلت أعرف في وجهه # بكّري السؤال ظهور الفرح

رأيت أبا النضر في مذحج # بمنزلة الفجر حين اّضح

إذا قارعوا عنه لم يقرعوا # و إن قدّموه لكبش نطح

/ و إن حضر الناس لم يخزهم # و إن وازنوه بقرن رجع

فذاك فتاها و ذو فضلها # و إن نايح بفخار نبح

قصته مع مسهر بن يزيد الحارثي و شعره:

قال و قال ابن الكلبيّ: خرج دريد بن الصّمّة في فوارس من قومه في غزاة له، فلقى مسهر بن يزيد الحارثي، الذي فقأ عين عامر بن الطفيل،

يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة،
[1]تضاغى من الطوى: تضرّ من الجوع و صاح.

[2]القحم: جمع قحمة و هي الأمر الشاق لا يكاد يركبه أحد.

[3]اللح: جمع لحة و هي الناقة الحلوب.

هذا فارس واحد يقود ظعينة، و خليق أن يكون الرجل قرشيًا. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله و يأتينا به و بالظعينة؟ فانتدب إليه رجل من القوم فحمل عليه، فلقى مسهر فاختلفا طعنتين بينهما، فقتله مسهر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه؛ حتى قتل منهم أربعة نفر. و بقي دريد وحده فأقبل إليه؛ فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة و قال: خذي خطامك؛ فقد أقبل إليّ فارس ليس كالفارسان الذين تقدّموه؛ ثم قصد إليه و هو يقول: أما ترى الفارس بعد الفارس # أرداهم عامل رمح يابس

/فقال له دريد: من أنت لله أبوك؟ قال: رجل من بني الحارث بن كعب. قال: أنت الحصين؟ قال لا. قال: فالمجّل هودة؟ قال لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا مسهر بن يزيد. قال: فانصرف دريد و هو يقول: أ من ذكر سلمى ماء عينيك يهمل # كما انهلّ خزر من شعيب مشلشل [1]

و ما ذا ترجّي بالسلامة بعد ما # نأت حقب و ابيضّ منك المرّجل [2]
و حالت عوادي الحرب بيني و بينها # و حرب تعلّ الموت صرفا و تنهل
قراها إذا باتت لديّ مفاضة # و ذو خصل نهد المراكل هيكل [3]
كميش [4] كتيس الرّمل أخلص متنه # ضرب [5] الخلايا و التّقيع المعجّل
عتيد لأيام الحروب كأثّه # إذا انجاب ربغان العجاجة أجدل [6]
بجاوب [7] جردا كالسّراحين [8] ضمّرا # ترود بأبواب البيوت و تصهل
على كل حيّ قد أطلّت بغارة # و لا مثل ما لاقى الحماس و زعبل

-الحماس و زعبل: قبيلتان من بني الحارث بن كعب-

غداة رأونا بالغريف [9] كأثنا # حبيّ [10] أدّرته الصّبا متهلّل
بمشعلة تدعو هوازن، فوقها # نسيج من الماذيّ [11] لأم مرّقل
لدى معرك فيها تركنا سراتهم # ينادون، منهم موثق و مجدّل

[1] شلشل الماء: قطر.

[2] المرّجل: الشعر؛ يقال: رجل الشعر إذا سرحه.

[3] المفاضة هنا: الدرع. و ذو خصل: يريد فرسا. و المراكل: جمع مرّكل و هو حيث تصير رجلك من الدابة؛ يقال فرس نهد المراكل أي واسع الجوف. و الهيكل: الضخم.

- [4]الكميش: السريع.
- [5]الضريب: اللبن. و الخلايا: جمع خلية و هي الناقة المخلاة للحلب.
يريد أن هذا الفرس معتنى به.
- [6]الأجدل: الصقر.
- [7]كذا في ح. و في سائر الأصول: «يحارب» و هو تحريف.
- [8]السراحين: الذئب واحدها سرحان.
- [9]كذا في الأصول. و لعلها العزيز أو نحو ذلك.
- [10]الحيي: السحاب المتراكم. و في الأصول: «حيي» بياءين.
- [11]المادي: الدروع اللينة السهلة. و اللأم: الدروع، واحدها لأمة. و
المرفل: المسبغ.

نجدّ جهارا بالسيوف رءوسهم # و أرماحنا منهم تعلّ و تنهل
تري كلّ مسوّد العذارين فارس # يطيف به نسر و عرفاء[1]جبال

قال مؤلّف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبيّ
موضوعة كلّها، و التوليد بيّن فيها و في أشعارها، و ما رأيت شيئا منها في
ديوان دريد بن الصّمّة على سائر الروايات. و أعجب من ذلك هذا الخبر
الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريدا من الهجنة و الفضيحة في أصحابه و قتل
من قتل معه و انصرافه منفردا، و شعر دريد هذا يفخر فيه/بأنّه ظفر ببني
الحارث و قتل أمائلهم؛ و هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ. و إنما ذكرته على ما
فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس و تداولوه.

[1]كذا في ج و العرفاء: الضيع؛ سميت بذلك لكثرة شعر رقبتها. و
جبال: من أسماء الضيع أيضا، معرفة بغير ألف و لام. و قال كراع: الجبال،
فأدخل عليها الألف و اللام، و شاهده قول العجاج: يدعن ذا الثروة كالمجبل
و صاحب الإقتار لحم الجبال

و في سائر الأصول: «و غربال جبال» و هو تحريف.

2- أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن و غيره من الأغاني

> دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حدّ الكتاب- و شيء من أخباره مع المغنّين و غيرهم يصلح لما هاهنا <

راسل عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أمر النغم العشر حتى فهمها و جمعها في صوت:

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه- لما صنعت جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر- بطبي و حبيب جاريتي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذتا اللحن عنه و نقلتاه إليه و ألقته على جواريه. قال: و لم يزل يرأسلني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر و يسألني عنها و أشرحها له، حتى فهمها جيّدا و جمعها في صوت صنعه في شعر دريد بن الصّمّة:

يا ليتني فيها جذع # أحبّ فيها و أضع

و ألقاه عليهما حتى أدّتاها إليّ مستعلما بذلك هل هو صحيح القسمة و الأجزاء أم لا، فعرفته صحّته و دلّته على ذلك حتى تيقّنه فسرّ بذلك؛ و هو لعمرى من جيّد الصنعة و نادرها. و قد صنع المعتضد ألحانا في عدّة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء و المحدثين و عارضهم بصنعتهم فأحسن و شاكل و ضاهى، فلم يعجز و لا قصّر و لا أتى بشيء يعتذر منه. فمن ذلك أنه صنع في:

أما القطاة فإنّي سوف أنعتها # نعتا يوافق نعتي بعض ما فيها

لحنا في الثقل الأوّل بالبنصر في نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زرزور يغنّيه، فكان من أحسن ما صنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه و اشتراك/القدماء و المحدثين في صنعتهم مثل معبد و نشيط و مالك و ابن محرز و سنان و عمر الوادي و ابن جامع و إبراهيم و ابنه إسحاق و علويه. و أظرف من ذلك أنه صنع في:

تشكّي الكميّ الجري لّمّا جهدته # و بين لو يستطيع أن يتكلّم

لحنا من الثقل الأوّل [1] بالوسطى، و قد صنع قبله ابن سريج لحنا هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كله، فما قصّر في صنعتهم و لا عجز عن بلوغ الغاية فيها؛ هذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحنا من الثقل الثاني عارض ابن سريج به في لحنه، فما امتنع من أن يتلو مثل هذين و لا نظير لهما في القدماء و المحدثين، ثم جوّد غاية التجويد فيما اتبعهما به و عارضهما فيه. هذا مع أصوات له صنعها تراهي [2] المائة صوت، ما فيها

ساقط و لا مردول، و سأذكر منها ما يصلح ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

[1] في أ، م: «الثاني» .

[2] تزاهي: تضاهي. و زهاء الشيء: قدره.

و من نادر صنعة المعتضد:

صوت

أناة فإن تغن عقيب بعدها # وعيدا، فإن لم يغن أغنت عزائمه

/الشعر لإبراهيم بن العباس، و الغناء للمعتضد ثقيل أول. هذا بيت قاله إبراهيم و هو لا يعلم أنه شعر، و إنما كتب به في رسالة عن المعتصم [1] إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: «و إن عند أمير المؤمنين في أمرك أناة، فإن لم تغن عقيب بعدها وعيدا، فإن لم يغن أغنت عزائمه». فلما تأمله أنه شعر و أنه بيت نادر فأخرجه في شعره.

[1] في جـ: «عن المعتضد» .

3- أخبار إبراهيم بن العباس و نسبه

نسبه، و شيء عن آبائه:

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، و كان صول رجلا من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلب بلده و أسلم على يديه، فهم موالي يزيد. و لما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صول لينصره فصادفه قد قتل. و كان يقاتل كل من بينه و بين يزيد من جيش بني أمية و يكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فاغتاظ و جعل يقول: ويلى على ابن الغلفاء! و ما له و للدعاء إلى كتاب الله و سنة و نبيه! و لعله لا يفقه صلاته!. و كان ابنه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية و دعائها، و قد كان بعض أهلهم ادّعوا أنه عرب و أن العباس بن الأحنف خالهم. و أمّا صول فإنّ خالد بن خدّاش [1] ذكر عن أهله قالوا: كان صول و فيروز أخوين ملكا عليّ جرجان، و كانا تركيين تمجّسا و تشبّها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمّنهما، فأسلم صول على يديه و لم يزل معه حتى قتل يوم العقر [2]. و كان محمد بن صول يكنى [3] أبا عمارة، أحد الدّعاة، و قتله عبد الله بن عليّ لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكّي [4] و عدّة آخرين.

كان يقول الشعر ثم يختاره:

و أمّا إبراهيم بن العباس و أخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكّتاب، و كان عبد الله أسنّهما و أشدّهما تقدّما، و كان إبراهيم أدبهما و أحسنهما شعرا، و كان يقول الشعر ثم يختاره، و يسقط رذله، ثم يسقط الوسط، ثم يسقط ما يسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، و ربما لم يدع منها إلا بيتا أو بيتين؛ فمن ذلك قوله: /

و لكنّ الجواد أبا هشام # و فيّ العهد مأمون المغيب

و هذا ابتداء يدلّ على أنّ قبله غيره؛ و قوله في أخيه: و لكنّ عبد الله لما حوى الغنى # و صار له من بين إخوته مال

و هذا أيضا ابتداء يدلّ على أنّ قبله غيره. و كان إبراهيم و أخوه عبد الله من صنائع ذي الرّئاستين، اتّصلا به فرفع منهما. و تنقل إبراهيم في الأعمال الجليّة و الدواوين إلى أن مات و هو يتقلد ديوان الصّياغ و النفقات بسرّ من رأى في سنة ثلاث و أربعين و مائتين للنصف من شعبان.

قال محمد [5] بن داود و حدّثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدّثني ابن إبراهيم قال سمعت دعبلا يقول: [1] في الأصول «خراش» بالراء. و قد تقدم خالد بن خدّاش غير مرة في الأجزاء السابقة.

[2] هو عقر بابل و هو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب
(انظر الحاشية رقم 1 ص 22 ح 9 من «الأغاني» طبع دار الكتب المصرية)

[3] كذا في الأصول. و لعله: «ويكنى أبا عمارة إلخ» .

[4] هو أحد قواد أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية. (انظر
الكلام عليه في «تاريخ الطبري» ق 2 ص 2001-2003، 2005، 2016
طبعة أوربا) .

[5] كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «أحمد بن داود» .

لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم
أنشدنا له، و كان يستحسن ذلك من قوله: إِنَّ امراً ضنّ بمعروفه # عني
لمبذول له عذري

ما أنا بالراغب في عرفه # إن كان لا يرغب في شكري

هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات و تشفيه بموته:
/و كان إبراهيم بن العباس صديقا لمحمد بن عبد الملك الزيّات، ثم آذاه
و قصده و صارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيا، فكان إبراهيم
يهجوهُ؛ فمن قوله فيه: أبا جعفر خف خفصة بعد رفعة # و قصّر قليلا عن
مدى غلوائكا

لئن كان هذا اليوم يوما حويته # فإن رجائي في غد كرجائك

و له فيه أيضا:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها # فأوقدت من ضغن عليّ سعيها

فإني إذا أدعوك عند ملّة # كداعية عند القبور نصيرها

/و قال فيه لمّا مات:

لمّا أتاني خبر الزيّات # و أنّه قد صار في الأموات

أيقنت أنّ موته حياتي

**هجره صديقه الحارث بن بسخرّ مرضاة لمحمد بن عبد الملك
الزيّات فقال في ذلك شعرا:**

أخبرني حبطة قال حدّثني ميمون بن هارون قال: لما انحرف محمد
بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه، و كان الحارث بن
بسخرّ صديقا له مصافيا، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه: تغيّر
لي فيمن تغيّر حارث # و كم من أخ قد غيّرته الحوادث

أ حارث إن شوركت فيك فطالما # غنينا و ما بيني و بينك ثالث

و قد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ.

و من جيّد قول إبراهيم بن العباس و فيه غناء:

صوت

خلّ التّفاق لأهله # و عليك فالتمس الطّريقا

و اذهب بنفسك أن ترى # إلّا عدّوا أو صديقا

الغناء لأبي العبيس بن حمدون، ثقيل أوّل.

قصة عشقه لقينة و انكماشه لتأخرها و شعره فيها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى قينة بسرّ من رأى، فكان لا يكاد يفارقها. فجلس يوما للشرب و معه إخوان له، و دعا جماعة من جوارى القيان، و دعاها فأبطأت، فتنعّص عليهم يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها، ثم وافت فسرّي عنه و طابت نفسه و شرب و طرب، ثم دعا بدواة فكتب: أ لم ترنا يومنا إذ نأت # فلم تأت من بين أترابها

و قد غمرتنا دواعي السرور # بإشعالها و بإلهابها بها

/و مدّت علينا سماء النعيم # و كلّ المنى تحت أطنابها[1]

و نحن فتور إلى أن بدت # و بدر الدّجى بين أئوابها

فلمّا نأت كيف كئنا لها # و لمّا دنت كيف صرنا بها

و أمر من حضر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنت و قالت: ما القصّة كما وصفت، و قد كنتم في قصفكم مع من حضر. و إنما تجملتم لي لمّا حضرت. فأنشأ يقول: يا من حنيني إليه # و من فؤادي لديه

/و من إذا غاب من بي # نهم أسفت عليه

إذا حضرت فما[1] من # هم من اصبو إليه

من غاب غيرك منهم # فأمره في يديه

قال: فرضيت عنه، و أتممنا يومنا على أحسن حال.

أجاره دعبل في شعر:

و قال محمد بن داود حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدّثني إبراهيم بن العباس-قال حدّثني به دعبل أيضا فكانا متفقين في الرواية-قال: كئنا نطلب جميعا بالشعر، فخرجنا و كنا في محمل، فابتدأت أقول في المطلب بن عبد الله بن مالك: أ مطلب أنت مستعذب

فقال دعبل:

لسمّ الأفاعي و مستقتل

فقلت:

فإن أشف منك تكن سيّة

فقال دعبل:

[1]الأطناب: جمع طنّب: و هو حبل طويل يشدّ به سراقق البيت. -

وإن أعف عنك فما تفعل

روى له الأخفش أبياتا كان يفضلها و يستجيدها:
أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس و كان يفضلها و يستجيدها: أميل
مع الدمام على ابن أمي # و أخذ للصدّيق من الشقيق

و إن ألفتني حراً مطاعاً # فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروف و مئى # و أجمع بين مالي و الحقوق

جوابه لأبي أيوب:

أخبرني عمي قال حدّثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدّثني عمي
قال: اجتاز محمد [1] بن عليّ برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير و هو
متولي ديار مضر فلم يتلقّه، و نزل الرّقة فلم يصل إليه و لم يبّرّه، و خرج
عنها فلم يشيّه. فلامه إخوانه و قالوا: يشكوك إلى إبراهيم بن العباس.
فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلّة.

فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه:

أبدا معتذر لا يعذر # و ركوب للتي لا تغفر
و ملقى بمساوكلها # منه تبدو و إليه تصدر
هي من كل الوري منكرة # و هي منه وحده لا تنكر

كان يهوى جارية اسمها «سامر» أهدت له جارتين:
أخبرني عمي قال حدّثني ابن برد الخيار عن أبيه قال:

كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنّين بسرّ من رأى يقال
لها سامر، و شهر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دعيت في وليمة لبعض
أهلها فغابت عنه أياما ثم جاءت و معها جارتان لمولاتها. و قالت له: قد
أهديت صاحبتيّ إليك عوضاً من مغيبتي عنك؛ فأنشأ يقول:

صوت

أقبلن يحفن مثل الشمس طالعة # قد حسّن الله أولها و أخراها
ما كنت فيهن إلا كنت واسطة # و كنّ دونك يمناها و يسراها

الغناء لسلسل مولى بني هاشم، ثاني ثقيل بالوسطى مطلق. و ليس
لسلسل خبر يدوّن و لا هو من المشهورين و لا ممّن خدم الخلفاء أو دوّن له
حديث. و ذكر حبش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلاليّ.

و سلسل هذه كانت من أحسن الناس وجها و غناء، و كانت لبعض المغنّين بالبصرة، و كان محمد بن حرب هذا [1] كذا في الأصول و «تاريخ الطبري» (ق 3 ص 1499) . و في «معجم الأدباء» لياقوت في الكلام على إبراهيم بن العباس: «محمد بن علي بن برد الخباز» بالزاي.

يتعشّقها و لم تكن مولاته. فأخبرني الحرميّ بن أبي/العلاء قال حدّثنا إسحاق بن محمد النّخعيّ قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال: أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلا بالبصرة و له قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلاليّ و عثمان بن الحكم بن صخر الثّقفيّ فقال: فتننت سلسل قلب ابن قطن # ثم تئت بابت صخر فافتتن

فأتيت اليوم كي أنقذهم # فإذا نحن جميعا في قرن

فأظنّ الغلط وقع على حبش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنّها مولاة محمد بن حرب.

ذهابه مع دعبل و رزين و ركوبهم حمير أهل الشوك و شعرهم في ذلك:

أخبرني عمّي و وكيع قالا حدّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال: خرج إبراهيم بن العباس و دعبل بن عليّ و أخوه رزين في نظرائهم من أهل الأدب رجّالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئا و ركبوا تلك الحمير؛ فأنشأ إبراهيم يقول: /

أعيضت بعد حمل الشو # ك أحمالا من الحرف [1]

نشاوى لا من الصّها # ء بل من شدّة الصّعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك # تؤولون إلى قصف

تساوت حالكم فيه # و لم تبقوا على خسف

فقال دعبل:

و إذا فات الذي فات # فكونوا من بني الطّرف

و مرّوا نقصف اليوم # فإني بائع خفيّ

فانصرفوا معه فباع خفّه و أنفقه عليهم.

رثاؤه لابنه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال لي عليّ بن الحسين الإسكافي: كان لإبراهيم ابن قد يفع و ترعرع، و

كان معجبا به فاعتلّ علة لم تطل و مات؛ فرثاه بمرات كثيرة، و جزع عليه
جزعا شديدا. فمما رثاه به قوله: كنت السواد لمقلتي # فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت # فعليك كنت أحاذر

فيه رمل لابن القصار. و من مراثيه إياه قوله:

[1] كذا في الأصول.

و ما زلت مذ لد أعطيته # أدافع عنه حمام الأهل
 أعوذه دائبا بالقرآن # و أرمي بطرفي إلى حيث حلّ
 فأضحت يدي قصدها واحد # إلى حيث حلّ فلم يرتحل

عاتبه أبو وائلة في لهوه فقال شعرا:

و قال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو وائلة قال: قلت لإبراهيم بن العباس: قد أخملت نفسك و رضيت أن تكون تابعا أبدا لاقتصارك على القصف و اللعب؛ فأنشأ يقول: /

إِثْمًا المرء صورة # حيث حلّت تناهت

أنا مذ كنت في التصرّف لي حال ساعتي

وهبه أخوه عبد الله ثلث ماله و أخته الثلث الآخر و شعره في ذلك:

أخبرنا محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني ابن السّخيّ قال:

وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله، و هب لأخته الثلث الآخر، فسار مساويا لهما في الحال؛ فقال إبراهيم: /

و لكنّ عبد الله لمّا حوى الغنى # و صار له من بين أخوته مال

رأى خلة منهم تسدّ بماله # فساهمهم حتى استوت بهم الحال

و هذا مما عيب على إبراهيم قوله ابتداء «و لكنّ عبد الله» . و قد كرّره في شعره فقال: و لكنّ الجواد أبا هشام # و فيّ العهد مأمون المغيب

بطيء عنك ما استغنيت عنه # و طلّاع عليك مع الخطوب

و السبب في ذلك اختياره شعره و إسقاطه ما لم يرضه منه.

عزله عن الأهواز:

و قرأت في بعض الكتب: لمّا عزل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيّات اعتقل بها و أوزي، و كان محمد قبل الوزارة صديقه، و كان يؤمّل منه أن يسامحه و يطلقه، فكتب إليه: فلو إذ نبا دهر و أنكسر صاحب # و سلط أعداء و غاب نصير

تكون عن الأهواز داري بنجوة # و لكن مقادير جرت و أمور

و إني لأرجو بعد هذا محمدا # لأفضل ما يرجى أخ و وزير

فأقام محمد على قصده و تكشّفه و الإساءة إليه حتى بلغ منه كلّ
مكروه، و انفرجت الحال بينهما على ذلك، و هجاه إبراهيم هجاء كثيرا.

أرسل ابن الزيات أبا الجهم للنكايّة به:

و أخبرني محمد بن يحيى الصّولي قال حدّثني أبو عبد الله الباقرانيّ أو
الطّالقانيّ قال حدّثني عليّ بن الحسين بن

عبد الأعلى قال:

وَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِأَبِي الْجَهْمِ أَحْمَدَ بْنَ سَيْفِ بْنِ الْأَهْوَازِ لِيَكْشِفَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ تَحَامُلًا شَدِيدًا. فَكَتَبَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ يَعْرِفُهُ ذَلِكَ وَيَشْكُوهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَبُو الْجَهْمِ كَافِرٌ لَا يِبَالِي مَا عَمِلَ، وَهُوَ الْقَائِلُ لَمَّا مَاتَ غَلَامَهُ يَخَاطِبُ مَلِكََ الْمَوْتِ: وَاقْبَلْتِ تَسْعَى إِلَى وَاحِدِي # ضَرَارًا كَأَنِّي قَتَلْتُ الرَّسُولَ

تركت عبيد بني طاهر # و قد ملئوا الأرض عرضا و طولا

فسوف أدين بترك الصلاة # و أصطحب الخمر صرفا شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم و قصده له يقول: ليس هذا الشعر لابي الجهم، إنما إبراهيم قاله و نسبه إليه.

مدح المتوكل ببيتين و غنى بهما جعفر بن رفة:

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفة قال حدّثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس و قال: قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل ببيتين، فغنّ فيهما و أشعهما، و دعا لي بطيب كثير فأعطانيه، و خلع عليّ خلة سرّية، فغنّيت فيهما. و البيتان:

صوت

ما واحد من واحد # أولى بفضل أو مرؤه

ممن أبوه و جدّه # بين الخلافة و النبوة

و أشعتهما و غنّيت فيهما المتوكل فاستحسنهما و وصله صلة سنّية.

لحن جعفر بن رفة في هذين البيتين رمل بالبنصر.

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه:

/أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدّثني أبي:

أن إبراهيم بن العباس الصّوليّ دخل على الرّضا لمّا عقد له المأمون و ولاه العهد، فأنشده قوله: أزال عزاء القلب بعد التجلّد # مصارع أولاد النبيّ محمد

-/ صلى الله عليه و سلم- فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه. فلم تزل عند إبراهيم، و جعل منها مهور نسائه، و خلف بعضها لكفنه و جهازه إلى قبره.

آذى إسحاق ابن أخى زيدان فهده فكف عنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني أبو العبّاس بن الفرات و الباقطانيّ قالا: كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخى زيدان صديقا لإبراهيم بن العبّاس، فأنسخه شعره في مدح الرّضا، ثم ولي إبراهيم بن العبّاس في أيام المتوكّل ديوان الصّياغ، فعزله عن ضياغ كانت بيده بحلوان، و طالبه بمال و جب عليه، و تباعد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العبّاس: و الله لئن لم يكف عمّا يفعله فيّ

لأخرجن قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل. فأحجم عنه إبراهيم و تلافاه، و وجه من ارتجع القصيدة منه و جعله على ثقة من أنه لا يظهرها، ثم أفرج عنه و أزال ما كان يطالبه به.

نادرته في ثقیل:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال: راكبت إبراهيم بن العباس، فلقينا رجل كان إبراهيم يستثقله، فسلم عليه. فلما مضى قال: يا أبا إسحاق إنه جرمي. فقلت: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد. فضحك و قال: إنما أردت قول الشاعر: تسائل عن أخي جرم # ثقیل و الذي خلقه

كتابه في شفاعه لرجل إلى بعض إخوانه:

أخبرني الصولي قال حدثني محمد [1] بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصولي قال: /كتب عمي إبراهيم بن العباس شفاعه لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، و يحسن ذكره، و يعني أمره، و الصنيعه عنده واقعه موقعها، و سالكة طريقها.

و أفضل ما يأتيه ذو الدين و الحجا # إصابة شكر لم يضع معه أجر

مدحه عبید الله بن يحيى عند المتوكل:

أخبرني عمي عن أبي العيلاء قال:

كان عبید الله بن يحيى يقول للمتوكل: يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العباس فضيلة خباها الله لك، و ذخيرة ذخرها لدولتك.

طلب إليه المتوكل وصف القدور الإبراهيمية و مجونهما في ذلك:

و ذكر عن علي بن يحيى:

أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدور الإبراهيمية، و كان ابتدئها؛ فكتب له صفتها، و كتب في آخرها في ذكر الأبايزر: «و وزن دانق» و نسي أن يكتب من أي شيء. فلما وصلت إليه الصفة اغتاض ثم قال لعلي بن يحيى: احلف بحياتي أن تقول له ما أمرك به، ففعل. فقال له: قل وزن دانق من أي شيء؟ أ من بظر أمك! قال علي بن يحيى: فدخلت إليه فقلت: إني جئت في رسالة عزيز علي أن أؤديها؛ فقال: هاتها، فأديتها. قال: فارجع إليه و قل له عني: يا سيدي، إن علي بن يحيى

أخي و صديقي و قد أدّى الرسالة؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدّانق من بظر أمّي و بظر أمّه جمعاً تفضّلت بذلك. فقلت: قبحك الله! و أنا أيش ذنبي! قال: قد أدّيت الرسالة و هذا جوابها. فدخلت إلى المتوكّل فقال: إيه ما قال لك؟ فقلت: قبح الله ما جئتك به! و أخبرته بالجواب؛ فضحك حتى فحص برجله و جعل يشرب عليه بقيّة يومه. و إذا لقينته قال لي: يا عليّ، وزن دانق أيش! فأقول: لعنة الله على إبراهيم.

[1] كذا في جميع الأصول هنا. و قد جاء في صفحة 55 في جميع الأصول أيضاً: «أحمد بن السخي» . و ليس لدينا ما يرجع إحدى الروايتين.

داعب الحسن بن وهب و شعره في ذلك:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال: دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس؛ فقال له: أركب و أجيئك عشياً فلا تنتظرني بالغداة. / فأبطأ عليه، و أسرع الحسن في شربه فسكر و نام، و جاء إبراهيم فرآه على تلك الحال، فدعا بدواة و كتب: رحنا إليك و قد راحت بك الرّاح # و أسرعت فيك أوتار و أقداح

قال: و حدّثني محمد بن موسى قال:

نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب و هو مخمور فقال له: عيناك قد حكنا مبيد # تك كيف كنت و كيف كانا

و لربّ عين قد آرت # ك مبيت صاحبها عيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا و طالبه بمثلها؛ فكتب إليه بأربعة أبيات و طالبه بأربعين بيتا. و أبيات إبراهيم: أ أبا عليّ خير قولك ما # حصّلت أنجعه و مختصره

ما عندنا في البيع من غبن # للمستقلّ بواحد عشرة

أنا أهل ذلك غير محتشم # أرضى القديم و أقتفي أثره

ها نحن و قيناك أربعة # و الأربعون لديك منتظره

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعت إبراهيم بن العباس و قد ليس سواده يوما يقول: يا غلام هات ذلك السيف الذي ما ضرّ الله به أحدا قطّ غيري.

كان يستثقل ابن أخيه و حكايات عنه في ذلك:

قال: و سأل يوما عن ابن أخيه طماس و هو أحمد بن عبد الله بن العباس ف قيل له: هو مشغول بطبيب و منجم عنده، و كان يستثقله، فقال قلّ له يا غلام: و الله ما لك في الناس طبع؛ و لا في السماء نجم، فما لك تكلف هذا التّكلف.

/أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أحمد بن السّخيّ قال:

أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كلّ أعور يمرّ في الطريق، فجمعوهم و وقفوهم و خرج و معه طماس، فلما رأى العور مجتمعين قال لطماس: كلهم مثلك، فاترك هذا الصّلف فإنه داعية إلى التّلف.

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني ميمون بن موسى قال:
قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس: تعال حتى نعدَّ البغضاء؛ قال:
ابدأ بي أوَّلا من أجل ابن أخي طماس ثم ثنَّ بمن شئت.

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعرا:

أخبرني الصّوليّ قال قال جعفر بن محمود:

ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس. فأمر الحسن بن مخلد [1] بأمر
فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال: معجب عند نفسه # و هو لي غير معجب

إن أقل لا يقل نعم # عاتب غير معتب

مولع بالخلاف لي # عامدا و التجب

قلت فيه بضد ما # قيل في أم جندب

يريد قول امرئ القيس:

«خليلي مزا بي على أم جندب»

أي فأنا لا أريد أن أمر بك.

تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه:

قال و أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ عن أبيه قال:
كان المتوكل قد ولى ابن الكلبيّ البريد، و أحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئا من
أمر الناس جميعا و لا من أمره هو في نفسه. فكتب إليه يوما أن امرأته/
خرجت مع حبّتها في نزهة، و أن حبّتها [2]/عريدت عليها فجرحتها في
صدغها. فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له: يا أمير
المؤمنين، قد صحّف ابن الكلبيّ، إنما هو: «جرحتها في سرمها» [3]،
فضحك المتوكل و قال: صدقت. ما أظن القصة إلا هكذا. قال: و لم يكن ابن
الكلبيّ هذا من العرب، إنما كان أبوه يلقّب «كلب الرّحل» فقيل له الكلبيّ.

استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني عمّي قال حدّثنا ميمون بن هارون قال: كتب إبراهيم بن
العبّاس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك و قد بلغت المدينة
المحرّ [4]، و عدت الأيام بك عليّ، بعد عدوي بك عليها، و كان أسوأ ظنيّ و
أكثر خوفاي، أن تسكن في وقت حركتها، و تكفّ عند أذاها، فصرت عليّ أضرّ
منها، و كفّ الصديق عن نصرتي خوفا منك، و بادر إليّ العدو تقربا إليك.

و كتب تحت ذلك:

أخ بيني و بين الدّه # ر صاحب أئنا غلبا

[1] هو الحسن بن مخلد بن الجراح. تولى «ديوان الضياع» للمتوكل بعد موت إبراهيم بن العباس هذا. (انظر الكلام عليه في «تاريخ الطبري»: ق 3 ص 1435 و 1444-1447 و 1647-1648).

[2] الحبة: المحبوبة.

[3] في الأصول: «صرمها» بالصاد. و هو تحريف.

[4] كذا في «معجم الأدباء» لياقوت. و في الأصول: «المحزة» .

صديقي

ما استقام فإن # نبا دهر عليّ نبا

و ثبت على الزمان به # فعاد به و قد وثبا

و لو عاد الزمان لنا # لعاد به أبا حدبا

قال و كتب إليه: أما و الله لو أمنت وذكّ لقلت؛ و لكني أخاف منك عتبا لا تنصفني فيه، و أخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي. و ما قد قدرّ فهو كائن، و عن كل حادثة أحوثة. و ما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطا حالة أنا في مكروهاها و ألمها أشدّ عليّ من أنّي فزعت إلى ناصري عند ظلم لحقني، فوجدت من يظلمني أخفّ نية في ظلمي منه، و أحمد الله كثيرا. ثم كتب في أسفلها: /

و كنت أخي بإخاء الزمان # فلما نبا صرت حربا عوانا

و كنت أذمّ إليك الزمان # فأصبحت فيك أذمّ الزمانا

و كنت أعدّك للنائبات # فأصبحت أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن عبد الملك و كان قد أغرى به الواثق:

أخبرني الصّوليّ قال أخبرني الحسين بن فهم قال:

كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواثق بإبراهيم بن العباس، و كان إبراهيم يعاتبه على ذلك و يداربه، ثم وقف الواثق على تحامله عليه فرفع يده عنه و أمر أن يقبل منه ما رفعه، و ردّه إلى الحضرة مصونا، فلما أحسّ إبراهيم بذلك بسط لسانه في محمد، و حسن ما بينه و بين [1] ابن أبي دواد. و هجا محمد بن عبد الملك هجاء كثيرا؛ منه قوله: قدرت فلم تضرر عدوّا بقدره # و سمت بها أخوانك الدّلّ و الرّغما

و كنت مليئا بالتي قد يعافها # من الناس من يأبى الدّنية و الدّما

تمادح هو و أبو تمام:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا ابن السّخيّ قال حدّثني الحسين بن عبد الله قال: سمعت إبراهيم بن العباس حدّثنا يقول لأبي تمام الطائي و قد أنشده شعرا له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعيّة لإحسانك. فقال له أبو تمام: ذلك لأنني أستضيء بك و أرد شريعتك.

اعتذر له إبراهيم بن المدبر عن أخيه فقال شعرا:

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيُّ قال سمعت إبراهيم بن المدبّر يقول:
جرى بين إبراهيم/بن العباس و بين أخي أحمد بن المدبّر شيء، و كان يوَدُّني
دون أخي؛ فلقيته فاعتذرت إليه عنه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق: [1] يعني بهذا
أن محمد بن عبد الملك كان يعادي أحمد بن أبي دواد يهجوّه. (انظر خبر
ذلك مفصلاً في ج 20 ص 51 من «الأغاني» طبع بلاق) .

صوت

خَلَّ التَّفَاقَ لِأَهْلِهِ # وَ عَلَيْكَ فَالْتَمَسَ الطَّرِيقَا
وَ إِذْهَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى # إِلَّا عَدُوًّا أَوْ صَدِيقَا

الغناء لأبي العبيس.

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة:

أخبرني الصُّولِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: أَنْصَرَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَوْمًا مِنْ دَارِ الْمُتَوَكِّلِ فَقَالَ لَنَا: أَنَا وَاللَّهِ مَسْرُورٌ بِشَيْءٍ مَغْمُومٍ مِنْهُ. فَقُلْنَا لَهُ: وَ مَا ذَلِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ؟ قَالَ: كَانَ أَحْمَدُ بْنُ الْمَدْبُرِّ رَفَعَ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَعْضَ عَمَّالِي أَقْتَطِعَ مَالًا، وَ صَدَّقَ فِي الَّذِي قَالَهُ، وَ كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ هَلَالَ الشَّهْرِ وَ نَحْنُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى وَجْهِهِ فَدَعَوْتُ لَهُ، وَ ضَحَكْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: إِنْ أَحْمَدُ قَدْ رَفَعَ عَلَيَّ عَامِلَكَ كَذَا وَ كَذَا فَاصْدُقْنِي عَنْهُ؛ فَصَاقَتْ عَلَيَّ الْحِجَّةُ، وَ خَفْتُ أَنْ أَحَقِّقَ قَوْلَهُ إِنْ اعْتَرَفْتُ، ثُمَّ لَا أَرْجِعُ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ فَيَعُودُ عَلَيَّ الْغَرَمُ، فَعَدَلْتُ عَنِ الْحِجَّةِ إِلَى الْحِيلَةِ فَقُلْتُ: أَنَا فِي هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قُلْتَ فَيْكَ:

صوت

رَدِّ قَوْلِي وَ صَدَّقِ الْأَقْوَالَ # وَ أَطَاعَ الْوَشَاةَ وَ الْعَدَّالَا
أُتْرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودٍ # وَ عَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالَ

قَالَ: لَا يَكُونُ وَ اللَّهُ ذَلِكَ بِحَيَاتِي يَا إِبْرَاهِيمَ! رَوَّ هَذَا الشَّعْرَ بِنَانَا حَتَّى يَغْيِبُنِي فِيهِ. فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي عَلَى الْإِلَّهِ يَطَالِبُ صَاحِبِي بِقَوْلِ أَحْمَدَ. فَقَالَ لِلْوَزِيرِ: تَقَبَّلْ قَوْلَ صَاحِبِهِ فِي الْمَالِ. فَسَرَرْتُ بِالظُّفْرِ، وَ اغْتَمَمْتُ لِبَطْلَانِ هَذَا الْمَالِ وَ ذَهَابِهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ، وَ لَعَلَهُ قَدْ جَمَعَ فِي زَمَنِ طَوِيلٍ وَ تَعَبٍ شَدِيدٍ.

سرق ابن دريد و ابن الرومي شعره:

أَنْشَدْتُ عَمِّي رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْبَاتَا لِابْنِ دَرِيدٍ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ: يَا مَنْ يَقْبَلُ كَفًّا كُلِّ مَخْرُوقٍ # هَذَا ابْنُ يَحْيَى لَيْسَ بِالْمَخْرُوقِ
قَبْلَ أَنْ يَمْلَهُ فَلَسْنَا أَنْامِلًا # لَكُنْهِنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فَقَالَ: يَا بَنِيَّ هَذَا سَرَقَهُ هُوَ وَ ابْنُ الرَّؤْمِيِّ جَمِيعًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ يَمْدَحُ الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ: لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ # تَقَاصِرُ عَنْهَا الْأَمَلُ

فباطنها للئدى # و ظاهرها للقبل
و بسطتها للغنى # و سطوتها للأجل

و سرقه ابن الرّوميّ فقال:

أصبحت بين خصاصة و مذلة # و الحز بينهما يموت هزيلا

فامدد إلي يدا تعود بطنها # بذل التدى و ظهورها التقبلا

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين:

أخبرني الصولي قال سمعت أحمد بن يحيى ثعلبا يقول:

كان إبراهيم بن العباس أشعر/المحدثين. قال: و ما روى ثعلب شعر كاتب قط قال: و كان يستحسن كثيرا قوله: لنا إبل كوم[1] يضيق بها الفضا # و يفتّر عنها أرضها و سماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا # و من دوننا أن تستباح دماؤها

حمى و قرى فالموت دون مرامها # و أيسر خطب يوم حق فناؤها

ثم قال: و الله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له.

مدح الحسن بن سهل:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول: كُنا بفم[2] الصلح أيام بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل؛ فقدم إبراهيم بن العباس علينا و دخل إلى الحسن بن سهل فأنشده: ليهنئك أصهار أذلت بعزّها # خدودا و جدّعت الأنوف الرّواغما

جمعت بها الشملين من آل هاشم # و حزت بها للأكرمين الأكارما

بنوك غدوا آل النبيّ و وارثو ال # خلافة و الحاوون كسرى و هاشما

فقال له الحسن: «شيشنة أعرفها[3] من أكرم» أي إنك لم تزل تمدحنا، ثم قال له: أحسن الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء لليسير من حقك.

قال شعرا في قينة اسمها «سامر» كان يهواها فغضبت عليه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة اسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه: و علمتني كيف الهوى و جهلته # و علمكم صبري على ظلمكم ظلمي

و أعلم ما لي عندكم فيردني # هواي إلى جهل فأقصر عن علمي

[1]الكوم: الإبل الضخمة العظيمة السنام، الواحد أكوم و الأنثى كوماء.

[2] فم الصلح: نهر كبير فوق واسط عليه عدة قرى و فيه كانت دار الحسن بن سهل. («معجم البلدان» لياقوت) .

[3] هذا مثل، قاله أبو أوزم الطائي و كان له ابن يقال له أوزم؛ قيل: كان عاقا فمات و ترك بنين، فوثبوا يوما على جدهم فأدموه، فقال: إن بني ضرّجوني بالدم # شنشنة أعرها من أوزم

من يلق آساف الرجال يكلم

شعره في قصر الليل:

أخبرني الصّوليّ قال:

سمعت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يعلم لقديم و لا لمحدث في قصر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس: /

و ليلة من الليالي الرّهر # قابلت فيها بدرها بيدر

لم تك غير شفق و فجر[1] # حتى تولّت و هي بكر الدّهر

تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد فاعتذر له بشعر:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: حدّثني أحمد بن بشر المرثديّ قال: كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دواد، فلما خرج من عنده لقيه محمد بن عبد الملك الزيات و هو خارج من داره؛ فتبيّن إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم يخاطبه في العاجل بشيء. فلما انصرف إلى منزله كتب إليه.

دعني أوصل من قطع # ت يراك بي إذ لا يراكا

إني متى أهرج لهج # رك لا أضرب به سواكا

و إذا قطعتك في أحي # ك قطعت فيك غدا أحاكا

حتى أرى متقسّما # يومي لذا و غدي لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه و شعره في ذلك:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني أبو العيّن قال: كنت عند إبراهيم بن العباس و هو يكتب كتابا، فنقط من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمّه؛ فتعجّبت من ذلك؛ فقال: لا تعجب، المال/فرع و القلم أصل، و من هذا السّواد جاءت هذه الثياب، و الأصل أحوج إليّ المراعاة من الفرع. ثم فكّر قليلا و قال: إذا ما الفكر ولد حسن لفظ # و أسلمه الوجود إلى العيان

و وشّاه فنمنمه مسدّ [2] # فصيح في المقال بلا لسان

تري حلل البيان منشّرات # تجلّى بينها صور المعاني

اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفا عنه بشفاعه هشام الخطيب:

أخبرني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن صالح بن النطّاح قال: [1] في ب

و س: «و بدر» .

[2] مسد: مصيب السداد.

لَمَّا عَزَمَ [1] المأمون على الفتك بالفضل بن سهل، و ندب له عبد العزيز بن عمران الطائي، و مؤنسا البصري، و خلفا المصري، و علي بن أبي سعد ذا القلمين، و سراجا الخادم، نمي الخبر إلى الفضل، فأظهره للمأمون و عاتبه عليه. فلمَّا قتل الفضل و قتل المأمون قتلته، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس، فطلبه فاستتر. و كان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران، و كان الفضل استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران، فأخبر به الفضل. قال: و تحمّل إبراهيم بالناس على المأمون، و جرّد في أمره هشاما الخطيب المعروف بالعباسي و كان جريئًا على المأمون لأنه ربّاه، و شخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل. فلقبه إبراهيم مستترا و سأله عمّا عمل في حاجته.

فقال له هشام: قد وعدني في أمرك بما تحبّ. فقال له إبراهيم: أظنّ أن الأمر على غير هذا! قال: و ما تظنّ؟ قال: محلّك عند أمير المؤمنين أجلّ من أن يعدك شيئًا فترضى بتأخيره، و هو أكرم من أن يعد مثلك شيئًا فيؤخّره، و لكنك سمعت ما لا تحبّ في فكرهت أن تغمّي به فقلت لي هذا القول، و أحسن الله على كل الأحوال جزاءك، فمضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم، فعجب من فطنته و عفا عنه. قال: و في هشام يقول إبراهيم بن العباس: من كانت الأموال ذخرا له # فإنّ ذخري أملي في هشام

فتى يقي اللّامة عن عرضه # و أنهب المال قضاء الدّمام

مدح الفضل بن سهل:

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو الحسين بن أبي البغل قال:

دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد، فقال هات، فأنشده: يمضي الأمور على بديهته # و تربه فكرته عواقبها

فيطلّ بصدورها و يوردها # فيعمّ حاضرها و غائبها

و إذا ألمّت صعبة عظمت # فيها الرزّة كان صاحبها

المستقلّ بها و قد رسبت # و لوت على الأيام جانبها

و عدلتها بالحقّ فاعتدلت # و وسعت راغبها و راهبها

و إذا الحروب غلت بعثت لها # رأيا تفلّ به كتائبها

رأيا إذا نبت السيوف مضى # عزم بها فشفى مضاربها

أجرى إلى فئة بدولتها # و أقام في أخرى نوادها
/و إذا الخطوب تأثلت و رست # هدّت فواصله نوائها
و إذا جرت بضميره يده # أبدت به الدّنيا مناقبها

و أنشدني عمّي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل و فيه غناء:
[1]راجع الطبري في هذه القصة (ق 3 ص 1025-1028) ففيها اختلاف عما
هنا. -

صوت

فلو كان للشكر شخص يبين # إذا ما تأمله الناظر

لمثّله لك حتى تراه # فتعلم أنّي امرؤ شاكر

الغناء لأبي العبيس ثقیل أوّل. و فيه لرذاذ ثاني ثقیل. حدّثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب التّوبختي قال حدّثني جماعة من عمومتي و أهلنا أن رذاذاً صنع في هذين البيتين لحنا أعجب به الناس و استحسّنه، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العبيس لحنا آخر، فسقط لحن رذاذ و اختار الناس لحن أبي العبيس.

مدح المتوكّل و ولاة العهود فأجازوه:

أخبرني حنظلة قال حدّثني ميمون بن هارون قال:

لما عقد المتوكّل لولاة العهود من ولده ركب بسرّ من رأى ركة لم ير أحسن منها، و ركب ولاة العهود بين يديه، و الأتراك بين أيديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكّل بمناطق الذهب، في أيديهم الطبرزينات[1] المحلاة بالذهب، ثم نزل في الماء فجلس فيه و الجيش معه في الجوانحيات[2] و سائر السفن، و جاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس، و أذن للناس فدخلوا إليه. فلما تكاملوا بين يديه، مثل إبراهيم بن العبّاس بين الصّفين، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فقال: و لما بدا جعفر في الخمي # س بين المطل[3] و بين العروس

بدا لا بسا بهما حلّة # أزيلت بها طالعات التّحوس

و لما بدا بين أحبابه # ولاة العهود و عزّ النفوس

غدا قمرا بين أقماره # و شمسا مكلّلة بالشموس

لإيقاد نار و إطفائها # و يوم أنيق و يوم عبوس

ثم أقبل على ولاة العهود فقال:

أضحت عرى الإسلام و هي منوطة # بالنّصر و الإعزاز و التأييد

بخليفة من هاشم و ثلاثة # كنفوا الخلافة من ولاة عهود

قمر توافت حوله أقماره # فحففن مطلع سعده بسعود

رفعتهم الأيام و ارتفعوا به # فسعوا بأكرم أنفس و جدود

قال: فأمر له المتوكّل بمائة ألف درهم، و أمر له ولاة العهود بمثلها.

[1] الطبرزين: آلة من السلاح تشبه الطبر (الفأس) أو هو الطبر بعينه. و هذا أصح لأن أصل معناه الطبر المعلق في السرج. فالفرس كان من عادتهم أن يعلقوا الطبر في السروج. (كتاب «الألفاظ الفارسية المعربة») .

[2] الجوانحيات: نوع من السفن كما هو ظاهر من السياق.

[3] المطل: اسم مكان أو قصر، كما هو ظاهر من السياق. و لم نقف عليه فيما بين أيدينا من معجمات البلدان.

فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني عمِّي قال: اجتمعت أنا و هارون بن محمد بن عبد الملك و ابن برد الخيار في مجلس عبید الله بن سليمان قبل وزارته، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه محاسنها، و يفضلها و يقدّمها. فقال له ابن برد الخيار: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس: أسد صار إذا هيّجته # و أب برّ إذا ما قدرا

/يعرف الأبعد إن أترى و لا # يعرف الأدنى إذا افتقرا

أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم و ترى لهم # عن جار بيتهم ازورار مناكب

و تراهم بسيوفهم و شفاهم # مستشرفين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقينهم # نهب العفاه و نهزة للراغب

فاذكره و افخر به، و إلاّ فأقلل من الافتخار و التّطاول بما لا طائل فيه؛ فجعل هارون. و قال عبید الله بن سليمان: لعمرى ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق و أبي عليّ، (يعني عمّه الحسن بن وهب) ثم أمر بعض كتّابه بكتب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار.

هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون:

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهنئ الحسن بن سهل بصهر المأمون: هنتك أكرومة جللت نعمتها # أعلت وليك و اجتت أعاديكأ

ما كان يحيا[1]بها إلا الإمام و ما # كانت إذا قرنت بالحقّ تعدوكأ

هجا محمد بن عبد الملك الزيات:

أخبرني عمِّي قال حدّثني محمد بن داود بن الجراح قال حدّثني أبو محمد الحسن بن مخلد قال: /أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيما و جوهرأ نفيسا، و قد رأى تغيرا من الواثق فخافه و فرّق ذلك في ثقاته من أهل الكرخ و معامليه من التجار. و كان إبراهيم بن العباس يعاديه و يرصد له بالمكاره لإساءته إليه، فقال أبياتا و أشاعها حتى بلغت الواثق يغريه به: نصيحة شانها وزير # مستحفظ سارق مغير

ودائع جمّة عظام # قد أسبلت دونها السّتور

تسعة آلاف ألف ألف # خلالها جوهر خطير
بجانب الكرخ عند قوم # أنت بما عندهم خبير
و الملك اليوم في أمور # تحدث من بعدها أمور
[1] كذا في جميع الأصول و لعلها «يحبو» .

قد شغلته محقرات # و صاحب الكارة [1] الوزير

مدح المعتز بشعر:

أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز و
فيه غناء:

صوت

سحور محاجر الحدقه # مليح و الذي خلقه
سواء في رعايته # مجانبه و من عشقه
لعيني في محاسنه # رياض محاسن أنقه
فأحياناً أنزّها # و طورا في دم غرقه

يقول فيها في مدح المعتز بالله:

فيا قمرا أضاء لنا # يلائي نوره أفقه
يشبّه سنا المعتز # ذو مقة إذا رمقه
أمير قلّد الرحم # ن أمر عباده عنقه
/ أو فضّله و طيّبه # و طهر في الوري خلقه

في الأربعة الأبيات الأول رمل ذكر الهشاميّ أنه لابن القصّار، و وجدته
في بعض الكتب لعريب.

هنأه أحمد بن المدبر و كان يحرض عليه فقال شعرا:

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر و قد
جاءه بعد خلاصة من النكبة مهتئا، و كان استعان به في أمر نكبته فقعده عنه،
و بلغه أنه كان يحرض عليه ابن الزيّات: و كنت أخي بالدهر حتى إذا نبا #
نبوت فلما عاد عدت مع الدهر

فلا يوم إقبال عددتك طائلا # و لا يوم إدار عدتك في وتر
و ما كنت إلا مثل أحلام نائم # كلا حالتك من وفاء و من غدر

عاتبه ابن المدبر فقال شعرا:

و أنشدني الصّوليّ له في أحمد بن المدبر أيضا و قد عاتبه أحمد بن
المدبر على شيء بلغه فقال: هب الزّمان رمانى # الشان في الخلان

فيمن رمانى لّما # رأى الزمان رمانى

و من ذخرت لنفسى # فصار ذخر الزمان

لو قيل لي خذ أمانا # من أعظم الحدثان

[1]الكارة: ما يجمع و يشد، و يعني بها السرة التي فيها المال.

لما أخذت أمانا # إلا من الإخوان

و من أخبار المعتضد بالله الجارية مجرى هذا الكتاب. المعتضد و غلامه بدر:

حدّثني عمّي عن جدّي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان، و كان يأنس بي أنسا شديدا لقديم الصّحبة و ائتلاف المنشأ: دعاني المعتضد يوما فقال: /أ لا تعاتب بدرا[1] على ما لا يزال يستعمله من التخرق في الثّفقات و الإثابات و الزيادات و الصّلات! و جعل يؤكّد القول عليّ في ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مسرفة و نفقات واسعة و صلوات سنّية و هو يأذن له في ذلك كله. فلما خرج رأي في وجهي إنكارا لما فعله بعد ما جرى بيني و بينه؛ فقال لي: يا عبيد الله قد عرفت ما في نفسك، و أنا و إياه كما قال الشاعر:

صوت

في وجهه شافع يمحو إساءته # من القلوب مطاع حيثما شفعا

مستقبل الذي يهوى و إن كثرت # منه الإساءة مغفور لما صنعا

و في هذين البيتين خفيف رمل.

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء في شعر الوليد بن يزيد:
حدّثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدّثني أحمد بن العلاء قال: غنّيت المعتضد:

كلّاني توجّاني # و بشعري غنّاني[2]

أطلقاني من وثاقي # و اشدداني بعناني

فاستحسنه جدّا، ثم قال لي: ويحك يا أحمد! أما ترى زهو الملك في شعره و قوله: كلّاني توجّاني # و بشعري غنّاني

و استعادته مرارا، ثم وصلني كلّ مرّة استعادته بعشرة آلاف درهم، و ما وصل بها مغنّيا قبلي/و لا بعدي.

قال: و استعادته منّي ستّ مرّات و وهب لي ستّين ألفا، و قال النّوشجانيّ: بل وصله بعشرة آلاف درهم مرّة واحدة.

[1] كان بدر هذا غلام المعتضد، و لاه الشرطة يوم ولي الخلافة، ثم و لاه بعد ذلك فارس. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ص 317، 328، 332، 335 ج 7)

. قتله المكتفي سنة 289 لأنه أبق أن بباعه. (انظر سبب مقتله بإسهاب في «تاريخ الطبري» ق 3 ص 2209-2216).

[2] هذا من شعر الوليد بن يزيد (انظر ج 7 ص 93 من هذه الطبعة).

صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم و الإناث

فأولهم و أتقنهم صنعة و أشهرهم ذكرا في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق[1] به تحققا شديدا و يتبذل نفسه و لا يستتر منه و لا يحاشي أحدا. و كان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر و على حال تصون عنه و ترفع، إلا أن يدعوه إليه الرشيد في خلوة و الأمين بعده. فلما أمّنه المأمون تهتك بالغناء و شرب النبيذ بحضرته و الخروج من عنده ثملا و مع المغنين، خوفا منه و إظهارا له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه و هتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. و كان من أعلم الناس بالنغم و الوتر و الإيقاعات و أطبعهم في الغناء و أحسنهم صوتا. و هو من المعدودين في طيب الصّوت خاصّة؛ فإنّ المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع و عمرو بن أبي الكّثّات و إبراهيم ابن المهديّ و مخارق. و هؤلاء من الطبقة الأولى، و إن كان بعضهم يتقدّم. و كان إبراهيم مع علمه و طبعه مقصّرا عن أداء الغناء القديم و عن أن ينحوه في صنعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً و يخففها على قدر ما يصلح[2] له و يفي بأدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملك و ابن ملك، أغني كما أشتهي و على ما ألتدّ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، و جعل للناس طريقا إلى الجسارة على تغييره. فالناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق و أصحابه ممّن كان ينكر تغيير الغناء القديم و يعظم الإقدام عليه و يعيب من فعله، فهو يغني الغناء القديم على جهته أو قريبا منها. و من أخذ بمذهب إبراهيم بن المهديّ أو اقتدى به مثل مخارق و شارية و ريق و من أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما/يشتهي هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه، و يجد على ذلك مساعدين ممّن يشتهي أن يقرب عليه مأخذ الغناء و يكره ما ثقل و ثقلت أدواره، و يستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته بقصر معرفته. و هذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن عني في هذا الوقت لا للمتقدّمين؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون و قد غيرّه من أخذوه عنه و أخذ ذلك أيضا عمّن غيرّه، حتى يمضي على هذا خمس طبقات أو نحوها. لم[3] يتأدّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتّة. و ممن أفسد هذا الجنس خاصّة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مخارق، و ما نفع الله أحدا قطّ بما أخذ عنه، و زرياب الواقفيّة فإنها كانت بهذه الصورة تغير الغناء كما تريد، و جوارى شارية و ريق. فهذه الطبقة على ما ذكرت. و من عداهم من الدّور بمثل[4] دور غريب و دور جواربها و القاسم بن زرور و ولده و دور بذل الكبرى و من أخذ عنها، و جوارى

البرامكة و آل هاشم و آل يحيى بن معاذ و دور آل الرّبيع و من جرى مجراهم ممّن [5]تمسّك بالغناء القديم و حمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي ممّن أخذ بذلك المذهب قليل من كثير، و على [6]أن/الجميع من [1]كذا في الأصول. و لعلها «يتحفى به تحفيا... إلخ» .

[2]في الأصول: «ما أصلح له» و هو تحريف.

[3]في الأصول: «فلم» .

[4]لعله: «مثل» .

[5]لعله: «فقد» .

[6]لعله: «على» .

الصحيح و المغيّر قد انقضى في عصرنا هذا.
فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهديّ:

صوت

هل تطمسون من السماء نجومها # بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة من ربكم # جبريل بلّغها النبيّ فقالها

طرفتك زائرة فحيّ خيالها # زهراء تخلط بالدلال جمالها

الشعر لمروان بن أبي حفصة. و الغناء لإبراهيم بن المهديّ، ثقیل أوّل
بالبنصر، و ذكر حبش أن فيه لآبن جامع لحنا ماخوريّا.

4- أخبار مروان بن أبي حفصة و نسبه

نسبه و شيء من أخبار آبائه:

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة. و يكنى أبا السَّمط. و اسم أبي حفصة يزيد. و ذكر التّوفليّ عن أبيه أنه كان يهوديّاً، فأسلم على يدي مروان بن الحكم. و أهله ينكرون ذلك و يذكرون أنه من سبي إصطخر[1]، و أنّ عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم. و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك. قال: و شهد أبو حفصة الدّار[2] مع مولاة مروان بن الحكم، و قاتل قتالا شديداً و قتل رجلا من أسلم يقال له بنان. و جرح مروان يومئذ، أصابته ضربة قطعت علباءه[3] فسقط، فوثب عليه أبو حفصة و احتمله، فجعل يحمله مرّة على عنقه و مرّة يجرّه، فيتأوّه؛ فيقول له:

اسكت و اصبر؛ فإنه إن علموا أنك حيّ قتلت. فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عنزة فداواه فيها حتى برئ؛ فأعتقه مروان و نزل له عن أمّ ولد له يقال لها سكر كانت له منها بنت يقال لها حفصة؛ فحضرها، فكنى أبا حفصة؛ فحفصة بنت مروان. قال: و كان مروان إذا ولي المدينة وجّه أبا حفصة إلى اليمامة- و كانت مضافة إلى المدينة- ليجمع ما فيها من المال و يحمله إليه. قال: فمرّ أبو حفصة بقربة من قرى اليمامة يقال لها العرض، فوقف على باب فاستسقى ماء، فخرجت إليه جارية معصر[4] فسقته فأعجبته؛ فسأل عنها ليشتريها؛ ف قيل له:

هي حرّة، و هي مولاة لبني عامر بن حنيفة. فمضى حتى قدم حجرا[5]، ثم تبعها نفسه/فتزوّجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت بيحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز. فلما وقعت فتنة ابن الرّبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام.

قال محمد بن إدريس و حدّثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنوب يقول: أمّ يحيى بن أبي حفصة لحناء[6] بنت ميمون من ولد النابغة الجعديّ، و إنّ الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب. قال: و شهد أبو حفصة مع مروان يوم الجمل و قاتل قتالا شديداً. فلما ظفر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مسمع فدخل داره و معه أبو حفصة، فقال لمالك: أغلق بابك. فقال له مالك: إنّ لم أمنعك و الباب مفتوح لم أمنعك و الباب مغلق. فطلب عليّ رضي الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهنية إلى أبي حفصة، و مضى مروان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، و قال لأبي حفصة: إنّ حدث حدث بصاحبك [1] إصطخر: بلدة بفارس، و هي من أعيان حصونها و مدنها.

[2] يريد دار عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، و ذلك أنه يوم هاجت الفتنة عليه لزم داره فحصره فيها حتى قتلوه و سمي ذلك بيوم الدار.

[3] العلباء: عصبة صفراء في صفحة العنق.

[4] أعصرت المرأة: بلغت عصر شبابها و أدركت.

[5] حجر: حاضرة اليمامة.

[6] في ابن خلكان (ج 2 ص 133) : «حيا بنت ميمون» .

فعليك بالرهينة. فلما أتى مروان علياً كساه كسوة، فكساها مروان أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة. و بلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب و قال: كسوته كسوة فكساها عبداً. و شهد أبو حفصة مع مروان مرج[1]أراھط، و كان له بلاء. و كان أبو حفصة شاعراً.

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أنّ أبا السّمط مروان بن أبي الجنوب أنشده لأبي حفصة يوم الدّار: و ما قلت يوم الدّار للقوم صالحوا # أجل لا، و لا اخترت الحياة على القتل

و لكنني قد قلت للقوم جالدوا # بأسيا فكم لا يخلصنّ إلى الكهل

/قال: و أنشدني لأبي حفصة أيضاً:

لست على الرّحام بالأصر[2] # إني لوّاد حياض الشّر

معاود للكّر بعد الكّر

قال يحيى و أخبرني محمد بن إدريس قال:

عكل تدّعي أنّ أبا حفصة منهم، يقولون: هو من كنانة بن عوف بن عبد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر، و قد كانوا استعدوا عليه مروان بن الحكم، و قالوا: إنما باعته عمّته لمجاعة؛ فأبى هو أن يقّرّ لهم بذلك. ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضاً؛ فأبى إلاّ أنه رجل من العجم من سبي فارس، نشأ في عكل و هو صغير.

قال محمد بن إدريس: و ولد السّموعل بن عادياء يدّعون، و السّمواأل من غسان. قال محمد: و زعم أهل اليمامة و عكل و غيرهم أنّ ثلاثة نفر أتوا مروان بن الحكم و هم أبو حفصة و رجل من تميم و رجل من سليم، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم؛ فاستعدى أهل بيوتاتهم عليهم، فأقرّ أحدهم و هو السّلميّ أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه و أنه من العرب؛ فدرسّ إليه مروان من قتله. فلمّا رأى ذلك الآخران ثبتا على أنهما موليان لمروان. فأخبرني الحسين بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: زعم المدائنيّ أنه كان لأبي حفصة ابن يقال له مروان سمّاه مروان بن الحكم باسمه، و ليس بالشاعر، و أنه كان شجاعاً مجرّباً، و أمّدّ به عبد الملك بن مروان الحجّاج و قال له: قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة و هو يعدل ألف رجل. فشهد معه محاربة ابن الأشعث، فأبلى بلاء حسناً و عقرت تحته عدّة خيول، فاحتسب بها الحجّاج عليه من عطائه. فشكاه إلى عبد الملك و

ذمّ الحجاج عنده؛ فعوّضه مكان ما أغرمه الحجاج. و كان يحيى جدّ مروان بن سليمان جوادا ممدّحا.

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة:

أخبرنا محمد العباس اليزيديّ قال حدّثنا أبو سعيد السّكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال: أراد جرير أن يوجّه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره، فأتى يحيى بن أبي حفصة فأودعه إيّاه، ثم بلغ بلالا أنّ بعض بني أمية يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كلفت هذا القرشيّ أمري! فقال له جرير: [1]مرج راهط: في غوطة دمشق من ناحية الشرق، و فيه كانت الواقعة بين مروان بن الحكم و الضحاك بن قيس داعية ابن الزبير، فقتل مروان فيها الضحاك و خلصت له الخلافة.

[2]من الصرير يقال: صر الرجل إذا صاح صياحا شديدا.

أ زادا سوى يحيى تريد و صاحباً # ألا إن يحيى نعم زاد المسافر
/و ما تأمن الوجناء[1]وقعة سيفه # إذا أنفضوا[1]أو قلّ ما في الغرائر

يحيى بن أبي حفصة يتزوَّج بنت زياد بن هوزة:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال:

تزوَّج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوزة بن شمّاس بن لأي بن أنف الناقة؛ فاستعدى عليه عمّاها عبد الملك بن مروان و قالاً: أ ينكح إبراهيم بن عديّ و هو من كنانة منك و إليك بنتها، و ينكح هذا العبد هذه!.

فقال عبد الملك: بل العبد ابن العبد و الله إبراهيم بن عديّ-و كان مغمور النسب في الإسلام-و الله لهذا أشرف منه، و إن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها و لا لأبيكما، و ما أحبّ أن لي يحيى ألفاً منكما. و الله لو تزوّج بنت قيس بن عاصم ما نزعته مني. و من زوّجه فقد زوّج ابني هذا، و أشار إلى ابنه سليمان. فخرجا و تخلف يحيى بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أنضيا ركابهما و أخلقا ثيابهما و التزما مئونة في سفرهما، فإن رأي أمير المؤمنين أن يعوّضهما عوضاً! فقال: أبعد ما قالا فيك!! قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بل أعطيك أنت ما سألت لهما و تعطيهما ما شئت. فكساه و وصله و حمّله. فخرج يحيى إليهما ففرّق ذلك عليهما، و زوّج ابنه سليمان بنت أحدهما، و ولدت بنت زياد منه أولادا.

يهنئ الوليد بن عبد الملك و يعزيه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الفضل اليزيديّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال: دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لمّا بوع له بالخلافة بعد أبيه، فهنّاه و عزّاه و أنشده: إن المنايا لا تغادر واحدا # يمشي ببرّته و لا ذا جنّه

لو كان خلق للمنايا مفلتا # كان الخليفة مفلتا منه

بكت المنابر يوم مات و إنما # بكت المنابر فقد فارسه

لمّا علاه الوليد خليفة # قلن ابنه و نظيره فسكته

لو غيره قرع المنابر بعده # لنكرنه فطرحنه عنهنّ

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقري فهجاه القلاح فرد عليه:

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العنزيّ قال:

خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلحة بن قيس بن عاصم المنقريّ ابنته و أختيه، فأنعم[2] له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان و عمر و جميل، فأتوه بالجفر[3] فزوَّجهن بنيه ثلاثهم، و دخلوا بهنّ ثم حملوهن إلى حجر. فقال القلاح بن حزن المنقريّ في ذلك: [1]الوجناء: الناقة الشديدة. و أنفض القوم: أرمّلوا، و قيل هلكت أموالهم و فني زادهم.

[2]أنعم له: أفضل و قال نعم.

[3]جفر: علم على أسماء مواضع كثيرة. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام عليه) .

سلام على أوصال قيس بن عاصم # و إن كنّ رمسا في التراب بواليا
أضيّعتموا خيلا عرابا فأصبحت # كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أر أبرادا أجّر لخزية # و ألام مكسوّا و ألام كاسيا
من الخرّ و اللائي بحجر عليكم # نشرن فكنّ المخزيات البواقيا

/فقال يحيى يردّ عليه:

ألا قبح الله الفلاح و نسوة # على البئر يعطشن الكلاب من التّن
نكحنا بنات القرم قيس بن عاصم # و عمدا رغينا عن بنات بني حزن
/أبا كان خيرا من أبيك أرومة # و أوسط في سعد و أرجح في الوزن
لبيت بني حزن من الدّلّ وهنة # كوهنة بيت العنكبوت التي تبني
و لم تر حزنيّا، و لو ضمّ أربعا # و أبرز[1]، في فرج يعفّ و لا بطن
و ضيف بني حزن يجوع و جارهم # إذا أمن الجيران ناء من الأمن

يذكر خروج ابن المهلب:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج
يزيد بن المهلب و يتأسّف على الحجّاج: لا يصلح الناس إلا السيف إذ فتنوا #
لهفي عليك و لا حجّاج للدين

لو كان حبّا غداة الأزدي نكثوا # لم يحص قتلهم حسّاب ديرين
لم تأته الأزدي عند الباب تربصه # مثل الجراد تنزّي في التّباين[2]
من كلّ أفحج[3] ذي حنف مخالفة # أرفت به السّفن علجا غير مجنون

قال أبو أحمد: و أنشدني ليحيى في سفیان بن عمرو و إلى اليمامة:

لقد عصاني ابن عمرو إذ نصحت له # و لو أطعت[4] لما زلّت به القدم
لو كنت أنفخ في فحم لقد وقدت # ناري و لكن رماد ماله حمم

بخل مروان بن أبي حفصة و نوادر له في ذلك:

و ليحيى أشعار كثيرة؛ و إنما ذكرنا هاهنا منها ما ذكرنا لنعرف أعراق
مروان في الشعر. و كان مروان أبخل الناس على يساره و كثرة ما أصابه
من الخلفاء، لا سيّما من بني العبّاس، فإنه كان رسمهم أن يعطوه بكل بيت
يمدحهم به ألف درهم.

[1]أبرز: اتخذ الأبريز و هو الذهب الخالص يريد باتخاذ الإبريز كثرة

المال.

[2] تربصه: تنتظره. و التباين: جمع تبان، و هو سراويل صغير، فارسي
معرب.

[3] الأفحج: ذو الفحج، يقال رجل أفحج و امرأة فحجاء. و الفحج هو
تداني صدور القدمين و تباعد العقبين. و الحنف: اعوجاج الرجل إلى الداخل.
و أرفق السفينة: دنت من الشط. و غير مجنون: غير مغطى، من جنه
الشيء إذا ستره يريد علجا لا شك فيه.

[4] في الأصول: «اطقت» بالقاف و ظاهر أنه مصحف عما أثبتناه.

أخبرنا أحمد بن عمّار و قال حدّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال سمعت أبي يقول: كان المهديّ يعطي مروان و سلما الخاسر عطية واحدة، و كان سلم يأتي باب المهديّ على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم، و السّرح و اللجام المقذوزين[1]؛ و لباسه الخزّ و الوشيّ و ما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، و رائحة المسكّ و الغالية و الطيب تفوح منه، و يجيء مروان و عليه فرو كبش، و قميص كرايبس[2] و عمامة كرايبس، و خفا كبل[3] و كساء غليظ منتن الرائحة، و كان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقرم[4] إليه، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله. فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرءوس في الصّيف و الشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، و لا يستطيع الغلام أن يغبني فيه، و ليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مسّ عينا أو أذنا أو خدّا و قفت عليه، فأكل منه ألوانا، أكل عينيه لونا، و أذنيه لونا، و غلصمته[5] لونا، و أكفى مئونة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقريّ قال حدّثني موسى بن يحيى قال: أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، و جمع إليها مالا حتى تمّت مائة و خمسين ألف درهم، و أودعها يزيد بن مزيد.

/قال: فبينما نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، و كانت فيه دعاية، فقال: يا أبا عليّ أودعني مروان خمسين و مائة ألف درهم و هو يشتري الخبز من البقال. قال فغضب يحيى ثم قال: عليّ/بمروان، فأتي به. فقال له: أخبرني أبو خالد لما أودعته من المال و ما تتباعه من البقال، و الله لما يرى من أثر البخل عليك أضّر من الفقر لو كان بك.

أخبرنا يحيى قال و حدّثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقريّ عن موسى بهذا الخبر، إلا أنه قال: فقال له يحيى: يا مروان، و الله لا بالبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صرت إليه، فلا تبخل.

أخبرنا يحيى قال حدّثني عمر بن شبة قال:

بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فرحت بشيء قطّ فرحي بمائة ألف و هبها لي أمير المؤمنين المهديّ، فوزنتها فزادت درهما فاشترت به لحما.

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال: أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمرا، و أرسل غلامه بفلس و سكرجة [6] ليشتري له زيتا. فلما جاء بالزيت قال لغلامه: خنتني! قال: من فلس كيف أخونك! قال: أخذت الفلس لنفسك و استوهبت الزيت.

[1]المقذوذ: المزين المسوي.

[2]الكرابيس: جمع كرباس و هو هنا الثوب الخشن.

[3]الكبل: الكثير الصوف من الفراء.

[4]كذا في أ، ح و قرم إلى اللحم اشتدت شهوته له. و في «الأصول» : «يقدم» بالبدال المهملة و هو تحريف.

[5]الغلصمة: اللحم بين الرأس و العنق، و قيل رأس الحلقوم بشواربه.

[6]السكرجة: الصفحة. -

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوْزِيِّ عنه قال: مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته و هو يريد مني [1] بامرأة من العرب فأضافته، فقال: لله عليّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهما، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاهم أربعة دوانق.

/أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال:

اشترى مروان لحما بنصف درهم، فلما وضعه في القدر و كاد أن ينضج، دعاه صديق له، فردّه على القصاب بنقصان دانق. فشكاه القصاب و جعل ينادي: هذا لحم مروان، و ظنّ أنه يأنف لذلك. فبلغ الرشيد ذلك فقال: ويلك! ما هذا! قال: أكره الإسراف.

قصة له مع أبي الشمقمق:

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال:

أنشدت لرجل من بني بكر بن وائل في مروان:

و ليس لمروان على العرس غيره # و لكنّ مروانا يغار على القدر

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفّان قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ قال: فرّق المهديّ على الشعراء جوائز، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشّمقمق فقال له: أجزني من الجائزة. فقال له: أنا و أنت نأخذ و لا نعطي. قال: فاسمع منّي بيتين. قال: هات. فقال أبو الشّمقمق: لحية مروان تقي عنبرا # خالط مسكا خالصا أذفرا [2]

فما يقيمان بها ساعة # إلاّ يعودان جميعا خرا

فأمر له بدرهمين. و أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة عن أبي هفّان فذكر مثل الخبر الماضي و زاد فيه. فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه و لا تكن رواية الصّبيان.

مدح الهادي فداعيه في المعجل و المؤجل و وصله:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب عن جدّي عبد الله بن مصعب قال.

/دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قوله فيه: تشابه يوما بأسه و نواله # فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي: أيما أحب إليك: أ ثلاثون ألفا معجّلة أم مائة ألف تدوّن في الدّواوين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تحسن ما هو خير من هذا و لكنك نسيت، أ فتأذن لي/ أن أذكرك؟ قال نعم. قال: تعجّل لي الثلاثين ألفا و تدوّن المائة الألف [3] في الدّواوين. فضحك و قال: بل يعجّلان جميعا؛ فحمل المال إليه أجمع.

[1] كذا في م. و في ب، ح، س: «و هو يريد مغني امرأة» . و في أ: «و هو يريد مغني بامرأة» و كلاهما تحريف.

[2] الأذفر: الجيد من المسك.

[3] في الأصول المائة ألف.

مدح المهدي فلحنه اليزيدي فاعترض على سوء أدبه:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني سليمان بن جعفر قال حدّثني أحمد بن عبد الأعلى قال: اجتمع مروان بن أبي حفصة و أبو محمد اليزيديّ عند المهديّ؛ فابتدأ مروان ينشد: طرقتك زائرة فحيّ خيالها

فقال اليزيديّ: لحن و الله و أنا أبو محمد. فقال له مروان: يا ضعيف الرأي أ هذا لي يقال! ثم قال: بيضاء تخلط بالجمال دلالتها

فقال له [1] بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أ يتكّنى في مجلسك! (يعني اليزيديّ) فقال: اعدروا شيخنا، فإن له حرمة.

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجاب:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومتي إليه.

قال: فأخبرني عنه. قال: / فذهبت أتزحزح. فقال لي: إنّ أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت.

فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس و أشدّهم و أشعرهم و أجودهم. دخلت عليه مع عمومتي و لي لمة فينانة، فجعل يغمز القضيب فيها و يقول: ولدتك سكر؟- و هي أمّ ولد لمروان بن الحكم فوهبها [2] لجدّي أبي حفصة فولدت منه- فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته ينشد في خلافته و ذكر هشاما و تحامله عليه و ما كان يريد من نقض أمره و ولايته: ليت هشاما عاش حتى يرى # مكتله [3] الأوفر قد أترعا

كلنا له الصاع التي كالحا # و ما ظلمناه بها أصوعا

و ما أتينا ذاك عن بدعة # أحله الفرقان لي أجمعا

فقال الرشيد: يا غلام، الدواة و القرطاس، فأتي بهما، فأمر الأبيات فكتبت.

فضل خلف الأحمر شعرا له على شعر للأعشى:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني خلاد الأرقط قال: جاءنا مروان بن أبي حفصة

إلى حلقة يونس، فأخذ بيد خلف الأحمر فأقامه، و أخذ خلف بيدي فقمنا إلى دار أبي [4] عمير فجلسنا في الدهليز. فقال مروان لخلف: نشدتك الله يا أبا محرز إلا نصحتني في شعري فإن [1] كذا في الأصول و لعلها من زيادات النساخ.

[2] كذا ب: الأصول و لعله «وهبها» .

[3] المکتل: زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر و غيره يسع خمسة عشر صاعا.

[4] في ج: «ابني عمير» .

الناس يخدعون في أشعارهم، و أنشده قوله:

طرقتك زائرة فحيّ خيالها # بيضاء تخلط بالجمال دلالتها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سميّة غدوة أجمالها

/فقال له مروان: أ تبلغ بي الأعشى هكذا! و لا كلّ ذا! قال: ويحك! إنّ
الأعشى قال في قصيدته هذه: فأصاب حبة قلبها و طحالها
و الطّحال ما دخل قطّ في شيء إلا أفسده، و أنت قصيدتك سليمة
كلّها. فقال له مروان: إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول،
أقولها في أربعة أشهر، و أنتخلها[1] في أربعة أشهر، و أعرضها في أربعة
أشهر.

عرض شعرا له على يونس فمدحه و فضله على شعر للأعشى:

و أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن
إسماعيل عن محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد و حدّثني به
الرياشيّ عن الأصمعيّ قال: جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، /
فسلم ثم قال لنا: أيكم يونس؟ فأومأنا إليه. فقال له: أصلحك الله! إني أرى
قوما يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم سواته ثم يمشي كذلك في الطريق
أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر. و قد قلت شعرا أعرضه عليك، فإن
كان جيّدا أظهرته، و إن كان رديئا سترته. فأنشده قوله: طرقتك زائرة فحيّ
خيالها

فقال له يونس: يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت و الله فيه أشعر
من الأعشى في قوله: رحلت سميّة غدوة أجمالها

فقال له مروان: سررتني و سوّنتني. فأما الذي سررتني به فارتضاؤك
الشعر. و أمّا الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى و أنت تعرف محله.
فقال: إنما قدّمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها:
فأصاب حبة قلبها و طحالها

و الطّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، و قصيدتك سليمة من هذا و
شبهه.

قال الأصمعيّ إنه مولد و لا علم له باللغة:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العباس بن ميمون طائع قال: سمعت الأصمعيّ ذكر مروان بن أبي حفصة فقال: كان مولداً، لم يكن له علم باللغة.

أنشد شعر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني أحمد بن عبيد الله عن العتبيّ قال حدّثني بعض أصحابنا قال: [1] في الأصول: «أنتحلها» بالحاء المهملة و هو تصحيف.

أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال:

الأعشى أشعر الناس، ثم أنشد شعراً لامرئ القيس فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناس والله أشعر الناس. أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد، حتى ينتقل إلى شعر غيره.

**اشترى من أعرابي شعراً مدح به مروان بن محمد فمدح هو به
معن بن زائدة فأكرمه:**

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ قال حدّثني أبي قال:

اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد، وإن قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه، أوّله:

مروان يا ابن محمد أنت الذي # زيدت به شرفاً بنو مروان

فأعجبت القصيدة، فأمهل الباهليّ حتى قام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعت قصيدتك وأعجبتني، و مروان قد مضى و مضى أهله وفاتك ما قد رمته [1]عنده؛ أ تبيعي القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى عليك و أنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلاثمائة درهم. قال: قد ابتعتها؛ فأعطاه الدراهم و حلفه بالطلاق/ثلاثاً و بالأيمان المحرّجة ألاّ ينتحلها أبداً و لا ينسبها إلى نفسه و لا ينشدها، و انصرف بها إلى منزله، فغيّر منها أبياتاً و زاد فيها، و جعلها في معن، و قال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زيدت به # شرفاً إلى شرف بنو شيان

و وفد بها إلى معن بن زائدة فملاً يديه، و أقام عنده مدة حتى أثرى و اتّسعت حاله. فكان معن أوّل من رفع ذكره و نوّه به. قال: و له فيه مدائح بعد ذلك شريفة و مرات حسنة.

نقل قصة فرار معن أن عبداً أسود طلقه تكريماً بعد ما عرفه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن نعيم البلخيّ أبو يونس قال حدّثني مروان بن أبي حفصة و كان لي صديقاً قال:

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا، و جعل فيه مالا؛ فحدّثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطرّ لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوّحت وجهه، و خفف عارضيه و لحيته، و لبس جبّة صوف غليظة، و ركب جملا من الجمال الثقال ليمضي إلى البادية فيقيم بها، و كان قد أبلى في حرب [2] يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسنا غاظ المنصور و جدّ في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب [3] تبعني أسود متقلدا سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض عليّ خطام جملي فأناخه و قبض عليّ؛ فقلت له: مالك؟ قال: أنت طلبة أمير المؤمنين. قلت: و من أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا اتق الله! و أين أنا من معن! قال: دع هذا عنك فأنا و الله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصّة كما تقول/ فهذا جوهر حملته معي [1] في جـ: «ما قدرته» .

[2] هو يزيد بن عمر بن هبيرة. أبو خالد أحد رجالات بني أمية و فرسانهم و ولاتهم، أبلى مع مروان بن محمد في الدعوة العباسية، قتله أبو جعفر المنصور سنة 132 هـ (انظر الكلام عليه في الطبري ق 2 ص 1363، 1372، 1913-1916، ق 3 ص 61-73) .

[3] موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي و يعرف بالراوندي أحد قوّاد أبي جعفر المنصور. (انظر «معجم البلدان» لياقوت في الكلام على الحربية) .

يفي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي، فخذَه و لا تسفك دمي.
قال: هاته فأخرجته إليه؛ فنظر إليه ساعة و قال:

صدقت في قيمته، و لست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني
أطلقتك. فقلت: قل. قال: إن الناس قد و صفوك بالجود، فأخبرني هل
وهبت قط مالك كله؟ قلت لا. قال: فنصفه؟ قلت لا. قال: فثلثه؟ قلت لا.

حتى بلغ العشير فاستحييت فقلت: أظنُّ أئبي قد فعلت هذا. فقال: ما
أراك فعلته! أنا و الله راجل، و رزقي من أبي جعفر عشرون درهما، و هذا
الجوهر قيمته آلاف دنانير، و قد وهبته لك، و وهبتك لنفسك و لجودك المأثور
عنك بين الناس، و لتعلم أن في الدنيا أجود منك، فلا تعجبك نفسك و لتحقر
بعد هذا كل شيء تفعله، و لا تتوقف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حجري
و خلّي خطام البعير و انصرف. فقلت: يا هذا قد و الله فضحتني، و لسفك
دمي أهون عليّ ممّا فعلت، فخذ ما دفعته إليك فأئبي غنيّ عنه. فضحك ثم
قال: أردت أن تكذِّبني في مقامي هذا، و الله لا أخذه و لا أخذ بمعروف ثمنا
أبدا، و مضى. فو الله لقد طلبته بعد أن أمنت و بذلت لمن جاءني به ما شاء
فما عرفت له خبرا، و كأن الأرض ابتلغته.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة:

قال: و كان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان
يوم الهاشمية [1]، فلما وثب القوم على المنصور و كادوا يقتلونه، وثب معن
و هو مثلثم فانتضى سيفه و قاتل فأبلى بلاء حسنا، و ذبّ القوم عنه حتى نجا
و هم يحاربونه بعد، /ثم جاء و المنصور راكب على بغلة و لجامها بيد الربيع؛
فقال له: تنحّ فأئبي أحقّ باللجام منك في هذا الوقت و أعظم فيه غناء. فقال
له المنصور: صدق فادفعه إليه؛ فأخذه و لم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك
الحال. فقال له المنصور: من أنت لله أبوك؟ قال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين
معن بن زائدة.

قال: قد أمّنتك الله على نفسك و مالك، و مثلك يصطنع. ثم أخذه معه و
خلع عليه و حباه و زينه. ثم دعا به يوما و قال له: إئبي قد أمّنتك لأمر، فكيف
تكون فيه؟ قال: كما يحبّ أمير المؤمنين-قال: قد وليتك اليمن، فابسط
السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة و اليمن-قال: أبلغ من ذلك ما يحبّ
أمير المؤمنين. فولاه اليمن و توجّه إليها فبسط السيف فيهم حتى أسرف.

عاتب المنصور معنا على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو:

قال مروان: و قدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لو لا مكانك عنده و رأيه فيك لغضب عليك. قل: و ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما تعرّضت لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله/فيك:

معن بن زائدة الذي زيدت به # شرفا إلى شرف بنو شيبان

إن عدّ أيام الفعّال فإثما # يوماه يوم ندى و يوم طعان

فقال: و الله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغك لهذا الشعر، و إنما أعطيته لقوله:

ما زلت يوم الهاشميّة معلما # بالسيف دون خليفة الرحمن

[1]الهاشمية: مدينة بناها السفاح بالكوفة. و ذلك أنه لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة و استتم بناءه و جعله مدينة و سماها الهاشمية.

فلما توفي دفن بها. و استخلف المنصور فنزلها و استتم بناء كان بقي فيها و زاد فيها ما أراد. و كانت فيها وقعة بين أبي جعفر المنصور و الراوندية، و هم قوم يقولون بتناسخ الأرواح و يزعمون أن روح آدم حلت في أحد رجالات المنصور، و أن ربهم الذي يطعمهم و يسقيهم هو أبو جعفر المنصور و أن الهيثم بن معاوية جبريل. (راجع «معجم البلدان» لياقوت و «تاريخ الطبري» ق 3 ص 129، 131).

فمنعت حوزته و كنت و قاءه # من وقع كل مهتد و سنان

فاستحيا المنصور و قال: إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! و الله لو لا مخافة التُّقمة [1] عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال و أبحتة إياها، فقال له المنصور: لله درك من أعرابي! ما أهون عليك ما يعز على الرجال و أهل الحزم!

مدح المهدي فرده لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأجازه مائة ألف درهم:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة و قد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر و غيره، فأنشده مديحا فيه، فقال له: و من أنت؟ قال: شاعرك يا أمير المؤمنين و عبدك مروان بن أبي حفصة. فقال له المهدي: أ لست القائل: أقمنا باليمامة بعد معن # مقاما لا نريد به زوالا

و قلنا أين نرحل بعد معن # و قد ذهب التوال فلا نوالا

قد ذهب التوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا، جرّوا برجله؛ فجرّوا برجله حتى أخرج. قال: فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء- و إنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرّة- فمثل بين يديه و أنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء: طرقتك زائرة فحيّ خيالها # بيضاء تخلط بالجمال [2] دلالتها

قادت فؤادك فاستقاد و مثلها # قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال: فأنصت الناس لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تلمسون من السماء نجومها # بأقكم أو تسترون هلالها

أو تجدون مقالة عن ربكم # جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الأنفال آخر آية [3] # بترائهم فأردتم إبطالها

/قال: فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجابا بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أول مائة ألف درهم أعطيتها شاعر في أيام بني العباس.

مدح الرشيد فرده لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفا:

قال: و مضت الأيام و ولي هارون الرشيد الخلافة، فدخل إليه مروان؛
فرايته واقفا مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها. فقال له: من أنت؟
قال: شاعرك و عبدك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة. قال له:
[1] في جـ «الشنعة» .

[2] في جـ في هذا الموضع: «بالحياء» .

[3] يريد قوله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا
مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي
كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ .**

أ لست القائل في معن بن زائدة! و أنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهديّ، ثم قال: خذوا بيده فأخرجوه، لا شيء لك عندنا، فأخرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلطّف حتى دخل؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها: /

لعمرك ما أنسى غداة المحضّب # إشارة سلمى بالبنان المحضّب

و قد صدر الحجّاج إلّا أقلهم # مصادر شتى موكبا بعد موكب

قال: فأعجبته، فقال: كم قصيدتك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألّوفا. فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات.

مدح المهدي في الرصافة فأجازه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ عن إسحاق قال:

دخل مروان بن أبي حفصة على المهديّ في أوّل سنة قدم عليه. قال: فدخلت عليه في قصره بالرّصافة فأنشدته قولي فيه: أمرّ و أحلى ما بلا الناس طعمه # عذاب أمير المؤمنين و نائله

فإنّ طليق الله من أنت مطلق # و إنّ قتيل الله من أنت قاتله

كأنّ أمير المؤمنين محمدا # أبو جعفر في كلّ أمر يحاوله

قال: فأعجب بها، و أمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلة أوّل صلة سنّية وصلت إليّ في أيام بني هاشم.

مدح المهدي و ذم عنده يعقوب بن داود فأجازه من خالص ماله:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عبد الله العبيديّ الراوية قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت على المهديّ في قصر [1]السلام، فلما سلمت عليه، و ذلك بعقب سخطه على يعقوب [2]بن داود، قلت [3]: يا أمير المؤمنين إنّ يعقوب رجل رافضيّ و إنه سمعني أقول في الوراثة: أتى يكون و ليس ذاك بكائن # لبني البنات وراثة الأعمام

فذلك الذي حمّله على عداوتي. ثم أنشدته:

كأنّ أمير المؤمنين محمدا # لرأفته بالناس للناس والد

على أنه من خالف الحقّ منهم # سقته يد الموت الحنوف الرّواصد

ثم أنشدته:

[1] كذا في الأصول. و الذي في كتابي ما يعول عليه في «المضاف و المضاف إليه» و «معجم البلدان» لياقوت أن قصر السلام من أبنية الرشيد بن المهدي بالرقعة. و الذي بناه المهدي هو قصر السلامة و هو القصر الذي بناه بالأجر في عيساباذ الكبرى (انظر «تاريخ الطبري» ق 3 ص 502، 517)

[2] هو يعقوب بن داود السلمي، كان وزير للمهدي ثم غضب عليه و سجنه في المطبق و ما زال به حتى أيام هارون الرشيد. و قد ذكره أبو الفرج في ترجمة بشار بن برد في «الأغاني» (ج 3 من هذه الطبعة).

[3] في الأصول: «فقلت» .

أحيا أمير المؤمنين محمد # سنن النبي حرامها و حلالها

قال فقال لي المهدي: و الله ما أعطيك إلا من صلب مالي فاعذرني، و أمر لي بثلاثين ألف درهم، و كساني جبّة و مطرفا، و فرض لي على أهل بيته و مواليه ثلاثين ألفا أخرى.

مدح مغنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابي:
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدّثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة فأنشده قوله: /

بنو مطر يوم اللقاء كأثمهم # أسود لها في بطن خفان[1] أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما # لجارهم بين السماكين منزل

لهاميم[2]، في الإسلام سادوا و لم يكن # كأولهم في الجاهلية أول

هم القوم إن قالوا أصابوا و إن دعوا # أجابوا و إن أعطوا أطابوا و أجزلوا

و لا يستطيع الفاعلون فعالهم # و إن أحسنوا في النائبات و أجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنّية و خلع عليّ و حملني و زوّدني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كلّ ما يملك لما وفاه حقّه. قال: و كان ابن الأعرابيّ يختم به الشعراء، و ما دوّن لأحد بعده/شعرا.

سئل عن جرير و الفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة و هو شيخ كبير، فسألته عن جرير و الفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهديّ و عن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولا عقدته في شعر ليثبت. فسألته عنه فأنشدني: ذهب الفرزدق بالهجاء و إنّما # حلو القربض و مرّه لجرير

و لقد هجا فأمضّ أخطل تغلب # و حوى النّهي بيانه المشهور

كلّ الثلاثة قد أجاد فمدحه # و هجاؤه قد سار كلّ مسير

و لقد جريت ففتّ غير مهلّل[3] # بجراء لا قرف[4] و لا مبهور

إني لأنف أن أحبّر مدحة # أبدا لغير خليفة و وزير

ما ضرّني حسد اللّثام و لم يزل # ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. و كتبت الأبيات عن فيه.

- [1] خفان كحسان: موضع كثير الغياض قرب الكوفة و هو مأسدة.
- [2] اللهاميم: جمع لهميم و هو السابق الجواد.
- [3] هلل الرجل: جبن و فرّ.
- [4] القرف: الشديد الحمرة و لعله يعني به الهجين.

مدح معنا فسأله عن أمه فأعطاه إياه و استقله له:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني أبو حاتم السّجستانيّ قال حدّثني العنسيّ قال: لَمَّا قدم معن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة و المجلس غاصّ بأهله، فأخذ بعضادتي [1] الباب و أنشأ يقول: و ما أحجم الأعداء عنك بقيّة [2] # عليك و لكن لم يروا فيك مطمعا

له راحتان الجود و الحنف فيهما # أبى الله إلا أن تضرّوا و تنفعا

قال فقال له معن: احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال معن: ربنا عليك تسعين ألفا. قال: أقلني.

قال: لا أقال الله من يقيلك.

رمى محرز معنا بالظلم فرد عليه بما أخجله:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبي قال: لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس، و تلقّاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدة يهنئه فيها بقدومه و برأي المنصور فيه، و تلقّاه فيمن تلقّاه أبو القاسم [3] محرز فجعل يقول له: سفكت الدماء، و ظلمت الناس، و تعدّيت طورك بذلك. فلما أكثر علي معن التفت إليه ثم قال له: يا محرز أخبرني بأي خفيك تضرب اليوم: أبا السباعيّ أم بالثُمانيّ؟ قال: فانقطع و سكت خجلا.

و دخل معن على المنصور، فلما سلّم عليه و سأله قال له: يا معن، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك: معن بن زائدة الذي زيدت به # شرفا إلى شرف بنو شيبان

فقال له: كلاً يا أمير المؤمنين بل أعطيته لقوله:

ما زلت يوم الهاشميّة معلما # بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصور من تهجينه إيّاه فتبسّم و قال: أحسنت يا معن في فعلك.

ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه و قال مروان في ذلك شعرا:

أخبرني الحسن بن عليّ المصريّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن ثور قال حدّثني أبو العباس العدويّ قال: لَمَّا ولي معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الدّهليّ قد تنسّك و ترك

الشعر. فلما بلغت أفعال معن وفد إليه و مدحه، فقال مروان بن أبي حفصة:
[1]عضادتا الباب. خشبتاه من جانيه.

[2]البقية: الإبقاء.

[3]هو أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني
صاحب الدعوة العباسية. انظر الكلام عليه في الطبري (ق 3 ص 1955-
1957).

لا تعدموا راحتي معن فإبهما # بالجود أفتتنا يحيى بن منصور
/لما رأى راحتي معن تدققنا # بنائل من عطاء غير منزور[1]
ألقى المسوح التي قد كان يلبسها # وظلّ للشعر ذا رصف و تحبير

تزوجت امرأة من أهله في بني مطر فلم يرضهم و قال شعرا:
أخبرني محمد بن يزيد و عيسى بن الحسين قالَا حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ
قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: وَرَدَ عَلَيَّ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ
كِتَابًا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ تَرْوَجْتِ فِي قَوْمٍ لَمْ يَرْضْ صَهْرَهُمْ
يُقَالُ لَهُمْ بَنُو مَطَرٍ؛ فَقَالَ فِي ذَلِكَ لِأَخِيهَا: لَوْ كُنْتُ أَشْبَهْتُ يَحْيَى فِي مَنَاحِهِ
لَمَا تَنْقَيْتِ فَحَلَا جَدَّهُ مَطَرٌ

لله درّ جياذ كنت سائسها # ضيعتها و بها التّحجيل و الغرر
نبتت خولة قالت يوم أنكحها # قد طالما كنت منك العار أنتظر

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه و لم يعف عنه حتى حقره:
أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ
بِحَدَّانٍ [2] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَيْهَمِ الْحَنْفِيِّ قَالَ: مَرَّ مَرْوَانَ
بْنِ أَبِي حَفْصَةَ بِرَجُلٍ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ يَعْرِفُ بِالْجَنِيِّ؛ فَقَالَ لَهُ مَرْوَانَ:
زَعَمُوا أَنَّكَ تَقُولُ الشَّعْرَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ عَرَّفْتُكَ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ مَرْوَانَ: مَا
أَنْتَ وَ الشَّعْرُ، مَا أَرَى ذَلِكَ مِنْ طَرِيقَتِكَ وَ لَا مَذْهَبِكَ وَ لَا تَقُولُهُ! فَقَالَ الْجَنِيُّ:
اجْلِسْ وَ اسْمَعْ فَجَلِسْ؛ فَقَالَ الْجَنِيُّ يَهْجُوهُ: /

ثوى اللؤم في العجلان يوما و ليلة # و في دار مروان ثوى آخر الدهر
غدا اللؤم يبغي مطرحا لرحاله # فنقب في برّ البلاد و في البحر
فلما أتى مروان خيم عنده # و قال رضينا بالمقام إلى الحشر
و ليست لمروان على العرس غيرة # و لكنّ مروانا يغار على القدر

فقال له مروان: ناشدتك الله إلا كفت، فأنت أشعر الناس. فحلف
الجنّي بالطلاق ثلاثا أنه لا يكفّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة
ثم يقول بحضرتهم: قاق في استي بيضة. فجلبهم إليه مروان و فعل ذلك
بحضرتهم، و كان فيهم جدّي يحيى بن الأيهم، فانصرفوا و هم يضحكون من
فعله.

عزى الهادي في المهدي بيتين تناقلهما الناس:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدّوسيّ قال حدّثني الفضل بن العبّاس بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ قال حدّثنا محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة بن مخارق الهلاليّ قال: [1] يقال: أعطاه عطاء غير منزور: إذا لم يلح عليه فيه بل أعطاه عفوا.

[2] سمي بحدان: وحدان بضم أوله و فتحه. -

لَمَّا مات المهديّ وفدت العرب على موسى يهنئونه بالخلافة و يعزّونه عن المهديّ؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب ثم قال: لقد أصبحت تختال في كل بلدة # بقبر أمير المؤمنين المقابر

و لو لم تسكّن بابنه في مكانه # لما برحت تبكي عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين.

مدح عمرو بن مسعدة في مرضه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض عمرو بن مسعدة، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة و قد أبل من مرضه فأنشأ يقول: صحّ الجسم يا عمرو # لك التّمحيص و الأجر

/و لله علينا الحمـ # د و المنّة و الشكر

فقد كان شكّا شوقا # إليك التّهي و الأمر

قال فنحا نحوه مسلم بن الوليد فقال:

قالوا أبو الفضل محموم فقلت لهم # نفسي الفداء له من كل محذور

يا ليت علّته بي غير أن له # أجر العليل و أتّي غير مأجور

رأي الغول في بعض سفراته ففرع:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أبو حذيفة قال حدّثني رجل من بني سليم في مسجد الرّصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال: وفدت في ركب إلى الرشيد فصرنا في أرض موحشة قفر، و جنّ علينا الليل فسرنا لنقطعها، فلم نشعر إلاّ بامرأة تسوق بنا إبلنا و تحدو في آثارنا، فإذا هي الغول. فلما لاح الفجر عدلت عنّا و أخذت عرضا[1] و جعلت تقول: يا كوكب الصّبح إليك عنّي # فلست من صبح و ليس منّي

قال: فما أذكر أني فرعت من شيء قطّ فرعي ليلتئذ.

عارضه التغلبي في شعره في وراثة بني العباس:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الحسن الكوفيّ قال حدّثني محمد بن يحيى بن أبي مرّة التغلبيّ قال: مررت بجعفر بن عقّان الطائيّ يوما و هو على باب منزله،

فسلّمت عليه، فقال لي: مرحبا يا أخا تغلب، اجلس فجلست. فقال لي: أ ما
تعجب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول: [1]العرض: الناحية.

أنى يكون و ليس ذاك بكائن # لبني البنات وراثه الأعمام

فقلت بلى و الله إنى لأتعجب منه و أكثر اللعن له، فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فقال: نعم قلت: /

لم لا يكون و إن ذاك لكائن # لبني البنات وراثه الأعمام

للبنات نصف كامل من ماله # و العمّ متروك بغير سهام

ما للطلاق و للثراث و إتما # صلى الطليق مخافة الصمصام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياما ثم قتله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان التّوفليّ قال حدّثني صالح بن عطية الأضجم قال: لما قال مروان:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن # لبني البنات وراثه الأعمام

لزمته و عاهدت الله أن أغتاله فأقتله أيّ وقت أمكنتني ذلك، و ما زلت الأطفه و أبرّه و أكتب أشعاره، حتى خصصت به، فأنس بي جدا، و عرفت ذلك بنو حفصة جميعا فأنسوا بي، و لم أزل أطلب له غرّة حتى مرض من حمى أصابته، فلم أزل أظهر له الجزع عليه و ألامه و الأطفه، حتى خلا لي البيت يوما فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقت حتى مات، فخرجت و تركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا، و ارتفعت الصّيحة فحضرت و تباكيت و أظهرت الجزع عليه حتى دفن، و ما فطن بما فعلت أحد و لا اتهمني به.

نشأته و نسب أمه شكلة:

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهديّ و أمّه شكلة [1]. و يكنى أبا إسحاق. و شكلة أمّه مولدة، كان/أبوها من أصحاب المازبار، يقال له شاه أفرند، فقتل مع المازبار و سبيت بنته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها لمحياة أمّ ولده فرثتها و بعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك و تفصّحت؛ فلما كبرت ردّت إليها. فرأها المهديّ /عندها فأعجبه، فطلبها من محياة فأعطته إياها، فولدت منه إبراهيم. و كان رجلا عاقلا فهما ديّنا [2] أدبيا شاعرا راوية للشعر و أيام العرب خطيبا فصيحيا حسن العارضة.

مدحه إسحاق الموصلي:

و كان إسحاق الموصليّ يقول: ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس: رجلا أفضل من إبراهيم بن المهديّ. فقيل له: مع ما تبدّل له

من الغناء؟ فقال: و هل تمّ فضله إلا بذاك!. حدّثني بذلك محمد بن يزيد عن حمّاد عن أبيه.

كان ينسب ما يصنع لشاربه و ريق جاريتيه:

و كان أشدّ خلق الله إعظاما للغناء، و أحرصهم عليه، و أشدّهم منافسة فيه. و كانت صنعته ليّنة، فكان إذا صنع شيئا [1] ضبط في «القاموس» بالقلم بفتح أوّله. و في الطبري بفتح أوّله و كسره.

[2] هذه الكلمة ليس في ج.

نسبه إلى شارية و ريق، لئلا يقع عليه في طعن أو تقريع، فقلت صنعته في أيدي الناس مع كثرتها لذلك. و كان إذا قيل له فيها شيء قال: إنما أصنع تطرّبا لا تكسّبا، و أغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي.

كان ينازع إسحاق و يجادله و جرت بينهما مناظرات في الغناء:

و كان حسن صوته يستر عوار ذلك كله. و كان الناس يقولون لم ير في جاهليّة و لا إسلام أخ و أخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهديّ و أخته عليّة. و كان يماظ [1] إسحاق و يجادله، فلا يقوم له و لا يفي به، و لا يزال إسحاق يغلبه و يغصّه بريقه و يغصّ منه بما يظهر عليه من السقطات و يبيّنه من خطئه في وقته [2] و عجزه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرّ به؛ و قصوره عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك. و قد ذكرت قطعة من هذه الأخبار في أخبار إسحاق و أنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك.

و ممّا خالف إبراهيم بن المهديّ و من قال بقوله على إسحاق فيه: الثّقيلان و خفيفهما؛ فإنّه سمّى الثّقل الأوّل و خفيفه الثّقل الثاني و خفيفه، و سمّى الثّقل الثاني و خفيفه الثّقل الأوّل و خفيفه؛ و جرت بينهما في ذلك مناظرات و مجادلات و مراسلة و مكاتبة و مشافهة، و حضرهما النّاس، فلم يكن فيهم من يفي بفصل/ ما بينهما و الحكم لأحدهما على صاحبه. و وضع لذلك [3] مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق، و أمسك كلّ واحد منهما إلى آخر أقداره، فلم يصحّ شيء يعمل عليه، إلا أن قول إبراهيم بن المهديّ اضمحلّ و بطل و ترك، و عمل الناس على مذهب إسحاق؛ لأنّه كان أعلم الرجلين و أشهرهما. و أوضح إسحاق أيضا لذلك وجوها فقال: إنّ الثّقل الأوّل يجيء منه قدران، الثّقل الأوّل التّامّ، و القدر الأوسط من الثّقل الأوّل، و جميعا طريقته واحدة لا تتساعه و التمكن منه، و الثّقل الثاني لا يجيء هذا فيه و لا يقاربه. و الثّقل الأوّل يمكن الإدراج في ضربه لثقله، و الثّقل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك. و لهما في هذا كلام كثير و مخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما، و شرحت العلل مبسّطة في كتاب ألفته في التّغم شرحا ليس هذا موضعه و لا يصلح فيه. و أمّا التّجزئة و القسمة فإنّهما أفنيا أعمارهما في تنازعهما فيهما، حتى كان يمضي لهما الزمان الطويل لا تنقطع مناظرتهما و مكاتبتهما في قسمة و تجزئة صوت واحد فيه، و حتى كانا يخرجان إلى كلّ قبّح، و حتى إنهما ماتا جميعا و بينهما منازعة في هذا الصوت / و قسمته:

حيّا أمّ يعمرأ # قبل شحط من التّوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن افترقا. و لو ذهبت إلى ذكر ذلك و شرح سائر أخبار إبراهيم بن المهديّ و قصصه لمّا ولي الخلافة و غير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، و حسن البيان، و جودة الشعر، و رواية العلم، و المعرفة بالجدل، و جزالة الرأي، و التصرّف في الفقه و اللغة، و سائر الآداب الشريفة، و العلوم النفيسة، و الأدوات الرفيعة، لأُطلت. و إنّما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها، لا سيما لمن كثرت الروايات و الحكايات عنه؛ فلذلك اقتصر على ما ذكرته من أخباره دون ما يستحقّه من التفضيل و التّجليل و الثناء الجميل.

[1] يماظ: يناع.

[2] في الأصول: «وقت» .

[3] لعله: و وضع كلاهما أو كل منهما أو نحو ذلك.

كلمة لإبراهيم بن المهدي عن نفسه في صنعة الغناء:

أخبرني عمي رحمه الله قال حدّثني عليّ بن محمد بن بكر عن جدّه حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهديّ: لو لا أنّي أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي.

غنى الرشيد و عنده ابن جامع و إبراهيم الموصلي فأطرباه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: دخلت يوما إلى الرشيد و في رأسي فضلة خمار، و بين يديه ابن جامع و إبراهيم الموصليّ. فقال: بحياتي يا إبراهيم غنّني. فأخذت العود و لم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفضلة فغنّيت: أسرى بخالدة[1] الخيال و لا أرى # شيئا ألدّ من الخيال الطارق

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع: لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبزا أبدا. فقال ابن جامع: صدقت. فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت: خدا في حقكما و دعا باطلنا.

نسبة هذا الصوت

صوت

أسرى بخالدة[1] الخيال و لا أرى # شيئا ألدّ من الخيال الطارق

إنّ البليّة من تملّ [2] حديثه # فانقع فؤادك من حديث الواثق

أهواك فوق هوى النفوس و لم يزل # مذ بنت قلبي كالجناح الخافق

/طربا إليك و لم تبالي حاجتي # ليس المكاذب كالخيل الصادق[3]

الشعر لجريير. و الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى عن عمرو.

غنى الرشيد و عنده سليمان بن أبي جعفر و جعفر بن يحيى:

أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم المهديّ قال حدّثني أبي، و حدّثني الصوليّ قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني هبة الله و لم يذكر عن أبيه-قال: كان الرشيد يحبّ أن يسمع أبي. و قال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحبّ أن يسمعني، فخلا بي مرّات إلى أن سمعني. ثم حضرته مرّة و عنده سليمان بن أبي جعفر؛ فقال لي: عمك و سيّد ولد [1] رواية «الديوان»: «أسرى لخالدة إلخ» .

[2] في «ديوان جريير»: «يمل» بالبناء المجهول.

[3] في الأصول:

شوقا إليك و لم تجاز مودتي # ليس المكذب بالحبيب الصادق

و التصويب عن «الديوان» .

المنصور بعد أبيك و قد أحبّ أن يسمعك؛ فلم يتركني حتى غيّت بين يديه: إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية # و إذ أجرّ إليكم سادرا رسني / فأمر لي بألف ألف درهم، ثم قال لي ليلة و لم يبق في المجلس إلا جعفر بن يحيى: أنا أحبّ أن تشرف جعفرا بأن تغنيه صوتا. فغنيته لحناً صنعته في شعر الدارمي: كأن صورته في الوصف إذ وصفت # دينار عين من المصريّة العتق

نسبة هذين الصوتين، منهما [1]

صوت

سقيا لربعك من ربع بذي سلم # و للزمان به إذ ذاك من زمن
إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية # و إذ أجرّ إليكم سادرا رسني

الشعر للأحوص. و الغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو.
/ أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن زهير عن مصعب قال:
أنشد منشداً و ابن أبي عبيدة عندنا قول الأحوص: إذ أنت فينا لمن ينهاك
عاصية # و إذ أجرّ إليكم سادرا رسني
فوثب قائما و ألقى طرف رداءه و جعل يخطو إلى طرف المجلس و
يجرّه. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال:
إني سمعت هذا الشعر مرّة فأطربني، فجعلت على نفسي ألا أسمع أبداً إلا
جررت رسني.

و الآخر من الصوتين:

صوت

كأن صورته في الوصف إذ وصفت # دينار عين من المصريّة العتق
أو درة أعيت الغواص في صدف # أو ذهب صاعه الصوّاغ في ورق

الشعر للدّارميّ. و الغناء لمرزوق الصّوّاف رمل بالبنصر عن ابن
المكيّ. و ذكر عمرو أن هذا اللحن للدّارميّ أيضا. و ذكر الهشاميّ أنه لابن
سريج. و في هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهديّ. و فيه خفيف رمل يقال إنه
لحن مرزوق الصّوّاف، و يقال إنه لمتميم ثاني ثقيل عن الهشاميّ و ابن
المعتزّ.

غنى صوتا على أربع طبقات:

أخبرني يحيى بن المنجّم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بزيع قال: كنت أضرب على إبراهيم بن المهديّ صوتاً [2] ذكره فغناه على أربع طبقات. على الطبقة التي كان العود [1] لعله: «الأول منهما إلخ» .

[2] كذا في أ، م و في سائر الأصول: «ضرباً» .

عليها، و على ضَعْفها، و على إسْجَاحها، و على إسْجَاح الإسْجَاح. قال أبو أحمد قال عبيد الله: و هذا بشيء ما حكى لنا عن أحد غير إبراهيم، / و قد تعاطاه بعض الحدّاق بهذا الشان، فوجده صعبا متعدّرا لا يبلغ إلا بالصوت القويّ و أشدّ ما في إسْجَاح الإسْجَاح؛ لأن الصّعب لا يبلغ إلا بصوت قويّ مائل إلى الدقة، و لا يكاد ما اتّسع مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دق حتى يبلغ الإضعاف لم يقدر على الإسْجَاح فضلا عن إسْجَاح الإسْجَاح. فإذا غلظ حتى يتمكّن من هذين لم يقدر على الصّعب.

غنى صوتا لمعبد:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشميّ قال حدّثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال:

دعاني إبراهيم بن المهديّ يوما فصرت/إليه، و غنّي صوتا لمعبد:

أ في الحقّ هذا أنّي بك مولع # و أنّ فؤادي نحوك الدهر نازع

فقال لي: لمن هذا الغناء؟ فقلت: يا سيّدي يقولون إنه لمعبد، و لا غنّي و الله معبد كذا قط، و لا سمعت أحدا يقول كذا، لا و الله ما في الدنيا كذا. قال: فضحك ثم قال: و الله يا بنيّ ما قمت بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت

أمّا اللّحن فمن الثقل الثاني، و قد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، و ما وجدته في شيء من الكتب له. و ذكر الهشاميّ أنه لابن المكيّ.

عاب مخارقا عند المأمون:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني إسحاق بن محمد قال حدّثني عيسى بن محمد القحطبيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن بسُحْر قال:

لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغرّ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنت أنادمه سرّا، و لم يظهر للنّدماء أربع سنين، حتى ظفر بإبراهيم بن المهديّ. / فلما ظفر به و عفا عنه ظهر للنّدماء ثم جمعنا؛ و وجه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مبتذلة. لما رآه المأمون قال: ألقى عمّي رداء الكبر عن منكبيه، ثم أمر له بخلع فاخرة و قال: يا فتح [1] غدّ عمّي؛ فتغدّى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحوّل إلينا، و كان مخارق حاضرا، فغنّي مخارق:

هذا و ربّ مسؤفين[2]صحتهم # من خمر بابل لذة للشارب

فقال له إبراهيم: أسأت فأعد؛ فأعاده، فقال: قاربت و لم تصب. فقال له المأمون: إن كان أساء فأحسن أنت. فعنّاه إبراهيم ثم قال لمخارق: أعده فأعاده، فقال: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال:

[1]هو فتح خادم المأمون. انظر الطبري (ق 3 ص 1041) .

[2]المسوفون: الصبر؛ يقال: إن فلانا لمسوّف (بالبناء للفاعل) إذا كان صبورا. (راجع «لسان العرب» في مادة سوف) .

كثير. فقال لمخارق: إنما مثلك كمثل الثوب الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه، فإذا نفض عاد إلى جوهره. ثم غنى إبراهيم: يا صاح يا ذا الصّامر العنس # و الرّحل ذي الأفتاد و الحلس [1]

أما النهار فما تقصّره # رتكا [2] يزيدك كلما تمني

ضنّ على مخارق بصوت:

قال: و كانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر سيدي بإلقاء هذا الصوت عليّ مكان جائرتي فهو أحبّ إليّ منها. فقال: يا عمّ ألق هذا الصوت على مخارق، فألقاه عليّ، حتى إذا كدت أن أخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد عليّ. فغدوت عليه فغناه متلّوياً؛ فقلت: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة و أخو الخليفة و عمّ الخليفة، /تجود بالرّغائب و تبخل عليّ بصوت! فقال: ما أحملك! إن المأمون لم يستبقني محبةً فيّ و لا صلة لرحمي و لا رباء للمعروف عندي، و لكنه سمع من هذا الجرم [3] ما لم يسمع من غيره. قال: فأعلمت المأمون مقالته؛ فقال: إنا لا نكدرّ على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم نشط للصّبح يوماً فقال: أحضروا عمّي.

فجاء في درّاعة من غير طيلسان. فأعلمت المعتصم خبر الصوت سرّاً. فقال: يا عمّ غنّني: يا صاح يا ذا الصّامر العنس

فغناه؛ فقال: ألقه على مخارق. فقال: قد فعلت، و قد سبق منّي/قول ألاّ أعيده عليه. ثم كان يتجنّب أن يغنّيه حيث أحضره.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

هذا و ربّ مسوّفين صبحتهم # من خمر بابل لذة للشارب

بكروا عليّ بسحرة فصبحتهم # بإناء ذي كرم كقعب الحالب

بزجاجة ملء اليبدين كأثها # قنديل فصح [4] في كنيسة راهب

الشعر لعديّ بن زيد. و الغناء لحنين خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البصر عن إسحاق.

صوت

يا صاح يا ذا الصّامر العنس # و الرّحل ذي الأفتاد و الحلس

[1] يقال جمل ضامر، و ناقة ضامر (بغير هاء) و ضامرة. و العنس:
الناقة الصلبة القوية. و الحلس: كل شيء ولي ظهر البعير و الدابة تحت
الرجل و القتب و السرج.

[2] الرتك: سير للإبل سريع.

[3] الجرم هنا: الحلق أو الصوت.

[4] الفصح (بالكسر) : عيد للنصارى.

أما النهار فما تقصّره # رتكا يزيدك كلما تمسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد.

طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائها:

و ذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدي عن ذؤابة مولاته أيضا قالت قالت لي أسماء بنت المهدي: قلت لأخي إبراهيم: يا أخي أشتهي و الله أن أسمع من غنائك شيئا. فقال: إذا و الله يا أختي لا تسمعين مثله، عليّ و عليّ، و غلظ في اليمين، إن لم يكن إبليس ظهر لي و علمني التقر و النغم و صافحني و قال لي: اذهب فانت منّي و أنا منك.

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: غضب عليّ محمد الأمين في بعض هناته، فسلمني إليّ كوتر[1]، فحبسني في سرداب و أغلقه عليّ فمكثت فيه ليلتي. فلما أصبحت إذا أنا بشيخ قد خرج عليّ من زاوية السرداب، و دفع إليّ وسطا[2] و قال: كل فأكلت، ثم أخرج قنينة شراب فقال: اشرب فشربت، ثم قال لي: غنّ: لي مدّة لا بدّ أبلغها # معلومة فإذا انقضت متّ

لو ساورتني الأسد ضارية # لغلبتها ما لم يج الوقت

فغنيته. و سمعني كوتر فصار إلى محمد و قال: قد جنّ عمك و هو جالس يغني بكيت و كيت. فأمر بإحضاري فأحضرت و أخبرته بالقصة، فأمر لي بسبعمئة ألف درهم و رضي عني.

طارح أخته عليّة فأطربا المأمون و أحمد بن الرشيد:

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشؤ يحدث عن أبي أحمد بن الرشيد قال: كنت يوما بحضرة المأمون و هو يشرب، فدعا بياسر و أدخله فساّره[3] بشيء و مضى و عاد. فقام المأمون و قال لي: قم، فدخل دار الحرم و دخلت معه، فسمعت غناء/أذهل عقلي و لم أقدر أن أتقدّم و لا أتأخّر. و فطن المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمّك عليّة تطارح عمك إبراهيم: ما لي أرى الأبصار بي جافية

نسبة هذا الصوت

ما لي أرى الأبصار بي جافية # لم تلتفت منّي إلى ناحيه

[1] هو كوثر خادم محمد الأمين. (انظر فقرا عليه في الطبري ق 3 ص 899, 928, 939, 956, 965).

[2] كذا في الأصول و ظاهر أنه يريد نوعا من الطعام.

[3] في الأصول: «فسره» .

لا ينظر الناس إلى المبتلى # وإنما الناس مع العافيه
و قد جفاني ظالما سيدي # فأدمعي منهلة هاميه [1]
صحي سلوا ربكم العافيه # فقد دهنتي بعدكم داهيه

الشعر و الغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل. و أخبرني ذكاء وجه
الرزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مزمورا، و أن لحن عليّة مطلق.

كتب إليه إسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي عن إبراهيم عن عليّ
بن هشام أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهديّ بجنس صوت صنعه و
إصبعه و مجراه و إجراء لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدّى ما
صنعه. و الصوت: حيّا أمّ يعمرأ # قبل شحط من التوى

قلت لا تعجلوا الرّوا # ح فقالوا ألا بلى

أجمع الحيّ رحلة # ففؤادي كذي الأسى

نسبة هذا الصوت

الشّعر لعمر بن أبي ربيعة. و الغناء لابن سريج، و لحنه من القدر
الأوسط من الثّقل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى. و ذكر عمرو بن بانه
أنه لمالك. و فيه للهذليّ خفيف ثقل أوّل بالبنصر عن ابن المكيّ، و زعم
الهشاميّ أنه لحن مالك. و فيه/لحنان من الثّقل الثاني أحدهما لإسحاق و هو
الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي.

و الآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم، و زعم عبد الله بن موسى بن
محمد بن إبراهيم الإمام أنّه لابن محرز.

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجمان: أنّ إسحاق بن
إبراهيم لمّا صنع صوته: قل لمن صدّ عاتبا

اتّصل خبره بإبراهيم بن المهديّ فكتب يسأله عنه؛ فكتب إليه بشعره و
إيقاعه و بسيطه و مجراه و إصبعه و تجزئته و أقسامه و مخارج نغمه و
مواضع مقاطعه و مقادير أدواره و أوزانه، فغناه. قال: ثم لقيني فغنايه،
ففضلني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانباً

قد بلغت الذي أرد # ت وإن كنت لاعباً

الشعر و الغناء في هذا اللحن لإسحاق، ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها.
و فيه لغيره ألحان.

[1] في، ب، س، ج: «واهبة» .

سمعه أحمد بن أبي داود فذهل عن نفسه و رجع عن إنكاره الغناء:

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال:

سمعت أحمد بن أبي داود يقول: كنت أعيب الغناء و أطعن على أهله، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّمَّاسِيَّة في حرّاقة يشرب، و وجّه في طلبي فصرت إليه؛ فلما قربت منه سمعت غناء حيرني و شغلني عن كلِّ شيء، فسقط سوطي من يدي؛ فالتفت إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطه، فقال لي: قد و الله سقط سوطي. فقلت له:

فأيّ شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شغلني عن كلِّ شيء فسقط سوطي من يدي؛ فإذا قصّته قصّتي. قال: و كنت أنكر/أمر الطرب على/الغناء و ما يستفرّ الناس منه و يغلب على عقولهم، و أناظر المعتصم فيه. فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر؛ فضحك و قال: هذا عمّي كان يغنيني:

إنّ هذا الطويل من آل حفص # نشر المجد بعد ما كان ماتا

فإن تبت ممّا كنت تناظرنا عليه في ذمّ الغناء سألته أن يعيده. ففعلت و فعل، و بلغ بي الطرب أكثر ممّا يبلغني عن غيري فأنكره؛ و رجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم. و قد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسين عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصّة أو قريباً منها لزيادة اللفظ و نقصانه، و ذكر أنّ الصوت الذي غناه إبراهيم:

طرقتك زائرة فحيّ خيالها # بيضاء تخلط بالحياء دلالتها

هل تطمسون من السماء نجومها # بأفكم أو تسترون هلالها

اتخذ لنفسه حرّاقة بحذاء داره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحسن بن عليل قال:

سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ يقول: اتّخذ أبي حرّاقة فأمر بشدّها في الجانب الغربيّ بحذاء داره، فمضيت إليها ليله فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره و نهيه، فنسمعه و بيننا عرض دجلة و ما أجهد نفسه.

ثناء ابن أبي طيبة عليه:

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدّثني ابن أبي ظبية قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهديّ يتحنح فأطرب.

غنى و عنده عدّة من المغنين و غنى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد القاسم بن مهرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني القطراني المغنّي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الرّبيعيّ قال:

/كنا عند إبراهيم بن المهديّ ذات يوم و قد دعا كلّ مطرب محسن من المغنّين يومئذ و هو جالس يلاعب أحدهم بالشّطرنج. فترنّم [1] بصوت فريدة:

[1] كذا في ج. و في أ: «فترنّم بعضهم». و في سائر الأصول: «فترنّم أحدهم» و كلاهما تحريف. و في «نهاية الأرب» (ج 4 ص 228).

طبع دار الكتب المصرية) : «فترنّم إبراهيم» .

قال لي أحمد و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبه حقا

و هو متّكئ. فلما فرغ منه ترنّم به مخارق فأحسن فيه و أطربنا و زاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم و زاد في صوته فعقّى على غناء مخارق. فلما فرغ رده مخارق و غنّى فيه بصوته كله و تحفّظ فيه، فكدنا نظير سرورا.

و استوى إبراهيم جالسا و كان متّكئا فغنّاه بصوته كله و وقّاه نغمه و شدوره، و نظرت إلى كتفيه تهتّزان و بدنه أجمع يتحرّك حتى فرغ منه، و مخارق شاخص نحوه يردد و قد انتقع لونه و أصابعه تختلج؛ فخيّل لي و الله أنّ الإيوان يسير بنا. فلما فرغ منه تقدّم إليه مخارق فقبّل يده و قال: جعلني الله فداك أين أنا منك! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقيّة يومه في غنائه، و الله لكأنما كان يتحدث.

نسبة هذا الصوت

قال لي أحمد و لم يدر ما بي # أ تحبّ الغداة عتبه حقا

فتنقّست ثم قلت نعم حبّ # ا جرى في العروق عرقا فعرقا

ما لدمعي عدمته ليس يرقا[1] # إنما يستهلّ غسقا فغسقا[2]

طربا نحو ظبية تركت قلبي من الوجد قرحة ما تفقا[3] / الشعر لأبي العتاهية. و الغناء لفريدة خفيف رمل بالوسطى. و فيه لإبراهيم بن المهديّ خفيف رمل آخر.

و لفريدة أيضا لحن من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة و هي: قد لعمرى ملّ الطيب و ملّ الـ # أهل منّي مما أداوى و أرقى

ليتني متّ فاسترحت فإني # أبدا ما حييت منها ملقى[4]

غنى الأمين فأطربه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني عمّي منصور بن المهديّ: أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبة لمحمد الأمين، فتشاغل أبي بالشرب في بيته و لم يمض، و أرسل إليه عدّة رسل فتأخّر. قال منصور: فلما كان من غد قال: ينبغي أن تعمل على الرّواح إليّ لنمضي إلى أمير المؤمنين فنترصّاه؛ فما أشك في غضبه عليّ. ففعلت و مضينا. فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير[5] الوحش و هو مخمور، و كان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار. فدخلنا؛ و كان طريقنا على حجرة تصنع فيها الملاهي. فقال لي

أخي: اذهب فاختر منها عودا ترضاه، و أصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى [1]يرقا: يجف و ينقطع، و أصله الهمز.

[2]الغسق: الانصباب؛ يقال: غسقت العين تغسق (من باب ضرب) غسقا و غسقانا إذا دمعت.

[3]تفقا: تنفلق و تنشق، و أصله الهمز.

[4]الملقى: الممتحن الذي لا يزال يلقاه مكروه إثر مكروه.

[5]الحير: الحظيرة و البستان. -

تغييره البتة عند الضرب؛ ففعلت و جعلته في كمّي. و دخلنا على الأمين و ظهره إلينا. فلما بصرنا به من بعيد قال: أخرج عودك فأخرجته، و اندفع يغني:

و كأس شربت على لدة # و أخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أنني امرؤ # أتيت الفتوة من بابها
/و شاهدنا الجل [1] و الياسم # ين و المسمعات بقضابها
و بربطنا [2] دائم معمل # فأبي الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالسا و طرب طربا شديدا و قال: أحسنت و الله يا عمّ و أحبيت لي طربا، و دعا برطل فشربه على الريق و امتدّ في شربه. قال منصور: و عني إبراهيم يومئذ على أشدّ طبقة يتناهى إليها في العود، و ما سمعت مثل غنائه يومئذ قط. و لقد رأيت منه شيئا عجيبا لو حدّثت به ما صدّقت، كان إذا ابتداء يغني أصغت الوحش إليه و مدّت أعناقها، و لم تزل تدنو منّا حتى تكاد أن تضع رءوسها على الدكان الذي كئا عليه، فإذا سكت نفرت و بعدت منّا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التّباعد فيها عتّا، و جعل الأمين يعجب من ذلك، و انصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قط.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه و أجاده:

أخبرني عمّي و الصّوليّ قالا حدّثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجمان أنّ إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهديّ بصوت صنعه في شعر له و هو: قل لمن صدّ عاتبا # و نأى عنك جانبا

قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعبا

و بيّن له شعره و إيقاعه و بساطه و مجراه و إصبعه و تجزئته و قسمته و مخارج نغمه و مواضع مقاطعه و مقادير أوزانه، فغناه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرم منه شذرة و لا نغمة. قال: و فاقني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

قل لمن صد عاتبا # و نأى عنك جانبا
قد بلغت الذي أرد # ت و إن كنت لاعبا
/و اعترفنا بما ادّعي # ت و إن كنت كاذبا

فافعل الآن ما أرد # ت فقد جئت تائبا

يقال: إنّ الشعر لإسحاق، و لم أجده في مجموع شعره. و وجدت فيه
لحنا لحكم الواديّ في ديوان أغانيه و لحنه من الماخوريّ، و هو خفيف من
خفيف[3]الثقيل الثاني بالبنصر. و كذلك ذكرت دنانير أنّه لحكم الواديّ؛
[1]أنظر شرح هذا البيت مفصلا في «الأغاني» ج 6 ص 299 من هذه
الطبعة.

[2]البربط: العود، فارسي معرب. و في أ و م: «و إبريقنا دائما معمل»

[3]في أ و م: «و هو خفيف من الثقيل الثاني... إلخ» .

و يشبه أن يكون الشعر لغيره. و لحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها.
و فيه ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر لم يقع إليّ نسبه إلى صانعه، و أظنّه لحن حكم.

غنى أبا دلف العجليّ و أهداه جارية:

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدّثني إبراهيم بن أبي دلف العجليّ قال: كنّا مع المعتصم بالقاطول [1]، و كان إبراهيم بن المهديّ في حرّاقته بالجانب الغربيّ و أبي و إسحاق الموصليّ في حرّاقتهما في الجانب الشرقيّ، فدعاهما يوم جمعة فعبرا إليه في زلال [2] و أنا معهما و أنا صغير و عليّ أقبية و منطقة. فلما دنونا من حرّاقة إبراهيم نهض و نهضنا و نهضت بنهوضه صبيّة له يقال لها غصّة، و إذا في يديه كأسان و في يديها كأس. فلما سعدنا إليه اندفع فغنى: حياّ كما الله خليليا # إن ميّنا كنت و إن حياّ

إن قلتما خيرا فأهل له # أو قلتما غياّ فلا غياّ

ثم ناول كلاّ منهما كأسا و أخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية و قال: اشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا و شربوا، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعة/ و غنّياه؛ و ضرب و ضربا معه، و غنّت الجارية بعدهم.

فقال لها أبي: أحسنت مرارا. فقال له: إن كنت أحسنت فخذها إليك، فما أخرجتها إلاّ إليك.

سمع من مخارق لحنا فأطراه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عليّ بن محمد بن نصر قال حدّثني أبو العبيس بن حمدون قال: لمّا صنع مخارق في شعر العتّابي.

أخضنى المقام الغمر إن كان غرّني # سنا خلّب أو زلّت القدمان

غنّاه إبراهيم بن المهديّ؛ فقال له: أحسنت و حياتي ما شئت! فسجد مخارق سرورا بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانه لحنا و حدّثه حديثه:

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ عن عمرو بن بانه قال: غنّى إبراهيم بن المهديّ يوما: أدارا بحزوى هجت للعين عبرة # فماء الهوى يرفضّ أو يترقرق

فاستحسنته و سألته إعادته عليّ حتى آخذه عنه ففعل. ثم قال لي: إنّ حديث هذا الصوت أحسن منه.

قلت: و ما حديثه أعزّك الله؟ قال: غثانيه ابن جامع و الصنعة فيه له، فلما أخذته عنه غثيته إياه ليسمعه مئّي، فاستحسنه جدّاً و قال: كأني و الله ما سمعته قطّ إلاّ منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت.

[1]القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، و هو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، و كان الرشيد أول من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرًا سماه أبا الجند.

[2]ظاهر أنه نوع من السفن و لم نقف عليه.

قصته مع ابن بُسْحُرَّ و جاريته شارية و مخارق و علوية:

/أخبرني عليّ بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْحُرَّ قال: وجّه إليّ إبراهيم بن المهديّ يوماً يدعوني، و ذلك في أوّل خلافة المعتصم، فصرت إليه و هو جالس وحده و شارية جاريته خلف الستارة، فقال: إني قلت شعرا و غنّيت فيه و طرحته على شارية فأخذته و زعمت أنّها أحذق به منّي، و أنا أقول/إني أحذق به منها، و قد تراضينا بك حكما بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه منّي و منها و احكم و لا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرّات. فقلت نعم. فاندفع يغنيّ بهذا الصوت: أضنّ بليلى و هي غير سخية # و تبخل ليلي بالهوى و أجود

فأحسن و أجاد. ثم قال لها: تغني، فغنته فبرّزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، و نظر إليّ فعرف أنّي قد عرفت فضلها عليه، فقال: على رسلك! و تحدّثنا ساعة و شربنا. ثم اندفع فغناها ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت فبرت و زادت أضعاف زيادته، و كدت أشقّ ثيابي طربا. فقال لي: تثبت و لا تعجل. ثم غناها ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب. ثم قال لي: قل، فقضيت لها؛ فقال: أصبت، فكم تساوي عندك؟ فحملني الحسد له عليها و التّفاسة بمثلها أن قلت: تساوي مائة ألف درهم.

فقال: أ و ما تساوي على هذا الإحسان و هذا التّفصيل إلا مائة ألف! قبح الله رأيك! و الله ما أجد شيئا أبلغ في عقوبتك من أن أصرفك، قم فانصرف إلى منزلك مذموما. فقلت له: ما لقولك اخرج من منزلي جواب، و قمت و انصرفت، و قد أحفظني كلامه و أرمضني[1]. فلما خطوت خطوات التفتّ إليه فقلت له: يا إبراهيم! تطردني من منزلك! فوالله ما تحسن أنت و لا جاريتك شيئا. و ضرب الدّهر ضربانه، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك و هو بالوزيرية في قصر التل[2]، فدخلت أنا و مخارق و علويه، و إذا أمير المؤمنين مصطبح و بين يديه ثلاث جامات: جام قصّة مملوءة دنائير جددا، و جام ذهب مملوءة دراهم جددا، و جام قوارير مملوءة عنبرا، فظننا أنها لنا بل لم نشكّ في ذلك، فغنيناه و أجهدنا/أنفسنا، فلم يطرب و لم يتحرّك لشيء من غنائنا. و دخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهديّ. فأذن له فدخل، فغناها أصواتا أحسن فيها، ثم غناها بصوت من صنعته و هو: ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت # يا صاحبيّ أظنّ الساعة اقتربت

فاستحسنه المعتصم و طرب له، و قال: أحسنت و الله! فقال إبراهيم:
يا أمير المؤمنين فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ
أيتها شئت، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضنا إلى بعض. ثم غناه إبراهيم
بشعر له و هو: فما مزة قهوة قرقف # شمول تروق براووقها[3]

فقال: أحسنت و الله يا عمّ و سررت. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت
أحسنت فهب لي جاما أخرى؛ فقال: خذ أيتها شئت، فأخذ الجام التي فيها
الدرهم؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها. و غناه بعد ساعة: [1] في أ، م: «و
أمضني» .

[2] في ب، س: «قصر الليل» .

[3] المزة و القهوة و الفرقف و الشمول: من أسماء الخمر. و الراووق:
باطية الخمر.

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى # عشير[1] الذي ألقى فيلتئم الحبّ

فارتجّ بنا المجلس الذي كنا فيه، و طرب المعتصم و استخفّه الطرب فقام على رجليه، ثم جلس فقال: أحسنت و الله يا عمّ ما شئت! قال: فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين فهب لي الجام الثالثة؛ فقال: خذها فأخذها. و قام أمير المؤمنين، و دعا إبراهيم بمنديل فثناه طاقتين و وضع الجامات فيه و شدّه، و دعا بطين فختمه و دفعه إلى غلامه، و نهضنا إلى الانصراف، و قدّمت دوائنا. فلما ركب إبراهيم التفت إليّ فقال: يا محمد بن الحارث، زعمت أنّي لا أحسن أنا و جاريتي بشيئا، و قد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي: قد رأيت، فخذها لا بارك الله لك فيها! و لم أجه بشيء.

نسبة هذه الأصوات صوت

ما بال شمس أبي الخطّاب قد غربت # يا صاحبيّ أظنّ الساعة اقتربت
أم لا فما بال ربح كنت آملها # غدت عليّ بصرّ [2] بعد ما خبئت
أشكو إليك أبا الخطّاب جارية # غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت
رأيت قيّمها يوما يحدثها [3] # يا ليتها قربت منّي و ما بعدت

الشّعْر و الغناء لإبراهيم بن المهديّ رمل بالبنصر. و فيه هزج بالبنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصليّ، و ذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهديّ.

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى # عشير الذي ألقى فيلتئم الحبّ
وصالكم صدّ و قربكم قلى # و عطفكم سخط و سلمكم حرب

الشعر للعبّاس بن الأحنف. و الغناء لإبراهيم.

شعره في باقة نرجس غنى به المعتصم:

و قال ابن أبي طاهر حدّثني المؤمّل بن جعفر قال: سمعت أبي يقول: كانت في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهديّ: يا عمّ قل فيها أبياتا و غنّ فيها. فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيهة ثم قال:

صوت

ثلاث عيون من التّرجس # على قائم أخضر أملس
يذكّرني طيب ربّ الحبيب # فيمنعني لذّة المجلس

[1]العشير: جزء من عشرة كالعشر.

[2]ريح صر: شديدة الصوت و البرد.

[3]كذا في أ، م و في ج: «و النأي عندكم» . و في سائر النسخ: «و الشوق يغلبني» .

و صنع فيه لحنا و غناه به، فأعجبه و أمر له بجائزة. لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف رمل بالنصر، ذكر لي ذكاء و غيره ذلك.

غضب عليه المأمون و سجنه فاستعطفه حتى عفا عنه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النّحوي عن الجاحظ، و أخبرني به محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا يموت بن المزّرع عن الجاحظ قال: أرسل إليّ ثمامة [1] يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهديّ و أمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم، و أخبرني عمّي قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني محمد بن عمرو الأنباريّ من أبناء خراسان قال: لما ظفر المأمون بإبراهيم بن/المهديّ أحبّ أن يوبّخه على رءوس الناس. قال: فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان و قال: [2]: السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته. فقال له المأمون: لا سلّم الله عليك و لا حفظك و لا رعاك و لا كلاك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رسلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحت وليّ ثاري، و القدرة تذهب الحفيظة، و من مدّ له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التّلف. و قد أصبح ذنبي فوق كلّ ذنب، كما أنّ عفوك فوق كلّ عفو- و قال الحسن بن عليل في خبره: و قد أصبحت فوق كلّ ذي ذنب، كما أصبح كلّ ذي عفو دونك- فإنّ تعاقب فبحقك، و إنّ تعف فبفضلك. قال: فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال: إنّ هذين أشارا عليّ بقتلك. فالتفت فإذا المعتصم و العبّاس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أمّا حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة و السياسة فقد أشارا عليك به و ما غشّاك إذ كان ما كان مئّي، و لكنّ الله عودك من العفو عادة جريت عليها دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسّم المأمون و أقبل على ثمامة ثم قال: إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ و يغلب السّحر، و إنّ كلام عمّي منه، أطلقوا عن عمّي/حديده و ردّوه إليّ مكرّما. فلما ردّ إليه قال: يا عمّ صر إلى المنادمة و ارجع إلى الأنس، فلن ترى مئّي أبدا إلا ما تحبّ.

فلما كان من الغد بعث إليه بدرج [3] فيه:

يا خير من ذملت يمانية به # بعد الرسول لايس أو طامع

و أبرّ من عبد الإله على الهدى # نفسا و أحكمه بحقّ صادع

عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج # فالموت في جرع السّمّام التّاقع [4]

متيقّظا حذرا و ما يخشى العدا # نبهان من وسنات ليل الهاجع

و الله يعلم ما أقول فإنها # جهد الأئمة من حنيف راجع

[1] ثمامة: هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري أحد المعتزلة البصريين، ورد بغداد و اتصل بهارون الرشيد و غيره من الخلفاء، و له أخبار و نوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ و غيره. (انظر «تاريخ بغداد» ج 7 ص 145).

[2] انظر في هذا المقام الطبري ق 3 ص 1076 طبع أوروبا و «تاريخ بغداد» ج 6 ص 144 طبع مصر.

[3] الدرج (بالفتح و يحرك) : ما يكتب فيه.

[4] رواية الطبري:

فالصاب يمزج بالسمام الناقع

قسما و ما أدلي إليك بحجة # إلا التضرع من محب خاشع
 ما إن عصيتك و الغواة تمدني # أسبابها إلا بنية طائع
 حتى إذا علقت حبال شقوتي # بردى على حفر المهالك هائع[1]
 لم أدر أن لمثل ذنبي غافرا # فأقمت أرقب أي حنف صارعي
 رد الحياة إلي بعد ذهابها # ورع الإمام القاهر المتواضع
 أحياء من ولاك أطول مدة # و رمى عدوك في الوتين بقاطع
 إن الذي قسم الفضائل[2] حازها # في صلب آدم للإمام السايغ
 كم من يد لك لا تحدتني بها # نفسي إذا آلت إلي مطامعي
 أسديتها عفوا إلي هنيئة # فشكرت مصطنعا لأكرم صانع
 و رحمت أطفالا كأفراخ القطا # و عويل عانسة كقوس النازع
 و عفوت عمّن لم يكن عن مثله # عفو و لم يشفع إليك بشافع
 إلا العلو عن العقوبة بعد ما # ظفرت يداك بمستكين خاضع

/قال: فبكي المأمون ثم قال: عليّ به، فأتي به فخلع عليه و حملة و
 أمر له بخمسة آلاف دينار، و دعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مقبلا
 فاطرح له تكأة، فكان ينادمه و لا ينكر عليه شيئا. و روي بعض هذا الخبر عن
 محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى
 ابن أبي خالد[3] الأحول و قال: هو صديقك فخذه إليك. فقال: و ما تغني
 صداقتي عنه و أمير المؤمنين ساخط عليه! أما إني و إن كنت له صديقا لا
 أمتنع من قول الحق فيه. فقال له: قل فإنك غير متهم. قال و هو يريد
 التسلق على العفو عنه[4]: إن قتله فقد قتلت الملوك قبلك أقل جرما منه،
 و إن عفوت عنه عفوت عمّن لم يعف قبلك عن مثله. فسكت المأمون
 ساعة ثم تمثّل: فلئن عفوت لأعفون جلا # و لئن سطوت لأوهنن
 عظمي[5]

قومي هم قتلوا أميم أخي # فإذا رميت أصابني سهمي

خذه يا أحمد إليك مكزّما، فانصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته
 العينية. فلما قرأها رق له و أمر برده إلى منزله[6] و ردّ ما قبض منه من
 أمواله و أملاكه. و في خبر عمي عن الحسن بن عليل قال: حدّثني محمد بن
 إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدّم إلى محمد بن مزداد لما
 أطلق إبراهيم أن يمنعه داري الخاصة [1] الهائع هنا: المنتشر.

[2] في الطبري: «الخلافة» .

[3] هو أحمد بن أبي خالد الأحول أحد رجالات المأمون و موضع ثقته.
(انظر الطبري ق 3 ص 1038، 1042، 1064، 1065، 1075) .

[4] في الأصول: «قال و هو يريد التسلق على العفو عنه فقال... إلخ»
و كلمة «فقال» لا موضع لها في الكلام.

[5] هذا شعر الحارث بن وعله الذهلي. (انظر «أشعار الحماسة» ص
96 طبع أوربا) .

[6] لعله: «منزلته» .

و العامّة، و يوكل به رجلا من قبله يثق به ليعرفه أخباره و ما يتكلم به. فكتب إليه الموكل به أنّ إبراهيم لما بلغه منعه من داري الخاصّة و العامّة تمثّل: يا سرحة الماء قد سدّت مواردّه # أما إليك طريق غير مسدود [1]

لحائم حام حتى لا حيام له # محلاً عن طريق الماء مطرود

فلما قرأها المأمون بكى و أمر بإحضاره من وقته مكرّماً و إنزاله في مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشّره بذلك و أمره بالركوب فركب. فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال: البرّ بي منك وطأ العذر عندك لي # دون اعتذاري فلم تعذل و لم تلم

و قام علمك بي فاحتجّ عندك لي # مقام شاهد عدل غير منهم

رددت مالي و لم تمنن عليّ به # و قبل ردّك مالي قد حقنت دمي

تعفو بعدل و تسطو إن سطوت به # فلا عدمنك من عاف و منتقم

فبؤت منك و قد كافأتها بيد # هي الحياتان من موت و من عدم

فقال له: اجلس يا عمّ آمنة مطمئنّاً، فلن ترى أبداً منّي ما تكرهه، إلا أن تحدث حدثاً أو تتغيّر عن طاعة؛ و أرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب في حسن المحاضرة:

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن حمدون عن أبيه قال:

كنت أحبّ أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي و أحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدّم أحمد و غلبته الناس جميعاً بحفظه و بلاغته و أدبه في كل محضر و مجلس. فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهديّ و عنده أحمد بن يوسف و أبو العالية الخزريّ، فجعل إبراهيم يحدّثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرّة يضحكنا و مرّة يعظنا / و مرّة ينشدنا و مرّة يذكّرنا، و أحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلس أردت أن أخاطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال: مالك لا تبح يا كلب الدّوم # قد كنت نبّاحاً فمالك اليوم

فتبسّم إبراهيم ثم قال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت أحمد منّي.

أثنى عليه إسحاق:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدّعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهديّ و أبي دلف القاسم بن عيسى العجليّ. فقيل له: فأين محمد بن الحسن بن مصعب منهما؟ فقال: لو قيل

لك إن محمد بن الحسن يبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: و كيف يبصر
الغناء من نشأ بخراسان لا يسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه!
[1] هذا الشعر لإسحاق الموصلي.

إقرار ابن بانه له و لإسحاق بالعلو في فن الغناء:

أخبرني يحيى قال حدّثني أبو العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانه قال:

رأيت إسحاق الموصليّ يناظر إبراهيم بن المهديّ في الغناء، فتكلّمًا فيه بما فهماه و لم نفهم منه شيئًا.

فقلت لهما: لئن كان ما أتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل و لا كثير.

فضل المأمون غناؤه على غناء إسحاق في شعر للأخطل:

أخبرني عمّي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حمدون: أنّ المأمون قال لإسحاق: غنّني لحنك في شعر الأخطل: يا قلّ خير الغواني كيف رغن به # فشربه و شلّ منهّنّ تصرّيد[1]

فغناه إيّاه فاستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ: هل صنعت في هذا الشعر شيئًا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: فهاته؛ فغناه فاستحسنه المأمون و قدّمه على صنعة إسحاق، و لم يدفع إسحاق ذلك.

علمه إسحاق لحنًا فطرب له الأمين و قصة ذلك:

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى الموصليّ قال ذكر أبي عن جدّي عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال: دخلت يومًا على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة، فرأيت عليه مطرف خزّ أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدّثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال: لقد كانت/لكم أيّام حسنة و دولة عجيبة، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيت مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، و له حديث عجيب. فقلت له: ما أقومه إلاّ نحوًا من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوما من الأيّام، فبتّ و أنا مثخن، فانتبهت لرسول محمد الأمين، فدخل عليّ فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجلّ إليّ- و كان بخيلا على الطعام فكنت آكل قبل أن أذهب إليه- فقممت فتسوّكت و أصلحت أمري، و أعجلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه و إبراهيم بن المهديّ جالس عن يمينه و عليه هذا المطرف و جبة خزّ دكنا. فقال لي محمد: يا إسحاق تغدّيت؟ فقلت: نعم يا سيّدي. فقال: إنك لنهم، أ هذا وقت غداء! فقلت: أصبحت يا أمير المؤمنين و بي خمار، فكان ذلك ممّا حدّثني[2] على الأكل.

فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرطال. فقال: اسقوه مثلها. فقلت:
إن رأيت أن تفرّقها عليّ! فقال: تسقى رطلين و رطلا. فدفع إليّ رطلان
فجعلت أشربهما و أنا أتوهّم أنّ نفسي تسيل معهما، ثم دفع إليّ رطل آخر
فشربته فكأنّ شيئاً انجلى عنّي. فقال غنّني: كليب لعمرى كان أكثر ناصرا #
و أيسر جرما منك ضرّج بالدم

فغنّيته؛ فقال: أحسنت و طرب، ثم قام فدخل. و كان يفعل ذلك كثيرا،
يدخل إلى النساء/و يدعنا.

فقمت في أثر قيامه فدعوت غلاما لي فقلت: اذهب إلى منزلي و
جئني [1]كذا في «ديوان الأخل» (طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة
1891 م) . و في الأصول: «لشربة» . و الشرب (بالكسر) هنا: الحظ من
الماء. و الوشل هنا: القليل. و التصريد: السقي دون الري. يريد بهذا الشطر
أن حظه منهن قليل.

[2]كذا في ج. و في سائر الأصول: «جرأني» .

ببزم اورديتين [1] و لقيهما في منديل و اذهب ركضا و عجل. فمضى الغلام فجاءني بهما. فلما وافى الباب و نزل عن الدابة انقطع البرزون فنفق من شدة ما ركضه، فأدخل إليّ البزم اورديتين فأكلتهما و رجعت إليّ نفسي و عدت الى مجلسي. فقال/لي إبراهيم: إن لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي. فقلت: إنما أنا عبدك و ابن عبدك، قل ما شئت. قال: ترد عليّ: كليب لعمرى كان أكثر ناصرا

و هذا المطرف لك. فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفا على هذا، و لكنني أصير إليك إلى منزلك فألقيه على الجواري و أردّه عليك مرارا. فقال: أحب أن تردّه عليّ الساعة و أن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك و من حاله كذا و كذا.

فرددت عليه الصوت مرارا حتى أخذه. ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا، فشرّب و تحدّثنا. فغناه إبراهيم: كليب لعمرى كان أكثر ناصرا

فكأنّي و الله لم أسمع قبل ذلك حسنا، و طرب محمد طربا عجيبا و قال: أحسنت و الله يا عمّ! أعط يا غلام عشر بدر لعمي الساعة، فجاءوا بها. فقال: يا أمير المؤمنين إنّ لي فيها شريكا. قال: و من هو؟ قال: إسحاق. قال: و كيف؟ قال: إنما أخذته الساعة منه لَمّا قمت. فقلت له: و لم أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يشركك فيما تعطاه! قال: أمّا أنا فأشركك و أمير المؤمنين أعلم. فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفا و أعطاني هذا المطرف. فهذا أخذ به مائة ألف درهم و هي قيمته.

حج مع الرشيد و قصته مع جارية رأها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهديّ: حججت مع الرشيد؛ فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور في عرصاتها، فانتهيت إلى بئر و قد عطشت و جارية تستقي منها، فقلت: يا جارية، امتحي لي دلوا. فقالت: أنا و الله عنك في شغل بضربة موالى عليّ. فنقرت بسوطي على سرجي و غيّت:

صوت

رام قلبي السلو عن أسماء # و تعزّي و ما به من عزاء

سخنة في الشتاء باردة الصيد # ف سراج في الليلة الظلماء

كقناني إن متّ في درع أروى # و امتحالي من بئر عروة مائي

-الشُّعر للأحوص. و الغناء لمعبد رمل مطلق في مجرى الوسطى عن
إسحاق-و تمام هذه الأبيات: إئني و الذي تحجّ قريش # بيته سالكين نقب
كداء[2]

لملمّ بها و إن أبت منها # صادرا كالذي وردت بداء

[1]البزماورد: طعام يسمى «لقمة القاضي» و «فخذ الست» و «لقمة
الخليفة» ، و هو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد و البيض. (انظر كتاب
«التاج» للجاحظ ص 173 هامشة 3) .

[2]كداء بأعلى مكة عند المحصب.

و لها مربع ببرقة خاخ[1] # و مصيف بالقصر قصر قباء
 قلبت لي ظهر المجنّ فأمست # قد أطاعت مقالة الأعداء

و لمعبد أيضا في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأوّل و الثاني خفيف
 ثقيل عن الهشاميّ. و لابن سريح في: و لها مربع ببرقة خاخ

و كفناني إن متّ في درع أروى

رمل عن الهشاميّ أيضا. و لإبراهيم في: «رام قلبي» و ما بعده ثاني
 ثقيل عن حبش-قال إبراهيم/بن المهدي في الخبر: فرفعت الجارية رأسها
 إليّ فقالت: أ تعرف بئر عروة؟ قلت لا. قالت: هذه و الله بئر عروة، ثم
 سبقتني حتى رويت، و قالت: إن رأيت أن تعيده ففعلت، فطربت و قالت: و
 الله لأحملنّ قربة إلى رحلك!. فقلت: افعلي، ففعلت و جاءت معي تحملها.
 فلما رأّت الجيش و الخدم فزعت. فقلت/لها: لا بأس عليك! و كسوتها و
 وهبت لها دنانير و حبستها عندي، ثم صرت إلى الرشيد فحدّثته حديثها؛ فأمر
 بابتياعها و عتقها؛ فما برحت حتى اشتريت و أعتقت، و أخذت لها منه صلة و
 افترقنا.

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية:

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش و محمد بن خلف بن المرزبان قالا
 حدّثنا محمد بن يزيد التّحويّ قال حدّثنا الفضل بن مروان قال: لمّا أدخل
 إبراهيم بن المهديّ على المأمون و قد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام كان
 سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه و
 استعطفه به. و كان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهات يا
 إبراهيم! هذا كلام سبقك به فحل بني العاص بن أمية و قارحهم سعيد بن
 العاص و خاطب به معاوية.

فقال له إبراهيم[2]: مه يا أمير المؤمنين؟! و أنت أيضا إن عفوت فقد
 سبقك فحل بني حرب و قارحهم إلى.

العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية،
 فإنك أشرف منه، و أنا أشرف من سعيد، و أنا أقرب إليك من سعيد
 إلى[3]معاوية، و إن أعظم الهجنة أن تسبق أمية هاشما إلى مكرمة. فقال:
 صدقت يا عمّ، و قد عفوت عنك.

غضب عليه الأمين فاستعطفه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: جرى بين محمد الأمين و بين إبراهيم بن المهديّ كلام على التّبيد، فوجد عليه محمد. فلمّا كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطاق فلم يقبلها؛ فوجّه إليه و صيفة مليحة مغنيّة معها عود معمول من عود هنديّ، و قال هذه الأبيات و غنّى فيها و ألقاها عليها حتى أخذت الصنعة و أحكمتها، ثم وجّه بها إليه. فوقفت الجارية بين يديه [1]برقة خاخ: قرب المدينة، و كذلك قباء.

[2]في ب، س: «فقال له إبراهيم فكان مه يا أمير المؤمنين» و كلمة «فكان» لا موقع لها في الكلام.

[3]كذا في ح. و في سائر النسخ: «عند» . -

و قالت له: عمّك و عبدك يا أمير المؤمنين يقول لك- و اندفعت تغني بالشعر و هو:- هتكت الضمير بردّ اللطف # و كسّفت هجرك لي فانكشف

/و إن كنت تنكر شيئاً جرى # فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بصفحك عن زلّتي # فبالفضل يأخذ أهل الشرف

قال: فسّر محمد بها، و بعث إلى إبراهيم فأحضره و رضى عنه و أمر له بخمسة آلاف دينار و تمّ يومه معه.

صالح جاريته صدوف:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسديّ قال حدّثني جعفر بن محمد الهاشميّ قال حدّثني بعض خدم إبراهيم بن المهديّ قال: كانت لإبراهيم بن المهديّ جارية يقال لها صدوف، و كان لها من نفسه موضع. فحسدها جواربه على محلها منه، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها و جفاها أياما؛ ثم شقّ ذلك عليه و اغتمّ به، و لم يطب نفسا بمراجعتها و صلحها. فدخل عليه الأعرابيّ أخو معللة صاحبة الفضل بن الربيع، و كان حسن الشّعور حلو اللفظ فصيحاً، و كان إبراهيم يأنس به، فقال له: مالي أرى الأمير منكسراً منذ أيام؟ فأمسك. فقال: قد عرفت حال الأمير و قلت في/أمره أبياتا إن أذن لي أنشدته إيّاها. فتبسّم و قال: هات؛ فأنشده: أعتبت أم عتبت عليك صدوف # و عتاب مثلك مثلها تشریف

لا تقعدنّ تلوم نفسك دائماً # فيها و أنت بحبّها مشغوف

إن الصّريمة لا ينوء بحملها # إلّا القويّ بها و أنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات و أمر له بمائتي دينار، و بعث إلى صدوف فخرجت إليه و رضى عنها، و بعثت إليه صدوف بمائة دينار.

قيل له تب و أحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائي:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن حميدة قال حدّثني ريق قالت: /مرض إبراهيم بن المهديّ مرضة أشرف منها على الموت، فجعل يتذكّر شغفه بالغناء و ما سلف له فيه و يتندّم عليه. فقال له بعض من حضر: فتب و أحرق دفاتر الغناء. فحرّك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين! فهبني أحرقت دفاتر الغناء كلها، ريق أيش أعمل بها؟ أأقتلها و هي تحفظ كلّ شيء في دفاتر الغناء!!

رأى عليا في النوم:

أخبرني جعفر بن قدامة و الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني المبرّد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهديّ قال: رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثروا فيك و في أبي بكر و عمر، فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إخسأ! ولم يزدني على ذلك. و أخبرني الكوكبيّ بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال:

كان إبراهيم شديد الانحراف عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحدّث المأمون يوماً أنه رأى عليّاً في النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه عليّ بن أبي طالب. قال: فمشينا حتى جئنا قنطرة فذهب يتقدّمني لعبورها؛ فأمسكته وقلت له: إنما أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة و نحن أحقّ به منك! فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال: و أيّ شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على أن قال سلّماً سلّماً. فقال له المأمون: قد و الله أجابك أبلغ جواب. قال: و كيف؟ قال: عرّفك أنك جاهل لا يجاوب مثلك؛ قال الله عز و جل: **وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**. فخرّج إبراهيم قال: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث.

تمنى له الأمين طول العمر:

أخبرني الكوكبيّ قال حدّثني المفصل بن سلمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال: قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك! فقال: بل جعلني الله فداءك؛ فأعظمت ذلك. فقال: يا عمّ لا تعظمه فإنّ لي عمرا لا يزيد و لا ينقص؛ /فحياتي مع الأحبة أطيب من تجرّعي فقدهم، و ليس يضرنّني عيش من عاش بعدي منهم.

غنى للأمين لحنا فطرب و طلب إليه أن يلقنه إحدى جواريه، و قصة ذلك:

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال: كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيّه؛ فغنيته:

صوت

أقوت منازل بالهضاب # من آل هند و الرّباب

خطّارة بزمامها # و إذا ونت ذلل[1] الرّكاب

ترمي الحصاء بمناسم # صمّ صلامة صلاب

قال: فاستحسن اللّحن و سألني عن صانعه؛ فعرّفته أن ابن جامع حدّثني عن سياط أنه لابن/عائشة؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزّه، ثم انصرفنا ليلتنا تلك. و وافاني رسوله حين انتهت من النوم و أنا أستاك، فقال لي: يقول لك: بحياتي يا عمّ لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الرّكوب إليّ. فصليت و تناولت طعاماً خفيفاً و أنا ألبس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله، و ركبت إليه. فلما رأيته من بعيد صاح بي: يا عمّ بحياتي: خطّارة بزمامها

فلما دخلت المجلس ابتدأته و غنّيته؛ فأمر بإحضار صبيّة كان يتحفظها، فأخرجت إليّ صبيّة كأنها لؤلؤة في يدها العود. فقال: بحياتي يا عمّ ألقه عليها! فأعدته مرارا و هو يشرب؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنّيه فغنّته، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه و كان صعبا جدّا فجهدت جهدي أن يقع لها طلبا لمسرّته، و كان حقيقا منّي بذلك، فلم يقع لها البتّة. و رأى جهدي في أمرها و تعدّره عليها، فأقبل عليها/ و قد سكر ثم قال: نفيت من الرشيد و كلّ أمة لي حرّة و عليّ عهد الله لئن لم تأخذه في المرّة الثالثة لأمرنّ بالقائك في دجلة! [1] ذلل: جمع ذلول و هو السهل المنقاد من الناس و الدواب، الذكر و الأنثى فيه سواء.

قال: و دجلة تطفح و بيننا و بينها نحو ذراعين و ذلك في الربيع، فتأملت القصّة، فإذا هو قد سكر، و إذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبدا. فقلت: هذه و الله داهية، و يتنعص عليه يومه و أشرك في دمها، فعدلت عمّا كنت أغنّيه عليه و تركت ما كنت أقوله، و غنّيته كما كانت هي تقوله، و جعلت أرّده حتى انقضت ثلاث مرّات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله، و أريته أنّي أجتهد. فلما انقضت الثلاث المرّات قلت لها: هاتيه الآن، فغنّته على ما كان وقع لها. فقلت: أحسنت يا أمير المؤمنين، و ردّته معها ثلاث مرّات، فطابت نفسه و سكن، و أمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدث لحظّة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين:

قال جحظة: و قد لحقني مثل هذا؛ فإنّ طرخان[1] بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسّن صوتا غنّيته و هو: أعياني الشّادن الرّيب # أكتب أشكو فلا يجيب

من أين أبغي شفاء دائي # و إنما دائي الطّيب

- و لحنه رمل- فقال: أحبّ أن تطرحه على زهرة جاريتي، فمكثت أتردّد إليها شهرا و أكثر و أرّده عليها و هو يصلني و يخلع عليّ و يعطيني كلّ شيء حسن يكون في مجلسه، فلا تأخذه منّي و لا يقع لها. فلمّا كان بعد شهر قلت له: أيّها الأمير قد و الله استحيت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت، و قد أعياني أن تأخذه زهرة؛ ثم حدّثته حديث إبراهيم بن المهديّ و قلت له: لو لا أنّي آمنك عليها لقلته أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعا. و ليس و حياتك تأخذه أبدا كما أقوله و لا فيه حيلة. فقال لي: فدعه إذا.

غنى بحضرة المأمون لحننا و أراد ابن بُسْحُرّ أن يأخذه عنه فضله:

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسْحُرّ قال: غنّى إبراهيم بن المهديّ يوما بحضرة المأمون:

صوت

يا صاح يا ذا الصّامر العنس # و الرّحل ذي الأنساع و الحلس

أمّا الثّهار فأنت تقطعه # رتكا و تصيح مثل ما تمسي

-في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس و الهشامي. قال:
و لمعبد فيه ثقيل أول، /و قد نسب قوم لحن كل واحد منهما إلى الآخر. قال
محمد بن الحارث بن بسخر في الخبر: و اللحن لمالك بن أبي السّمح و هو
من قصاره. هكذا في الخبر-قال: فاستحسنه المأمون، و ذهب آخذه، ففطن
لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرّة و ينقص منه أخرى بزوائد التي كان يعملها
في الغناء، و علمت ما هو يصنع فتركته. فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي
إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي عليّ: يا صاح يا ذا الصّامر العنس

[1]كان من الأمراء. (انظر الكلام عليه في «صلة تاريخ الطبري» ص

. (63

قال: أفعل. فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألق على محمد: يا صاح يا ذا الصَّامر العنس

فألقيه عليّ كما كان يغيّبه مغيّراً، ثم انقضى المجلس و سكر المأمون. فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرجت و خرج. ثم جئته إلى منزله فقلت له: ما في الأرض أعجب منك! أنت ابن الخليفة و أخو الخليفة و عمّ الخليفة تبخل على وليّ لك مثلي لا يفاخرك بالغناء و لا يكاثرُك بصوت!! فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلا منك! و الله ما استبقاني المأمون محبّة لي و لا صلة لرحمي، و لكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقدته من سواه فاستبقاني لذلك. فعاظني فعله. فلما دخلت/على المأمون حدّثته بما قال لي. فقال المأمون: يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة! و أطرق مليّاً ثم قال لي: لا نكدرّ على أبي إسحاق عفونا عنه و لانقطع رحمه، فدع هذا الصوت الذي صنّ به عليك إلى لعنة الله.

قال بيتا يكيد به لدعل:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن يزيد قال: قلت لدعل: بالله أسألك أنت القائل:

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة # إذا حسبوا يوماً و ثامنهم كلب

فقال: لا و الله! فقلت: من قاله؟ قال: من حشا الله قبره نارا إبراهيم بن المهديّ، كافاني بذلك عن هجائي إياه ليشيط [1] بدمي.

خطأ مخارقاً في لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه:

أخبرني محمد بن يزيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن الحارث بن بسحتر قال: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهديّ و نادمه، دخل عليه متبدلاً في ثياب المغنّين و زيّهم. فلما رآه و ضحك و قال: نزع عمّي ثياب الكبر عن منكبيه. فدخل و جلس، و أمر المأمون بأن يخلع عليه فألبس الخلع. ثم ابتداءً مخارق فغنى:

صوت

خيليّ من كعب أ لّمّا هديتما # بزيب لا يفقد كما أبدا كعب

من اليوم زوارها فإنّ مطيّننا # غداة غد عنها و عن أهلها نكب [2]

فقال له إبراهيم: أسأت و أخطأت. فقال له المأمون: يا عمّ إن كان أساء و أخطأ فأحسن أنت. فغنى إبراهيم الصوت. فلّمّا فرغ منه قال

لمخارق: أعدده الآن، فأعاده فأحسن. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن و بينه في أوّل الأمر؟/قال: ما أبعد ما بينهما!فالتفت إلى مخارق ثم قال: إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا نفّض عاد إلى جوهره.

[1]أشاط دمه و بدمه: أذهب.

[2]نكب: مائلات، واحدها أنكب و نكباء.

سأله الرشيد عن أحسن الأسماء و أسمحها فأجابہ:

أخبرني جعفر بن قدامة[1] قال حدّثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهديّ قالت: سمعت مولاي إبراهيم بن المهديّ يحدث قال:

كنت بين يدي الرشيد جالسا على طرف حرّاقة من حرّاقته و هو يريد الموصل/ و قد بلغنا إلى السودان[2]، و المدّادون يمدّون السفن، و الشّطرنج بيني و بينه، و الدّست متوجّه له، إذ أطرق هنيهة ثم قال لي:

يا ابن أمّ، ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: محمد اسم رسول الله صلى الله عليه و سلم. قال: ثم أيّ شيء بعده؟ قلت: هارون اسم أمير المؤمنين. قال: فما أسمح الأسماء؟ قلت: إبراهيم. فزجرني ثم قال: ويحك! تقول هذا! ليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن! فقلت له: بشؤم هذا الاسم لقي من نمرود ما لقي و طرح في النار. قال: فإبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه و سلم؟ قلت: لا جرم أنه لم يعمر من أجله. قال: فإبراهيم الإمام؟ قلت بحرفة[3] اسمه قتله مروان في حرّان[4]. و أزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن الوليد خلع، و إبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل، و عمّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات، و ما رأيت و الله أحدا يسمّي/ بهذا الاسم إلا قتل أو نكب أو رأته مضروبا أو مقذوبا أو مظلوما. ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاحا يصيح بأخر: مدّ يا إبراهيم يا عاضّ بظر أمّه مدّ.

فقلت له: أبقى لك شيء بعد هذا! ليس و الله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم و السلام. فضحك و الله حتى أشفقت عليه.

غنى المأمون لحنا عرض فيه بالحسن بن سهل:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ عن أبيه قال:

دخل الحسن بن سهل على المأمون و هو يشرب؛ فقال له: بحياتي و بحقي عليك يا أبا محمد إلا شربت معي قدحا، و صبّ له من نبيذه قدحا. فأخذه بيده و قال له: من تحبّ أن يغتبيك؟ فأوماً إلى إبراهيم بن المهديّ فقال له المأمون: غنّه يا عمّ، فغنّاه:

تسمع للحليّ وسواسا إذا انصرفت

يعرّض به لما كان لحقه من السوداء و الاختلاط. فغضب المأمون حتى ظنّ إبراهيم أنّه سيوقع به، ثم قال له:

أبيت إلاّ كفرا يا أكفر خلق الله لنعمه! و الله ما حقن دمك غيره! و لقد أردت قتلك فقال لي: إن عفوت عنه فعلت فعلا لم يسبقك إليه أحد، فعفوت و الله عنك لقوله. أ فحقه أن تعرّض به و لا تدع كيدك و لا دغلك! أ و أنفت من إيمائه إليك بالغناء!. فوثب إبراهيم قائما و قال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت، و لست بعائد؛ فأعرض عنه.

[1] في ب، س: «جعفر بن محمد بن قدامة» . و قد تقدم هذا الاسم في رجال السند غير مرة.

[2] ظاهر من السياق أنها موضع.

[3] كذا في الأصول و هو تحريف و المعنى المراد واضح إذ هو يريد بشؤم اسمه أو نحو ذلك.

[4] في بعض الأصول هكذا: «في جراب النورة» و في بعضها: «في حراب النورة» و كلاهما تحريف. و المذكور في كتب التاريخ: أن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القائم بالدعوة العباسية قتله مروان بن محمد و هو في سجنه بحران، و قيل: إنه مات بالطاعون فيه، و قيل: إنه مات مسموما. و حران مدينة عظيمة و هي قصبة ديار مضر على طريق الموصل و الشام و الروم. (انظر «تاريخ الطبري» ق 3 ص 24-27 «و معجم البلدان» لياقوت في الكلام على «حران») .

غنى للمعتصم لحنا و سمعه أحمد بن أبي دواد فمال للغناء بعد أن كان يتجنبه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدّثني جرير بن أحمد بن أبي دواد قال حدّثني أخي عن أبي قال:

كنت أتجّب الغناء و أظعن على أهله و أذمّ لهجهم به؛ فوجّه المعتصم إليّ عند خروجه من مدينة السلام:

الحق بي؛ فلحقت به بباب الشّماسيّة و معي غلامي زنقطة، فوجدته قد ركب الزورق، و سمعت عنده صوتا أذهلني حتى سقط سوطي/من يدي و لم أشعر به، ثم احتجت و قد أعنق بي بردوني أن أكفّه بسوطي. فقلت لغلامي: هات سوطك؛ فقال: سقط و الله من يدي لّمّا سمعت هذا الغناء. فغلبنى الصّحك حتى بان في وجهي.

و دخلت إلى المعتصم بتلك الحال. فلمّا رأي قال لي: ما يضحكك يا أبا عبد الله؟ فحدّثته، فقال: أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع؟ فقلت له: قبل ذلك من كان يغيبك؟ قال: عمّي إبراهيم، كان يغيبني:

إنّ هذا الطويل من آل حفص # أنشر المجد بعد ما كان ماتا

ثم قال: أعده يا عمّ ليسمعه أبو عبد الله فإنني أعلم أنه لا يدع مذهبه. فقلت: بلى و الله لأدعنه/في هذا و لا لمتك عليه. فقال: أمّا إذ [1] كانت توبته على يديك يا عمّ فلقد فزت بفخرها و عدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا.

فضله مخارق على نفسه و على إبراهيم الموصلي و ابن جامع:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني طلحة بن عبد الله الطّاحي قال حدّثني الحسين بن إبراهيم [2] قال:

كنت أسأل مخارقا: أيّ النّاس أحسن غناء؟ فيجيبني جوابا مجملا حتى حففت [3] عليه يوما قال: كان إبراهيم الموصليّ أحسن غناء من ابن جامع بعشر طبقات، و أنا أحسن غناء من إبراهيم الموصليّ بعشر طبقات، و إبراهيم بن المهديّ أحسن غناء منّي بعشر طبقات. قال ثم قال لي: أحسن النّاس غناء أحسنهم صوتا، و إبراهيم بن المهديّ أحسن الجنّ و الإنس و الوحش و الطير صوتا، و حسبك هذا.

سمع إسحاق الموصلي صوتا من لحنه و شعره فطرب له و استعاده عامة يومه و قصة ذلك:

حدّثني عليّ بن هارون المنجّم قال حدّثني محمد بن أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جدّي عليّ بن يحيى يقول حدّثني محمد بن الفضل الجرجاني[4]قال:

/انتبهت يوما مغلّسا، فدخل إليّ الغلام فقال لي: إسحاق الموصليّ
بالباب قبل أن أصلي الغداة. فقلت:

يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل فقال: حملني الشوق
إليك على أن بكرت هذا البكور، و قد حملت معي نبيذي و عملت على
المقام عندك. فقلت: مرحبا بك و أهلا. و دعوت طبّاخي فسألته عمّا في
[1]كذا في ج. و في سائر الأصول: «إذا» و هو تحريف.

[2]في ب، س: «الحسين بن إبراهيم بن رباح» و ورد في الأصول
المخطوطة كما أثبتناه.

[3]يقال حفه القوم و به و حواليه إذا أحدقوا به و أطافوا و عكفوا،
فلعله يريد هنا حتى أحدقت به مضييفا عليه بالجواب.

[4]كذا في الطبري (ق 3 ص 1379، 1407، 1514) و في الأصول:
«الجرجاني» و هو تحريف.

المطبخ، فذكر أشياء يسيرة، منها قطعة جدي و طباهج[1] و درّاج معلق. فقال: ما أريد غير ذلك، هاته الساعة.

فقلت للطباخ: عجل بإحضاره، و عملت على الأكل معه و على أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجبي فقال: رسول الأمير إسحاق[2] بن إبراهيم بالباب، و إذا فرانق يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليحضره. قال فقال لي إسحاق: قم في حفظ الله و اجتهد في أن تتعجل. قال: فتقدّمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه و وضع التبيذ بين يديه، و لبست ثيابي و خرجت و ركبت. فلما سرت قليلا قلت في نفسي: أنا أخسر الناس صفقة إن تركت إسحاق بن إبراهيم الموصلّي في منزلي و مضيت إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي، و لا أدري ما يريد منّي. فقلت لفرانق: هل لك في خير؟ قال: و ما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهما و تمضي فتقول: إنك وجدتي شارب دواء.

قال نعم. فدفعت إليه ثلاثين درهما، و ختمت له ختما و رجعت. فقال لي إسحاق: أسرع الكثرة، فأخبرته بما صنعت؛ فقال و فقت. فجلست و كان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. و خرج الجواري إليه فغيبن حتى مرّ صوت إبراهيم بن المهديّ في شعره و هو: جدّد الحبّ بلايا # أمرها ليس يسيرا

/- و لحنه من التّقيّل الثاني-قال: فطرب إسحاق طربا ما رأيت طرب مثله قط، و عجب من إحسانه في صنعه و جودة قسمته، و لم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغني غيره حتى شرب إسحاق قطرّ مينة[3]، و فيه من المشمّس[4] الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلا، و كلما حضرت صلاة قام إسحاق يصلي بنا، فصلّى بنا العتمة و قد فني قطر ميزه فشرب من نبيذ رطلين على الصوت. قال: و كان محمد بن الفضل ينزل بسوق الثلاثاء و إسحاق ينزل على نهر المهديّ. و قد ورّر محمد بن الفضل للمتوكّل قبل عبيد الله بن يحيى.

نسبة هذا الصوت

جدّد الحبّ بلايا # أمرها ليس يسيرا

كبر الحبّ و قدما # كان إذ حلّ صغيرا

ذللّ [5] الحبّ رقابا # كان أداها عسيرا

ليس لي من حبّ إلفي # غير حرمانني السرورا

الشعر و الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل.

أحب جارية عند بعض أهله و قال فيها شعرا:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى بن حمّاد قال حدّثني عبد الوهّاب بن محمد بن عيسى قال: [1]الطباهج: الكباب. (فارسي معرب) . و الدراج: ضرب من الطير يطلق على الذكر و الأنثى.

[2]هو إسحاق بن إبراهيم المصعبي حاكم بغداد في أيام المأمون و المعتصم و الواثق، و هو من أرباب المكانة العالية في الرواية و الأدب و نقد الغناء. (انظر الحاشية رقم 1 من كتاب «التاج» للجاحظ ص 31) .

[3]القطرميز: قلة كبيرة من الزجاج، فارسي معرب.

[4]كذا في ج و لعله يعني به نبذا من الأنبذة صنع في الشمس. و في أ، م: «المشمشي» . و في ب، س: «المشمش» .

[5]في أ، م: «ملك» .

استتر إبراهيم بن المهديّ عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة و قالت همسا: إن أراذك لشيء فطاوعيه و أعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توقّيه حقّه في الخدمة و الإعظام و لا تعلمه بما قالت لها؛ فجلّ مقدارها في نفسه إلى أن قبل يوما يدها، فقبّلت الأرض بين يديه. فقال: يا غزالا لي إليه # شافع من مقلتيه

/و الذي أجلت خدّ # به فقبّلت يديه

بأبي وجهك ما أك # ثر حسّادي عليه

أنا ضيف و جزاء الضّ # يف إحسان إليه

قال: و عمل فيه بعد ذلك لحنا في طريقة الهزج.

غنى للمأمون بشعر له و كان يخشى بطشه فرق له و أمنه:
و قال أحمد بن أبي طاهر:

غنى إبراهيم بن المهديّ يوما و المأمون مصطبح، و قد كان خافه و بلغه عنه تنكره: ذهب من الدنيا و قد ذهب مئّي # هوى الدهر بي عنها و ولّى بها عنيّ

فرقّ له المأمون لما سمعه، و قال له: و الله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فطب نفسا؛ فإنّ الله قد أمّنك إلا أن تحدث حدثا يشهد عليك فيه عدل، و أرجو ألا يكون منك حدث إن شاء الله.

نسبة هذا الصوت

صوت

ذهب من الدّنيا و قد ذهب مئّي # هوى الدّهر بي عنها و ولّى بها عنيّ

فإن أبك نفسي أبك نفسا نفيسة # و إن احتسبها احتسبها على ضنّ

الشّعر و الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل بالوسطى. و هذا الشعر قاله إبراهيم بن المهديّ لما أخرج الجند عيسى [1] بن محمد ابن أخي خالد من الحبس، و له في ذلك خبر طويل، و قد شرطنا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء.

و في هذه القصيدة يقول:

/

و أفلنتي عيسى و كانت خديعة # حللت بها ملكي و فلّت بها سنّي

قال ابن أبي طاهر و حدّثني أبو بكر بن الخصيب قال حدّثني محمد بن إبراهيم قال: غنّي إبراهيم بن المهديّ يوماً عند المأمون فأحسن، و بحضرة المأمون كاتب لطاهر يكنى أبا زيد، فطرب [1] كان من القوّاد، و قد ناصر إبراهيم بن المهدي في وثوبه على الخلافة، و كان من وجوه شيعته ثم غضب عليه و أمر بضربه و حبسه لخيانة ظهرت منه. (انظر «تاريخ الطبري» «ق 3 ص 1002، 1004، 1006، 1007، 1011، 1022، 1023، 1030-1034»)

حتى وثب فأخذ طرف ثوب إبراهيم فقبّله. فنظر إليه المأمون منكرا لفعله. فقال/ ما تنظر! أقبله و الله و لو قتلت عليه! فتبسّم المأمون و قال: أبيت إلاّ ظرفا.

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به:

قال ابن أبي طاهر و حدّثني عليّ بن محمد قال سمعت بعض أصحابنا يقول: اجتمع إبراهيم بن المهديّ و الحسن بن سهل عند المأمون؛ فأراد الحسن أن يضع [1] من إبراهيم فقال له: يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنّيهِ العرب أحسن؟ يريد بذلك أن يشهّر إبراهيم بالغناء و العلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعرشى: تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت

أي إنك موسوس، و كان بالحسن شيء من هذا.

غنّت مغنية بحضرته فداعبها:

أخبرني عمّي عن جدّي عن عليّ بن يحيى المنجم قال: غنّت مغنية و إبراهيم بن المهديّ حاضر:

من رأى نوقا غدت سحرا

فقال إبراهيم: أنا رأيت هذا. قيل له: و أين رأيته أيها الأمير؟ قال: رأيت ولد عليّ بن ربيعة يمضون في السّحر إلى الصيد.

سمعته رومية أعجمية فبكت تأثرا من صوته:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني بعض الكُتاب عن ريق قالت: /خرجت يوما إلى سيّدي (تعني إبراهيم بن المهديّ) و قد صنع لحنه في: و إذا تباع كريمة أو تشتري # فسواك بائعها و أنت المشتري

و إذا صنعت صنيعة أتممتها # بيدين ليس نداهما بمكدر

و جارية لنا رومية أعجمية لا تفصح في أقصى الدار تكيس، و هو يطرح الصوت على شارية، و الأعجمية تبكي أحزّ بكاء سمعته قط، فجعلت أعجب من بكائها و أنظر إليها حتى سكت، فلما سكت قطعت البكاء، فعلمت أنّ هذا من غلبته بحسن صوته لكلّ طبع فصيح و أعجميّ.

غنى الأمين صوتا فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى و ابن المكيّ و ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: غنّى إبراهيم بن المهديّ ليلة محمدا الأمين صوتا لم

أرضه في شعر لأبي نواس و هو: يا كثير النّوح في الدّمن # لا عليها بل على
السّكن

سنّة العشّاق واحدة # فإذا أحببت فاستكن

[1] في ب، س: «يسمع» و هو تحريف.

ظنّ بي من قد كلفت به # فهو يجفوني على الظنن

رشأ لو لا ملاحظته # خلت الدنيا من الفتن

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم[1]. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف[2] درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور! هكذا ذكر إسحاق. و قد روى محمد بن الحارث بن بسحتر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال: لَمَّا أردت الانصراف قال: أوقروا زورق عمّي دنانير، فانصرفت بمال جليل.

كان يحسن الإيقاع على الطبل و الناي:

أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشاميّ عن أهله قال قال إبراهيم بن المهديّ- و قد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به- فقال إبراهيم: /هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها. ف قيل له: و كيف خصّ الطبل بذلك؟ فقال: لأن عمل اليدين فيه عمل واحد، و لا بدّ من أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين، و دعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظنّ أن مثله يكون، و هو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار. قال و قال له الأمين في بعض خلواته: يا عمّ أشتهي أن أراك تزمز. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت على فمي نايًا قطّ و لا أضعه، و لكن يدعو أمير المؤمنين بفلاة- من موالي المهديّ- حتى تنفخ في الناي و أمرّ يدي عليه. فأحضرت و وضعت الناي على فيها و أمسكه إبراهيم، فكلما مرّ الهواء أمرّ أصابعه، فأجمع سائر من حضر أن لم يسمع مثله قطّ.

حسن ترجيعه في لحن:

و أخبرني أبو الحسن عليّ بن هارون أيضا قال حدّثني أبي قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله و أبو عبد الله الهشاميّ قالا: كان إبراهيم بن المهديّ إذا غنّى لحنه:

هل تطمسون من السماء نجومها # بأقكم أو تسترون هلالها

فبلغ إلى قوله:

جبريل بلّغها النبيّ فقالها

هزّ حلقه فيه و رجّعه ترجيعاً تترزل من الأرض.

غنت متيم الهشامية لحننا فاختلس إيقاعه منها:

أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدّثني عبد الله بن المعتز قال حدّثني الهشامي قال: كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد و إبراهيم بن المهدي حاضر، فتغنّت متيم في الثقل الأول: [1] في ب، س: «دينار» .

[2] في ب، س: بعشرين ألف ألف درهم هل هي إلخ» . -

لزنب طيف تعتريني طوارقه

/ فأشار إليها إبراهيم أن تعيده. فقالت متيم للمعتصم: يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت و أظنه يريد أن يأخذه. فقال لها: لا تعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضرا بمجلس المعتصم و كانت متيم غائبة عنه، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله و متيم في منزلها بالميدان و طريقه عليها و هي في منظره لها مشرفة على الطريق و هي تطرح هذا الصوت على بعض جوارى بني هاشم، فتقدم إلى المنظره على دابته و تناول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظره بمقرعته و قال: قد أخذناه بلا حمدك.

نسبة هذا الصوت

لزنب طيف تعتريني طوارقه # هدوءا إذا النجم ارجحتت[1]لواحقه

سيبك مرنان[2]العشي يجيه # لطيف بنان الكف درم[3]مرافقه

إذا ما بساط اللّهُو مدّ و قرّبت # للذّات أنماطه و نمارقه[4]

الشعر للتّميريّ. و الغناء لمعبد، و لحنه من القدر الأوسط من الثّقل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق.

و فيه لمالك خفيف ثقل أوّل بالبنصر عن يونس و الهشاميّ.

برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء:

أخبرني عليّ بن هارون قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: كان محمد بن موسى المنجم يقول: حكمت أنّ إبراهيم بن المهديّ أحسن الناس كلهم غناء ببرهان، و ذلك أنّي كنت أراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون و المعتصم يغني المغنون و يغني، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان و المتصرّفين في الخدمة و أصحاب الصناعات و المهن الصّغار و الكبار أحد إلاّ ترك ما في يده و قرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغيا إليه لاهيا عمّا كان فيه ما دام يغني، حتى إذا أمسك و تغنى غيره رجعوا إلى التّشاغل بما كانوا فيه و لم يلتفتوا إلى ما يسمعون. / و لا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفطن له و اتّفاق الطّبائع مع اختلافها و تشعب طرقها-على الميل إليه و الانقياد له.

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها:

حدّثني أحمد بن جعفر حطة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: قلت للمعتصم: كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد/مثلها. فقال: و

ما هي؟ قلت: شارية و زامرتها معمعة.

فقال: أمّا شارية فعندنا، فما فعلت الزّامرة؟ قلت: ماتت. قال: و ما ذا؟ قلت: و ساقيته مكنونة، و لم ير أحسن وجهها و لا ألين و لا أظرف منها. قال: فما فعلت؟ قلت: ماتت. قال: و ما ذا؟ قلت: نخلة كانت تحمل رطبا طول الرّطبة [1] ارجح النجم: مال نحو المغرب.

[2] المرنان: الكثير الرنين، و يقال: سحابة مرنان و قوس مرنان، أي كثيرة الرنين. و المراد هنا: آلة الطرب.

[3] درم: جمع أدرم و هو من لا حجم لعظامه.

[4] نسب هذا البيت في «الكامل» للمبرد ص 708 طبع أوربا لنصيب.

منها شبر. قال: فما فعلت؟ قلت: جمّرتها [1] بعد وفاته. قال: و ما ذا؟ قلت: قدحه الصّخّاح. قال: و ما فعل؟ قلت: الساعة و الله حمني فيه أبو حرملة فسألته أن يهبه لي ففعل، و وّجّهت به إلى منزلي فغسل و نظف و أعيد إلى خزانتي، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك و هو يقول لي: أ يترع ضخّاحي دما بعد ما عدت # عليّ به مكنونة مترعا خمرا

فإن كنت مئّي أو تحبّ مسرّتي # فلا تغفلن قبل الصّباح له كسرا

فانتبهت فزعا و ما فرق [2] الصبح حتى كسرته.

كتب إليه إسحاق الموصلي فأجابه:

فأمّا المماظة [3] التي كانت بينه و بين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طرف. و نذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسن إبراهيم و القيام بحجّته إن كانت له، و عذره [4] فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق. فمن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل العبّاس بن أحمد بن ثوبة رحمه الله بخط إسحاق في قرطاس- و أنا أعرف خطه- و جواب إبراهيم بن المهديّ في ظهره بخط ضعيف و أظنّه خطه؛ لأنه لو كان خط/كاتب [5] لكان أجود من ذلك الخط، و قد ذهب أوّل الكتاب فذهب منه أوّل الابتداء و الجواب، و نسخت بقيّته؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق: و كنت-جعلت فداءك-كتبت في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي و سيدي [6]. فمتى دفعت ذلك! و هل لي فخر غيره! أو لأحد عليّ و عليّ أبي رحمه الله من قبلي نعمة سواكم!. و أحبّ [7] ذلك أن يكون، و أرجو أن أموت قبل أن يبتليني الله بذلك إن شاء الله. فأمّا ذكرك-جعلت فداءك-الصناعة فقد أجلّ الله قدرك عن الحاجة إلى دفعها و الاعتذار عنها. و أمّا أنا المسكين فأنت تعلم أنني لم أتخذ ما نحن فيه صناعة قط، و أنني لم أردّها إلاّ لكم شكرا لنعمتكم و حبّا للقرب منكم و إليكم. فليس ينبغي أن يعينني ذلك عندكم، و لا يجوز لأحد أن يعينني به إذ كان لكم. و قد علمت أنك لم تضعني من علويه و مخارق بحيث وضعتني إلاّ لغضب أحوجك إلى ذلك، و إلاّ فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الرّاحة منهما بعثتهما أو تخلية سبيلهما على ثمن أصيبه ببيعتهما أو حمد أكتسبه بثمانهما، فكيف أظنّ أنني عندك مثلهما، أو أنك تقرنني [8] إليهما و تذكرني معهما!. أو تلومني الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف، و أن أفزّ من الغناء فرارك من الخطأ فيه، و أمتعض منه امتعاضك ممن يخفي عليك شيئا من علومه!. كيف ترى-جعلت فداءك-الآن سبابي و أنت ترى أن أحدا لا [1] جمر النخلة: قطع جمارها.

- [2] فرق الصحيح: تبين و اتضح.
- [3] المماظة: المخاصمة و المنازعة.
- [4] في الأصول: «و عذر» من غير هاء الضمير.
- [5] كذا في ب، س. و في سائر النسخ: «كتابه» .
- [6] كذا في أ، م. و في سائر النسخ: «مولى و سيد» .
- [7] كذا في الأصول و لعل صوابه: «و لا أحب ذلك أن يكون إلخ» .
- [8] في الأصول: «تقربني» و هو تحريف.

يحسن [1] السَّبَّ غيرك!. قد أحدثت لي-جعلت فداءك-أدبا و زدتنني بصيرة فيما أحبب من تركه و ترك الكلام فيه. فإن ظننت أن هذا فرار من الحجّة و تعريد [2] عن المناظرة، كما قلت، فقد ظفرت و صرت إلى ما أحببت؛ و إلا فإنه لا ينبغي للحز أن يتلهّى بما لا تقوم لذته بمعرفته، / و لا لعقل أن يبذل ما عنده لمن لا يحمده، و لعله لا يقرب العين فيه حتى يلحقه ما يكره منه. و أمّا ما قاله أبي-رحمه الله-من أنه لم يزل يتمنى أن يرى من / سادته من يعرف قدره حقّ معرفته و يبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رأيك، فقد صدق، ما زال يتمنى ذلك و ما زلت أتمناه. فهل رأيت-جعلت فداءك-حظي [3] منه إلا بأن ساويت به [4] من لم يكن يساوي شسعه، و لعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفصله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، و لا رعاية لطول الصّحبة و الخدمة، و لا حفظ لآثار محمودة باقية نذكرها و نحتجّ بها. ثم ها أنا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني به، و تنسبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأنني توخّيت الصواب و اجتهدت في البذل و المناصحة، لا يدفعك عني حفظ لسلف، و لا صيانة لخلف، و لا استدامة لقديم ما نعلم، و لا مصانعة لما تطلب، و لا ولاء مما أكره أن أقوله [5]. فما أرى- جعلت فداءك-من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرّع الحسرات، و تطلبك لنا العثرات، و الله المستعان. كيف أصنع جعلت فداءك! إن سكّ لم تقبل ذلك مني، و إن صدقت كذبتني، و إن كذبت ظفرت بي، و إن مزحت لأطربك و أضحكك و أقرب من أنسك و أخذ بنصيبي من كرمك غضبت و سببت، و لو كنت قريبا منك لضربت! وليتك فعلت، فكان ذلك أيسر من غضبك. ثم من أعظم المصائب عندي أمرك إيّاي أن أسأل محمد بن واضح عن قول قلته فيّ عند عمرو بن بانة. فو الله-جعلت فداءك-إني لأبشع [6] بذكره فكيف أحبب أن أذكره و أذكر له!. و إنني لأرثي لك من النّظر إليه، و أعجب من صبرك عليه، مع أنني-أعوذ بالله من ذلك-لو رغبت في هذا منه و من مثله لكفيتك و نفسي ذلك بأن أكسوه ثوبين، أو أهب له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلغ أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمد لله الذي جعل/حظي منك هذا! و مثله غير مستصغر لشأنك و لا مستقلّ لقليل حسن رأيك. و الله أسأل أن يطيل بقاءك، و يحسن جزاءك، و يجعلني فداءك. قد طال الكتاب، و كثر العتاب. و جملة ما عندي [7] من الإعظام و الإجلال اللذين لا أخاف أن أجعلهما عندك، و المحبة التي لا أمتنع منها و لا أعرف سواها، و السمع و الطاعة في تسليم ما تحب تسليمه و الإقرار بما أحببت أن أقرّ به، و سأشهد على ذلك محمد بن واضح

و أشهد لك به من أحببت و أوْدِي الخراج. و لكن لا بدّ من فائدة و إلاّ انكسر،
فهايت- جعلت فداءك- و أوف و استوف فإنك واجد صحة و استقامة إن شاء
الله. مدّ الله في عمرك، و صبرني عليك، و قدّمني قبلك، و جعلني من كل
سوء فداءك.

[1] كذا في الأصول.

[2] التعرید: الفرار.

[3] لعله: «حظه» .

[4] كذا في ج. و في سائر الأصول «فيه» و هو تحريف.

[5] كذا في الأصول.

[6] بشع بالأمر: ضاق به ذرعا.

[7] كذا في الأصول و لعلها: «و جملة ما عندي الإعظام و الإجلال
الليذان إلخ» .

نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه

... و آية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك. فأما أن أتكلم من ورائك بشيء تستثقله متعمدا؛ فما أنا إذا بحرّ و لا كريم، معاذ الله من ذلك!. و لئن جمعني و إياك و عليّ بن هشام مجلس لأستشهدته على أشياء لم أذكرها لك، و لم أكتب بها إليك، إجلالا لقدر حالك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني، و أنت عنه غافل، و الله به عليم. و أما الرشوة [1] فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب و تكره و جعلك له شاكرا. و أمّا الفوائد التي وعدت ورودها علينا فأبني لوائح أنك لا تفيدني شيئا فأنظر فيه إلا وجدنتي فيه فطنا أجيد تفتيشه و أعرف كنهه و أفيدك فيه و فيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك/أكثر منه، فأما غيرك فالهباء المنثور. و يا رأس المشنّعين [2] تقول إني غيرتك بالصناعة ثم تحتج بحذقك في تحريف الأقوال و اكتساب الحجج، لتفحم خصمك، و تعلي حجّتك، /فكيف أعيبك بحاجتي إليك، و ما أنا داخل فيه معك! لا! و لكني قلت لك: إني لست كفلان و فلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسّل إليك بما يسرّك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف و طلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحمية و الأنفة و الحيلة لتردّ الحقّ بالباطل. هذا معنى قولي؛ و قد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، و جاءني كتابك و هو عندي يشهد لي. و الكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده [3] لم يرده عليّ، فتتبع ما فيه و خذني به. فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتنشيه لك بهم ما عبت غير رأيي، و لا جهّلت غير نفسي. و لست أعتذر من هذا لأنك تشهد لي بالحقّ فيه، و إنما تريد أن تخصمني [4] بلا حجة، فيكفيني علمك بما عندي، و إلا فأنت إذا بي أجهل منّي بك. و قلت: «تذكرني معهما [5]» فقد ذكر الله النار مع الجنة، و موسى مع فرعون، و إبليس مع آدم، فلم يهن بذلك موسى و لا آدم و لا أكرم فرعون و إبليس، فأعفني من المغالطة لي و التحريف لقولي، و استمتع بي و أمتعني بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحدا مستوحشا، و لم تجد غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، و إن علم أكثر منك لم يشنك، و إن أفهمته كافاك، و إن استفهمته شفاك. لا و الله ما أردت إلا ما ذكرته لك، و لا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. و واحدة هي لك دوني، و و الله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق و علويه شيئا حتى أسمع بنعيمهما، و لا أراهما حتى أراهما ميّتين، و ما في هذا غيرك و الإعظام لك و الإكرام. و ذلك أنهما كانا لك غلامين

فصيرتھما ندين تقول فيهما و يقولان فيك، و إنما هما صنيعتاك و خريجا/
تأديبك و إن كانا غير طائل. فلو أعرضت عن انتقاصهما و رفعت ما رفع الله
من قدرك عن الإفراط في عبيهما، لكان ذلك أشبه بك و أجمل بمحللك و
خطرك و مكانك. و كذلك الذي ترثي له منه و صاحبه محمد بن الحارث، فو
الله ما أحب لك في أدبك و فضلك و دينك و محللك أن تشهر نفسك لهما
بهذا و مثله، و أن ينتهي إليهما ذلك عنك. أقول يعلم الله في ذلك لا لهما[6].
و إن [1] لعل إبراهيم يشير بهذا و نحوه إلى أشياء خاصة جرت بينه و بين
إسحاق.

[2] كذا في ج و في سائر الأصول: «المغنين» .

[3] في ب، س: «عندك لم تردّه عليّ» .

[4] خصمه يخصمه (بكسر الصاد في المضارع) : غلبه في الخصومة. و
كسر عين الفعل في المضارع هنا شاذ في هذا الباب.

[5] يريد مخارقا و علويه، كما سيأتي في السياق.

[6] كذا في الأصول. و لعل صواب العبارة: «أقول-يعلم الله-ذلك لك لا

لهما» .

ذلك، لو صرت إليه، لأجمل بك و أجلّ لقدرك و إن كنت لتتخوّلهما به. و لو أردت ذلك، و إن زهدت فيه، لم تضع نفسك و محلّك مع غلمان أحداث ييسطون ألسنتهم فيك بما بسطته منهم علي نفسك، و لو لم تفعل لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليتهم الذين تولوا منّتهم. هذا رأيي لك بما هو أكبر لأمرك و أشبه بمحلّك. و و الله ما غششتك و لا أوطأتك عشواء، فاختر لنفسك ما رأيت. و لا و الله لا سمعا بهذا أبدا و لا بما قلته فيّ إلا خزيا حتى يموتا، و لا أردت-يشهد الله-بهذا غيرك. و أمّا من ذكرت أنّي أسوّيه بأبي إسحاق رحمه الله و هو لا يساوي شبيعه فإنك عنيت ابن جامع. و أنت لا تدخل بيني و بين أبي إسحاق رضي الله عنه، و لا أظنك و الله أشدّ حبا له مني، و لا كان لك أشدّ حبا منه لي، فقد تعلم كيف كان لي، و لكن لا أظلم ابن جامع كما تظلمه أنت/يا أظلم البشر. و لئن ضمننت أن تنصفني لأكلمنك فيه بما لا تدفعه، و لكنّي لا أكلمك في شيء حتى أثق بهذه منك، و إلا وسعني من السكوت ما وسعك. و من العجب الذي لم أر مثله و المكابرة التي لا يشبهها شيء اعتداؤك عليّ في التجزئة حيث[1] تقول: حيّا أمّ يعمرأ # قبل شحط من التوى

/يا أخي و حبيب نفسي فانظركم في هذا من العيوب!!قولك: «يا» ليكون مثل «شحط» في الوزن، أ يكون مثل هذا في الكلام!في الجزء الثاني «حيّ» حتى يكون مثل «قبل»، هل يكون مثل هذا! و ليس في «يا» المشدّدة أربع ياءات، و في «حي» التي عطفت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، و إنّما هي ثلاث في الأصل: الياء المشدّدة و ياء الاثني حيث[2] تقول «حيّا»!. و الناس في هذا بيني و بينك بهائم، فمن أستعدي عليك! و لو أنصفت لعلمت أنّه لا يمكن في: حيّا أمّ يعمرأ

غير ما جرّأت أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكن تجعله أوّل الكلام فقد زدت قبله حرفا، أو تسكين متحرّك فتريد بعده حرفا! كقولك «أم يعمرأ قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفا، و كقولك «أم يعمرن قبلا» فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرّك لا يمكن. فأية حجة هذه! و من يصبر لك على هذا! و إنّما أردت أنا ما يجوز فجئني بتجزئة واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخي تنفس عليّ الصواب فيما لا نقيصة عليك فيه و لا عيب، ثم اتخذت تحمّدي إليك، بما قلت لك أن تسأل محمدا عن[3]قولي فيك بظهر الغيب. ذنبا بطبعك على الظلم و التحريف، حتى كأنني أعلمتك أن أحدا تنقصك فحميت لذلك، و لم يكن غير الردّ عليه. و

اللّٰهُ يَا مِثْلِي يَمَنْ بِهَذَا، وَ لَكِنِّي كُنْتُ إِذَا تَحَدَّثْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ خَالِيَا كَلَّمْتَهُ بِمِثْلِ مَا أَكَلَمْتُكَ بِهِ مِنَ الرَّدِّ وَ الْجَدْلِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَنَا مِنْ يَحْتَشِمُ كَانَ كَلَامِي بِمَا يَجِبُ [4] أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَ التَّقْدِيمِ، فَقَالَ لِي: أَيُّ شَيْءٍ هَذَا الَّذِي أَرَى؟ فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا كَلَامُ الْحِشْمَةِ وَ ذَلِكَ كَلَامُ الْأَنْسِ. فَأَرَدْتُ بِإِعْلَامِكَ هَذَا أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي لَا أُرِيدُ بِمَا أَنَا زَعَكَ فِيهِ شَيْئًا يَزِيغُ عَمَّا تَعْرِفُ مِنِّي، وَ أَنِّي أَذْكَرُكَ/بِمَا يَشْبَهُكَ فِي مَوْضِعِهِ. فَلَوْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ وَ أَبْقَيْتَ عَلَى الْإِخَاءِ لَمَا كُنْتُ تَحَرَّفُ هَذَا بِشَيْءٍ، وَ هُوَ جَمِيلٌ أَرْضَاهُ مِنْ نَفْسِي، فَتَصَيَّرَهُ قَبِيحًا تَرِيدُ أَنْ أَعْتَذِرَ إِلَيْكَ مِنْهُ.

وَ أَمَّا أَدَاءُ الْخِرَاجِ وَ الْإِشْهَادِ، فَهَذَا شَيْءٌ لَمْ أَطْلُبْهُ مِنْكَ، إِنَّمَا أَنْتَ طَلَبْتَهُ مِنِّي ظَالِمًا لِي. وَ ذَلِكَ لِأَنِّي لَمْ أَنَا زَعَكَ إِلَّا مَنَازَعَةَ مَنَاطِرٍ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ حَسَنَ فَحْصِهِ وَ ثَاقِبَ نَظَرِهِ.

[1] فِي ج، ب، س: «حَتَّى» .

[2] فِي ج، ب، س: «حَتَّى» .

[3] فِي الْأَصُولِ: «مِنْ» .

[4] فِي الْأَصُولِ: «يَجِبُ» .

وَأَمَّا الرَّئِيسَةُ فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ لَكَ عَلَى أَهْلِ هَذَا الْعَمَلِ، وَ لَا رِئِيسَةَ لِي عَلَيْهِمْ وَ لَا لَكَ عَلَيَّ؛ لِأَنِّي فِي الْعِلْمِ مُنَاطِرٌ وَ فِي الْعَمَلِ مُتَلَدِّذٌ. فَلَا تَظْلَمْنِي وَ لَا نَفْسَكَ لِي.

وَمِنْ بَعْدِ فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ تُخْبِرَنِي كَيْفَ أَنْتِ الْيَوْمَ بَعْدَ. وَ اللَّهُ غَمَمْتَنِي، لَا غَمَّكَ اللَّهُ وَ لَا غَمَّنِي بِكَ. وَ لَوْ شِئْتَ أَرْسَلْتُ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ طَبِيبِ أَخِي عَبِيدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ رَفِيقٌ مُبَارِكٌ عَلِيمٌ، وَ هُوَ مِنْكَ قَرِيبٌ فِي دَارِ الرُّومِ، أَخَذَتْ بَرَأِيَهُ وَ مِنْ عِلَاجِهِ. وَ هَبَّ اللَّهُ لَكَ الْعَاقِبَةَ وَ وَهَبَهَا لِي فِيكَ بِرَحْمَتِهِ.

وَ إِنَّمَا ذَكَرْتُ هَذَا الْإِبْتِدَاءَ وَ جَوَابَهُ عَلَى طَوْلِهِمَا، وَ هُمَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَكَاتِبَاتِهِمَا، لِتَعْرِفَ بِهِمَا طَرَفًا مِنْ مَقْدَارِهِمَا فِي الْمِنَازَعَةِ وَ الْمَجَادَلَةِ، وَ أَنْ إِسْحَاقَ كَانَ يَرِيدُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ التَّوَاضُعَ لَهُ وَ الْخُنُوعَ بِرِئَاسَتِهِ وَ يَتَحَامَلُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، وَ يَنْحُو إِبْرَاهِيمَ نَحْوًا مَا فَعَلَهُ بِهِ؛ لِأَنَّ نَفْسَهُ تَأْبَى مَا يَرِيدُهُ إِسْحَاقُ مِنْهُ، فَيَسْتَعْمَلُ مَعَهُ مِنَ الْمُبَايَنَةِ مِثْلَ مَا اسْتَعْمَلَهُ، وَ يَكُونَانِ فِي طَرَفَيْنِ مِنَ الظُّلْمِ يَبْعُدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ إِنصَافِ صَاحِبِهِ. وَ قَدْ رَوَى يَوْسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَارًا فِيمَا جَرَى بَيْنَهُمَا-فَوُجِدَتْ كَلَامُهُمَا مَرصُوفًا رَصْفَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَ مَنْظُومًا نَظْمَ مَنْطِقِهِ-فِيهَا تَحَامَلُ عَلَى إِسْحَاقَ شَدِيدًا، وَ حِكَايَاتٍ يَنْسَبُ مِنْ نَقْلِهَا إِلَى جَهْلِ بَصْنَاعَتِهِ كَانَ إِسْحَاقُ بَعِيدًا مِنْ مِثْلِهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَمِلَ ذَلِكَ وَ أَلْفَهُ وَ أَمَرَ يَوْسُفَ بِنَشْرِهِ فِي النَّاسِ لِيَدُورَ فِي أَيْدِيهِمْ ذِكْرٌ لَهُ يَفْضَلُ بِهِ. وَ ذَلِكَ بَعِيدٌ وَقُوعُهُ، وَ لَنْ تَدْفَعَ الْحَقَائِقَ بِالْكَاذِبِ، وَ لَا يَزِيلُ/الْخَطَأَ الصَّوَابَ، وَ لَا الْخَطْلَ السَّدَادَ. وَ كَفَى مِنْ نَضْحِ عَنِ إِسْحَاقَ بِأَنَّ أَغَانِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ مِنْهَا صَوْتٌ وَ لَا يَرُوى مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرُ، وَ أَنَّ كَلَامَهُ فِي تَجْنِيسِ الطَّرَائِقِ أَطْرَحَ، وَ عَمِلَ عَلَى مَذْهَبِ إِسْحَاقَ، وَ انْقَضَى الصَّنْعُ لِإِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ مَعَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهِ، كَمَا يَضْمَحَلُّ الْبَاطِلُ مَعَ أَهْلِهِ. فَعَدَلْتُ عَنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَقَعْ إِلَيَّ، وَ لَكِنَّهَا أَخْبَارٌ يَتَبَيَّنُ فِيهَا التَّحَامَلُ وَ الْحَنَقُ، وَ تَتَضَمَّنُ مِنَ السَّبِّ لِإِسْحَاقَ وَ الشَّتْمِ وَ التَّجْهِيلِ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْضِي عَلَى مِثْلِهِ لِأَحَدٍ وَ لَوْ خَافَ الْقَتْلَ [1]، فَاسْتَبْرَدَتْ ذَلِكَ وَ أَطْرَحَتْهُ، وَ اعْتَمَدَتْ مِنْ أَخْبَارِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الصَّحِيحِ، وَ مَا جَرَى مَجْرَى هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَيْرٍ مُسْتَحْسَنٍ وَ حِكَايَةِ ظَرِيفَةٍ دُونَ مَا يَجْرِي مَجْرَى التَّحَامَلِ؛ فَقَدْ مَضَى فِي صَدْرِ الْكِتَابِ مِنْ أَخْبَارِهِمَا وَ إِغْصَاصِ إِسْحَاقَ إِيَّاهُ بَرِيقَهُ وَ تَجْرِيعَهُ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ مَا يَنْبِئُ عَنْ بَطْلَانِ غَيْرِهِ.

وَ مِمَّنْ صَنَعَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ عَلِيَّةَ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ، وَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ أَخِيهَا كَانَ يَتَقَدَّمُهَا. وَ كَانَ يُقَالُ: مَا اجْتَمَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَ لَا

الإسلام أخ و أخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهديّ و عليّة أخته. و أخبارها تذكر بعد هذا تالية لما أذكره من غنائها. فمن صنعتها:

صوت

تضحك عمّا لو سقت منه شفا # من أقحوان بلّه قطر النّدى
أغرّ يجلو عن غشا العين العشا # حلو بعيني كلّ كهل و فتى
إنّ فؤادي لا تسلّيه الرّقى # لو كان عنها صاحبا لقد صحا

الشعر لأبي النّجم العجليّ. و الغناء لعليّة بنت المهديّ رمل بالوسطى.
[1] في هذه الجملة غموض. و لعلها تصح على هذا الوجه «... ما يعلم أنه لم يكن يقضي بمثله على أحد و لو خاف القتلى» أو نحو ذلك.

5- أخبار أبي التَّجَم و نسبه

أصله و نسبه، و هو في الطبقة الأولى من الرّجاز:
قال أبو عمرو الشَّيبانيّ: اسمه المفضَّل، و قال ابن الأعرابيّ: اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. و هو من رَجَاز الإسلام الفحول المقدّمين و في الطبقة الأولى منهم.

هو أبليغ في النعت من العجاج:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحيّ إجازة عن محمد بن سلامّ و ذكر ذلك الأصمعيّ أيضا قالا قال أبو عمرو بن العلاء:
كان أبو التَّجَم أبليغ في النعت من العجاج.

انتصف مع الرّجاز من الشعراء:

/أخبرنا محمد بن خلف و كيع قال حدثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني الفضل بن العباس الهاشميّ عن أبي عبيدة قال:
ما زالت الشعراء تغلب [1] حتى قال أبو التَّجَم:
الحمد لله الوهوب المجزل

و قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجير

و قال رؤبة:

و فاتم الأعماق خاوي المخترق [2]

فانتصفوا منهم.

أعظمه رؤية و قام له عن مكانه:

و وجدت في أخبار أبي التَّجَم عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال:

[1] كذا في ج. و في سائر النسخ: «تقصر بالرجاز حتى... إلخ» .

[2] المخترق: الممر.

قال له فتیان من عجل: هذا رؤبة بالمرید[1] يجلس فيسمع شعره و ينشد الناس و يجتمع إليه فتیان من بني تميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أو تحبون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعس[2] من نبذ فأتوه به، فشربه ثم نهض و قال: إذا اصطبحت أربعا عرفتنني # ثم تجشمت الذي جشمتني

فما رآه رؤبة أعظمه و قام له عن مكانه و قال: هذا رجّاز العرب. و سألوه أن ينشدهم فأنشدهم: الحمد لله الوهوب المجزل

و كان إذا أنشد أزيد و وحش بشيابه (أي رمى بها) . و كان من أحسن الناس إنشادا. فلما فرغ منها قال رؤبة: هذه أمّ الرّجز. ثم قال: يا أبا النّجم، قد قرّبت مرعاها إذ جعلتها بين رجل و ابنه. يوهم عليه رؤبة أنه حيث قال: تبقت[3] من أول التّبقل # بين رماحي مالك و نهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. فقال له أبو النّجم: هيهات! الكمر[4] تشابه. أي إني إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل. و نهشل قبيلة من ربيعة و هؤلاء يرعون الصّمّان[5] و عرض الدهناء. قال أبو عمرو: و كان سبب ذكر هاتين القبيلتين (يعني بني مالك و نهشل) أنّ دماء كانت بين بني دارم و بني نهشل و حروبا في بلادهم، فتحامى جميعهم الرّعي فيما بين فلج[6] و الصّمّان مخافة أن يعزّوا[7] بشرّ حتى عفا[8] كلّوه و طال، فذكر أنّ بني عجل جاءت لعزّها إلى ذلك الموضع فرعته و لم تخف من هذين الحيّين، ففخر به أبو النّجم. قال: و يدلّ على ذلك قول الفرزدق: أترتع بالأحياء سعد بن مالك # و قد قتلوا مثني بطنة[9] واحد

فلم يبق بين الحيّ سعد بن مالك # و لا نهشل إلا دماء الأساود[10]

ترتيب الرّجاز في رأي بعض الرواة:

و قال الأصمعيّ: قيل لبعض رواة العرب: من أرجز النّاس؟ قال: بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. (يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النّجم ثم رؤبة) .

[1] يعني مريد البصرة و هو من أشهر محالها، و كانت به سوق الإبل قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، و به كانت مفاخرات الشعراء و مجالس الخطباء.

[2] العس: القدح الكبير.

[3]تبقلت: خرجت لطلب البقل.

[4]الكمرة: جمع كمر، و هي رأس الذكر. يريد أن الرجال اختلطت عليك. و قد صار هذا مثلا، و لفظه «الكمرة أشباه الكمر» .

[5]الصمان: أرض فيها غلظ و ارتفاع، و فيها قيعان واسعة و رياض معشبة، و إذا أخصبت ربعت العرب جميعا. و كان الصمان في قديم الدهر لبني حنظلة، و الحزن لبني يربوع، و الدهناء لجماعتهم، و الصمان متاخم للدهناء و العرض: الوادي.

[6]فلج: علم على عدّة مواضع.

[7]يعروا: يصابوا. و في الأصول: «يعروا» . بالغين المعجمة و هو تصحيف.

[8]عفا: كثر.

[9]الظنة: التهمة.

[10]الأساود: شخوص القتلى، و هو جمع الجمع للسواد؛ و منه قول الأعشى: تناهيتم عنا و قد كان فيكم # أساود صرعى لم يسود قتيلا

كان يتسرع إلى رؤية فيكفه عنه المسمعي:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي: كان رؤية و أبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤية حتى أكفّه عنه.

ناجز العجاج حتى هرب منه:

و نسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المرثدي-قال و كان عالما راوية-قال: خرج العجاج متحفلاً [1] عليه جبة خز و عمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد و الناس مجتمعون، فأنشدهم قوله: قد جبر الدين الإله فجير

/فذكر فيها ربعة و هجاهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم و هو في بيته فقال له: أنت جالس و هذا العجاج يهجوننا بالمربد قد اجتمع عليه الناس!! قال: صف لي حاله و زيّه الذي هو فيه، فوصف له. فقال: ابغني/جملاً طحّانا قد أكثر عليه من الهناء [2]، فجاء بالجمال إليه. فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجليه فيها و انثر بالأخرى و ركب الجمل و دفع خطامه إلى من يقوده، فانطلق حتى أتى المربد. فلما دنا من العجاج قال: اخلع خطامه فخلعه، و أنشد: تذكر القلب و جهلا ما ذكر

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشمّمها و يتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه و رحله بالقطران، حتى إذا بلغ إلى قوله: شيطانه أنثى و شيطاني ذكر تعلق الناس هذا البيت و هرب العجاج.

غلب الشعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك و ظفر منه بجارية:

و نسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان-و يقال عند سليمان بن عبد الملك-يوماً و عنده جماعة من الشعراء، و كان أبو النجم فيهم و الفرزدق، و جارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذبّ عنه، فقال: من صبحني بقصيدة يفتخر فيها و صدق في فخره فله هذه الجارية. فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته (يعنون بالرجز) ، قال: فإني لا أقول إلا قصيدة. فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها و هي: علق الهوى بحبائل الشعثاء

/ثم أصبح و دخل عليه و معه الشعراء فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:
[1]متحفلاً: متزيناً.

[2]الهناء: القطران. -

منا الذي ربع [1] الجيوش لظهره # عشرون و هو يعدّ في الأحياء

فقال له عبد الملك: قف، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا نريد ما وراءه. فقال الفرزدق: و أنا أعرف منه ستة عشر، و من ولد ولده أربعة كلهم قد ربع. فقال عبد الملك أو سليمان: و من ولد ولده هم ولده، ادفع إليه الجارية يا غلام. قال: فغلبهم يومئذ.

قال: و بلغني من وجه آخر أنه قال له: فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبت له أربعة، و دفع إليه الجارية، فقدم بها البادية؛ فكان بينه و بين أهله شرّ من أجلها.

وصف جارية لخالد بن عبد الله القسري لساعته فوهبها له:
و قال أبو عمرو:

بعث الجنيد بن عبد الرحمن المرّي إلى خالد بن عبد الله القسريّ بسبي من الهند بيض، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للرجل من قريش و من وجوه الناس، حتى بقيت جارية منهنّ جميلة كان يدّخرها و عليها ثياب أرضها فوطتان. فقال لأبي التّجم: هل عندك فيها شيء حاضر و تأخذها الساعة؟ قال: نعم أصلحك الله! فقال العريان بن الهيثم التّخعيّ: كذب و الله ما يقدر على ذلك.

فقال أبو التّجم:

علقت خودا من بنات الرّطّ [2] # ذات جهاز [3] مضغط ملطّ [4]

رابي المجسّ جيّد المحطّ # كأنما قطّ على مقطّ

إذا بدا منها الذي تغطّي # كأنّ تحت ثوبها المنعطّ [5]

/شطّاً [6] رميت فوقه بشطّ # لم ينز في البطن و لم ينحطّ

فيه شفاء من أذى التّمطيّ # كهامة الشيخ اليماني التّطّ [7]

و أوماً بيده إلى هامة العريان بن الهيثم. فضحك خالد و قال للعريان: كيف ترى!. أحتاج إلى أن يروّي [8] فيها يا عريان؟! قال: لا و الله! لكنّه ملعون ابن ملعون: و قال أبو عمرو في هذه الرواية و أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني محمد بن المغيرة [9] بن محمد عن الزبير بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال: [1] ربع الجيوش: أخذ ربع أموالهم، و كان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة، و اسم هذا النصيب المربع.

- [2]الزط: جبل أسود من السند.
- [3]الجهاز هنا: فرج المرأة.
- [4]ملط: مستور، من ألت الشيء إذا ستره.
- [5]انعط الثوب: انشق.
- [6]الشط: جانب السنام.
- [7]الثط: الخفيف اللحية.
- [8]يروى: يتروى و يفكر.
- [9]في أ، م: «المغيرة بن محمد» .

غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضي عنه:

ورد أبو النّجم على هشام/بن عبد الملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صفوا لي إبلا فقطروها[1] و أوردوها و أصدروها حتى كأني أنظر إليها. فأنشدوه و أنشده أبو النّجم: الحمد لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «و هي على الأفق كعين...» و أراد أن يقول «الأحول» ثم ذكر حولة هشام فلم يتم البيت و أرتج عليه. فقال هشام: أجز البيت. فقال «كعين الأحول» و أتم القصيدة. فأمر هشام فوجئ[2] عنقه و أخرج من الرّصافة، و قال لصاحب شرطته: يا ربيع إياك و أن أرى هذا!، فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس و يأوي إلى المساجد. و قال الزبير في خبره قال أبو النّجم: و لم يكن أحد بالرّصافة يضيف إلاّ سليم بن كيسان الكلبيّ و عمرو بن بسطام التّغليبيّ، فكنت آتي سليما فأتعدّي عنده، و آتي عمرا فأتعشّي عنده، و آتي المسجد فأبيت فيه. قال: فاهتمّ هشام ليلة و أمسى لقس التّفيس/و أراد محدّثا يحدّثه، فقال لخدام له: ابغني محدّثا أعرابيا أهوج شاعرا يروي الشعر. فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النّجم، فضربه برجله و قال له: قم أجب أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابيّ غريب.

قال: إياك أبغي، فهل تروي الشعر؟ قال: نعم و أقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر و أغلق الباب، قال: فأيقن بالشرّ ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير، بينه و بين نسائه ستر رقيق و الشمع بين يديه تزهرا[3]. فلما دخل قال له هشام: أبو النّجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين طريديك. قال: اجلس. فسأله و قال له: أين كنت تأوي و من كان ينزلك؟ فأخبره الخبر. قال: و كيف اجتمعا لك؟ قال: كنت أتعدّي عند هذا و أتعشّي عند هذا.

قال: و أين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: و مالك من الولد و المال؟ قال: أمّا المال فلا مال لي، و أمّا الولد فلي ثلاث بنات و بنيّ يقال له شيبان. فقال: هل زوّجت[4] من بناتك أحدا؟ قال: نعم زوّجت اثنتين، و بقيت واحدة تجمز[5] في أبياتنا كأبها نعامه. قال: و ما وصّيت به الأولى؟-و كانت تسمّى «بزة» بالراء-فقال: أوصيت من بزة قلبا حرّا # بالكلب خيرا و الحماية شرّا

لا تسأمي ضربا لها و جرّا # حتى ترى حلو الحياة مرّا

و إن كستك ذهباً و درّاً # و الحيّ عمّهم بشرّ طرّاً

فضحك هشام و قال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت: سبّي الحماة و ابهتي [6] عليها # و إن دنت فازدلفي إليها

[1] قطر الإبل: قرب بعضها من بعض على نسق.

[2] في ب، س: «بوجء عنقه و إخراجة». يقال وجأه باليد و بالسكين إذا ضربه.

[3] زهر السراج: تلاًلاً.

[4] في ح، ب، س: «أخرجت» .

[5] جمز: عدا و أسرع.

[6] بهته: قذفه بالباطل. و هي هنا على تضمين ابهتي معنى افتري عليها فتتعدى بعلی.

و أوجعي بالفهر [1] ركبتيها # و مرفقيها و اضربي جنبها

/ و ظاهري النَّذر لها عليها # لا تخبري الدَّهر به ابنتها

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه و سقط على قفاه. فقال: ويحك! ما هذه وصية يعقوب ولده! فقال: و ما أن كييعقوب يا أمير المؤمنين. قال: فما قلت للثالثة؟ قال قلت: أوصيك يا بنتي فأني ذاهب # أوصيك أن تحمدك القرائب

و الجار و الضيف الكريم السَّاعب # لا يرجع المسكين و هو خائب

/ و لا تني أظفارك السَّلاه [2] # منهنّ في وجه الحماة كاتب

و الزوج إنَّ الزوج بنس صاحب

قال: فكيف قلت لها هذا و لم تتزوج؟ و أيّ شيء قلت في تأخير تزويجها؟ قال قلت فيها: كأنّ ظلّامة أخت شبّان # يتيمة و والداها حيّان

الرأس قمل كلّه و صئبان [3] # و ليس في الساقين إلّا خيطان

تلك التي يفرع منها الشيطان

قال: فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه، و قال للخصي: كم بقي من نفقتك؟ قال: ثلاثمائة دينار.

قال: أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلّامة مكان الخيطين.

كان أسرع الناس بديهة:

و قال الأصمعيّ أخبرني عمّي و أخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النّجم أنّ أبا النّجم قال: الحمد لله الوهوب المجزل

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى حاتم الجزار. و مقدار ما بينهما غلوة [4] أو نحوها.

قال: و كان أسرع الناس بديهة.

سئل الأصمعي أي الرجز أحسن و أجود فقال رجز أبي النجم:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا أبو أيوب المدنيّ قال حدّثنا أبو الأسود النوجشاني [5] قال: مرّ أبي بالأصمعي و أنا عنده فقال له: يا أبا سعيد أيّ الرّجز أحسن و أجود؟ قال: رجز أبي النّجم.

سأله هشام بن عبد الملك عن رأيه في النساء فأجاب:

[1] الفهر: الحجر يملأ الكف.

[2]السلامة: الطويلة.

[3]الصنبان: جمع صؤابة و هي بيضة القمل.

[4]الغلو: رمية سهم أبعد ما يقدر عليه، و يقال: هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة.

[5]كذا في الأصول. و لم نقف على هذه النسبة فيما لدينا من كتب «الأنساب». و الظاهر أنها محرفة عن «النوشجاني» نسبة إلى نوشجان بلدة بفارس.

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخزاز قال حدّثنا المدائني قال: دخل أبو النّجم على هشام بن عبد الملك و قد أتت له سبعون سنة. فقال له هشام: ما رأيك في النساء؟ قال: إني لأنظر إليهنّ شزرا[1] و ينظرن إليّ خزرا. فوهب له جارية و قال له: اغد عليّ فأعلمني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه. فقال له: ما صنعت؟ فقال: ما صنعت شيئا و لا قدرت عليه، و قد قلت في ذلك أبياتا. ثم أنشده: نظرت فأعجبها الذي في درعها # من حسنه و نظرت في سرباليا

فرأت لها كفلا يميل بخصرها # وعنا[2]روادفه و أجتّم[3]جانيا
و رأيت منتشر العجان[4]مقلّصا # رخوا مفاصله و جلدا باليا
أدني له الرّكب[5]الحليق كأنما # أدني إليه عقاربا و أفاعيا
إنّ التّدامة و السّدامة فاعلمن # لو قد صبرتك للمواسي خاليا
ما بال رأسك من ورائي طالعا # أطننت أنّ حر الفتاة و رائيا
فاذهب فإئك ميّت لا ترتجى # أبد الأبيد و لو عمرت لياليا
/أنت الغرور إذا خبرت و ربما # كان الغرور لمن رجاه شافيا
لكنّ أيري لا يرّجى نفعه # حتى أعود أختاء ناشيا

فضحك هشام و أمر له بجائزة أخرى.

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه:

قال أبو عمرو الشّيبانيّ قال ابن كناسة: قال هشام بن عبد الملك لأبي النّجم: يا أبا النّجم حدّثني. قال: عنّي أو عن غيري؟ قال: لا بل عنك.

قال: إني لمّا كبرت عرض لي البول، فوضعت عند رجلي شيئا أبول فيه. فقامت من الليل أبول، فخرج منّي صوت فتشددت، ثم عدت فخرج منّي صوت آخر، فأويت إلى فراشي، فقلت: يا أمّ الخيار هل/سمعت شيئا؟ فقالت: لا و الله و لا واحدة منهما! فضحك. قال: و أمّ الخيار التي يعني بقوله: قد أصبحت أمّ الخيار تدّعي # عليّ ذنبا كلّ لم أصنع

و هي أرجوزة طويلة.

ذكر فتاة في شعره فتزوجت:

و قال أبو عمرو الشّيبانيّ:

[1]الشزر: النظر بجانب العين في إعراض. و الخزر: هو أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه. و تسكين الزاي في الخزر لغة.

[2]الوعث: اللين.

[3]الكناية هنا ظاهرة.

[4]العجان: القضيب الممدود من الخصية إلى الدبر.

[5]الركب: الفرج.

أتت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النّجم فذكرت له أنّ بنتا لها أدركت منذ سنتين، و هي من أجمل النساء و أمدهنّ قامة و لم يخطبها أحد، فلو ذكرتها في الشعر! فقال: أفعل، فما اسمها؟ قالت: نفيسة. فقال: نفيس يا قتالة الأقوم # أقصدت قلبي منك بالسّهام

و ما يصيب القلب إلا رام # لو يعلم العلم أبو هشام

ساق إليها حاصل الشام # و جزية الأهواز كلّ عام

و ما سقى التّيل من الطعام # إذ ضاق منها موضع الإدغام[1]

/أجثم جاث مستدير حام # يعضّ في كين[2] له تؤام

عضّ النجاريّ[3] على اللّجام

فقالت: حسبك حسبك! و وفد إلى الشام، فلما رجع سمع الزّمر و الجلبة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نفيسة تزوّجت.

وصف فهود عبد الملك بن بشر بن مروان:

قال أبو عمرو و ذكر عليّ بن المسور بن عمرو عن الأصمعيّ قال أخبرني بعض الرّواة و حدّثني ابن أخت أبي النّجم: أنّ عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النّجم: صف لي فهودي هذه. فقال: إنا نزلنا خير منزلات # بين الحميرات المباركات

في لحم وحش و حباريات[4] # و إن أردنا الصيد ذا اللّدات

جاء مطيعا لمطاوعات # علّمن أو قد كنّ عالمات

فسكّن الطّرف بمطرفات # تريك آماقا مخطّطات

مدح الحجّاج برجز و طلب إليه واديا في بلاده:

و نسخت من كتاب الخرزّاز عن المدائنيّ عن عثمان بن حفص أنّ أبا النّجم مدح الحجّاج برجز يقول فيه: وبل أمّ دور عزّة و مجد # دور ثقيف بسواء نجد

أهل الحصون و الخيول الجرد

فأعجب الحجّاج رجزه و قال: ما حاجتك؟ قال تقطعني ذا الجبين. فوجم لها و سكت، ثم دعا كاتبه فقال: انظر ذا الجبين ما هو! فإن ذا الأعرابيّ سألنيهِ لعله نهر من أنهار العراق. فسألوا عنه ف قيل: واد في بلاد بني عجل أعلاه حشفة[5] و أسفله سبخة يخاصمه فيه بنو عمّ له. فقال: اكتبوا له به. قال: فأهله به إلى اليوم.

[1] الكناية في «موضع الإدغام» ظاهرة يفسرها البيت التالي.

[2] الكين: لحم باطن الفرج.

[3] لم نعثر على هذه النسبة في مظانها. و لعله يريد به فرسا كريم النجار.

[4] حباريات: مفردها حباري و هو طائر يضرب به المثل في البلاهة و الحمق.

[5] الحشفة: صخرة رخوة في سهل من الأرض. و السبخة: أرض ذات نز و ملح.

أخطأ في أشياء أخذت عليه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال قال الأصمعيّ:
أخطأ أبو النّجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله: وهي على عذب رويّ
المنهل # دخل أبي المرقال خير الأدحل

من نحت عاد في الزمان الأوّل

قال الأصمعيّ: الدّحل لا تورده الإبل إنما تورّد الرّكايا[1]. و قد عيب
بهذا و عيب بقوله في البيت الذي يليه: إنّ هذا الدّحل من نحت عاد. قال: و
الدّحلان لا تحفر و لا تنحت، إنما هي/خروق و شعاب في الأرض و الجبال لا
تصيبها الشمس، فتبقى فيها المياه؛ و هي هوّة في الأرض يضيق فمها ثم
يتسع فيدخلها ماء السماء.

قال الأصمعيّ: و قال يصف فرسه و قد أجراه في حلبة: تسبح أخراه و
يطفو أوّله

قال الأصمعيّ: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبّح أخراه كان حمار الكساح
أسرع منه. قال الأصمعيّ: و حدّثني أبي أنّه رأى فرسه هذا فقوّمه بسبعين
درهما. و إنّما يوصف الجواد بأنه تسبّح أولاه و تلحق رجلاه. قال: و خير عدو
الذكور أن تشرف، و خير عدو الإناث أن تنبسط و تصغى[2] كعدو الذئب.

[1]الركايا: جميع ركية و هي البئر.

[2]تصغى: تميل.

6- أخبار عليّة بنت المهديّ و نسبها و نتف من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشترت للمهدي في حياة أبيه:
عليّة بنت المهديّ أمّها أمّ ولد مغنيّة يقال لها مكنونة، كانت من جوارى المروانيّة المغنيّة.

نسخت من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القدّاح [1] حدّثه قال: كانت مكنونة جارية المروانيّة- و ليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس- مغنيّة، و كانت أحسن جارية بالمدينة وجها، و كانت رسحاء [2]، و كان بعض من يمازحها يعبث بها فيصيح: طست طست [3]. و كانت حسنة الصدر و البطن، فكانت توضح بهما و تقول: و لكن [4] هذا!.

فاشترت للمهديّ في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلبت عليه، حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك امرأة أغلظ عليّ منها. و استتر أمرها عن المنصور حتى مات، فولدت له عليّة بنت المهديّ.

بعض صفاتها:

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد التّوفليّ عن عمّه قال: كانت عليّة بنت المهديّ من أحسن الناس و أظرفهم تقول الشّعْر الجيّد و تصوغ فيه الألحان الحسنة، و كان بها عيب، كان في جبينها فضل سعة حتى تسمع [5]، فاتّخذت العصائب المكّلة بالجوهر لتستر بها جبينها، فأحدثت و الله شيئاً ما رأيت فيما ابتدَعته النساء و أحدثته أحسن منه.

كانت حسنة الدين و لا تشرب و لا تغني إلا أيام حيضها:

أخبرني الحسين بن يحيى و وكيع قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول: كانت عليّة حسنة الدّين، و كانت لا تغنيّ و لا تشرب التّبذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة و القرآن و قراءة الكتب، فلا تلذّ بشيء غير قول الشّعْر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه. و كانت تقول: ما حرّم الله شيئاً إلا و قد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأيّ شيء يحتجّ عاصيه و المنتهك لحرّماته! و كانت تقول: لا غفر الله لي فاحشة ارتكبتها قط، و لا أقول في شعري إلا عبثاً.

[1] في أ، م: «أبا القدّاح» .

[2] الرسحاء: القليلة لحم العجز و الفخذين.

[3] لعل المراد تشبيهها في استواء عجزها مع ظهرها و فخذها باستواء قعر الطست.

[4] في ب، س: «و يكن هذا» .

[5] في أ، م: «تسْفَح» (بتشديد الفاء) . و في ح: «تسبح» . و عبارة «النجوم الزاهرة» (ج 2 ص 191 طبع دار الكتب المصرية) : «و كان في جبهتها سعة تشين وجهها» .

لم يجتمع في الإسلام أخ و أخت أحسن غناء منها و من أخيها:
 أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عون بن محمد الكنديّ قال سمعت
 عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول: ما اجتمع في الإسلام قطّ أخ
 و أخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهديّ و أخته عليّة، و كانت تقدّم عليه.

كانت تحب المكاتبة بالشعر و كاتبت طلا فمناها الرشيد:
 أخبرني محمد قال حدّثنا عون بن محمد الكنديّ قال حدّثنا سعيد بن
 إبراهيم قال: كانت عليّة تحب أن تراسل بالأشعار من تختصّه، فاختصّت
 خادما يقال له «طلّ» من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره
 أيّاما، فمشت على ميزاب و حدّثته و قالت في ذلك: /

قد كان ما كلّفته زما # يا طلّ من وجد بكم يكفي

حتى أتيتك زائرا عجلا # أمشي على حتف إلى حتف

فحلف عليها الرشيد ألاّ تكلمّ طلاّ و لا تسمّيه باسمه، فضمنت له ذلك.
 و استمع عليها يوما و هي تدرس [1] آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله
 عزّ و جلّ: **فَإِنْ لَمْ يَصِبْهَا/وَأَبْلُ فَطَلِّ** و أرادت أن تقول: «فطلّ»
 فقالت: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقبّل رأسها و قال: قد وهبت
 لك طلاّ، و لا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه. و لها في طلّ هذا عدّة أشعار
 فيها لها صنعة. منها:

صوت

يا ربّ إني قد غرّضت [2] بهجرها # فإليك أشكو ذاك يا ربّاه

مولاة سوء تستهين بعبيها # نعم الغلام و بئست المولاه

«طلّ» و لكّني حرمت نعيمه # وصاله إن لم يغثني الله

يا ربّ إن كانت حياتي هكذا # ضرا عليّ فما أريد حياه

الشعر و الغناء لها خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى. و قد ذكر
 ابن خردادبه أن الشعر و الغناء لنبيه الكوفيّ، و أنه هويّ جارية تغنيّ، فتعلم
 الغناء من أجلها و قال الشعر، و لم يزل يتوصّل إليها بذلك حتى صار مقدّما
 في المغنّين، و أنّ هذا الشعر له فيها و الصنعة أيضا.

حجّب عنها طلّ فقالت فيه شعرا و صحفت اسمه:

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح
 بن شيخ بن عمير عن أبيه قال: حجّب طلّ عن عليّة فقالت و صحفت اسمه

في أوّل بيت:

أيا سروة[3]البستان طال تشوّقي # فهل لي إلى ظلّ لديك سبيل

[1]كذا في أكثر النسخ. و في أ، م: «تريد» و هي محرفة عن «تذير» بالذال بمعنى تقرأ.

[2]غرضت بهجرها أي ضجرت. و في الأصول: «عرضت» بالعين المهملة و هو تصحيف.

[3]السرو: شجر حسن الهيئة قويم الساق، و قد فسر به صاحب «القاموس» العرعر.

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه # و ليس لمن يهوى إليه دخول

عسى الله أن نرتاح من كربة لنا # فيلقى اغتباطا خلّة و خليل

/عروضه من الطويل. الشعر و الغناء لعلية خفيف رمل. كذا ذكر
ميمون بن هارون، و ذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رمل بالوسطى. و
أول الصوت: متى يلتقي من ليس يقضى خروجه
و ذكر حبش أنه للهدليّ خفيف رمل بالبنصر.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق
الطالقانيّ قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشاميّ قال: قالت
عليّة في طلّ و صحّفت اسمه في هذا الشعر و غنّت فيه:

صوت

سَلَّم على ذاك الغزال # الأعيد الحسن الدّلال

سَلَّم عليه و قل له # يا غلّ ألباب الرجال

خلّيت جسمي ضاحيا # و سكنت في ظلّ الحجال[1]

و بلغت منّي غاية # لم أدر فيها ما احتيالي

الشعر و الغناء لعلية خفيف رمل. و ذكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن
المكيّ في هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر في خادمها رشاً و تكني عنه بزینب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن محمد بن
عليّ بن عثمان/الشّطرنجيّ: أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال
له «رشاً» و تكني عنه. فمن شعرها فيه و كنت عنه بزینب:

صوت

وجد الفؤاد بزینبا # وجدا شديدا متعبا

أصبحت من كلفي بها # أدعى سقيما[2]منصبا

/و لقد كنيت عن اسمها # عمدا لكي لا تغضبا

و جعلت زينب سترة # و كتمت أمرا معجبا

قالت و قد عزّ الوصا # ل و لم أجد لي مذهبا

و الله لا نلت الموّدة # أو تنال الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، و روايته فيه عن المعروف بالشطرنجيّ و
لم يحصل ما رواه. و هذا الصوت شعره لابن [1]الحجال: جمع حجلة و هي
ستر العروس في جوف البيت.

[2] في أ، م: «شقيا» .

رهيمة المدنيّ. و الغناء ليونس الكاتب، و لحنه من الثقل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، و هو من زيانب يونس المشهورات و قد ذكرته معها [1]. و الصحيح أنّ عليّة غنّت فيه لحنا من الثقل الأوّل بالوسطى، حكى ذلك ابن المكيّ عن أبيه، و أخبرني به ذكاء عن القاسم بن زرور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب أو الجماز [2] قال حدّثني عبيد الله بن العباس الرّبيعيّ قال: لمّا علم من عليّة أنها تكني عن رشأ بزيب قالت:

صوت

القلب مشتاق إلى ريب # يا ربّ ما هذا من العيب

قد تيمت قلبي فلم أستطع # إلّا البكايا عالم الغيب

خبأت في شعري اسم الذي # أردته كالخبء في الجيب

قال: و غنّت فيه لحنا من طريقه خفيف الرّمل الأوّل فصحّفت اسمها في ريب.

هجت طغيان حين و شت بها إلى رشأ:

قال: و كانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان، فوشت بعليّة إلى رشأ و حكّت عنها ما لم تقل، فقالت عليّة: لطغيان خفّ مذ ثلاثين حجّة # جديد فلا يبلى و لا يتخرّق

و كيف بلى خفّ هو الدّهر كلّ # على قدميها في الهواء معلّق

فما خرقت خفّا و لم تبل جوربا # و أمّا سراويلاتها فتمزّق

شعرها حين امتنع رشأ عن شرب النبيذ:

قال: و حلف رشأ ألا يشرب النبيذ سنة، فقالت:

صوت

قد ثبت [3] الخاتم في خنصري # إذ جاءني منك تجنيك

حرّمت شرب الراح إذ عفتها # فلست في شيء أعاصيك

فلو تطوّعت لعوّضتني # منه رضاب الرّيق من فيك

فيا لها عندي من نعمة # لست بها ما عشت أجزيك

يا زينا قد أڑقت مقلتي # أمتعني الله بحبيك

[1] انظر الجزء الرابع من «الأغاني» من هذه الطبعة ص 402 و ما بعدها.

[2] مر هذا الاسم في الجزء الخامس ص 273 باسم «الحسين بن يحيى أبي الجمان» و في الجزء السابع ص 208 باسم «الحسين بن يحيى أبي الحمار» .

[3] الكناية هنا غير مفهومة و إن كان المعنى الإجمالي واضحا.

/غنت فيه عليّة هزجا.

**غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن إسماعيل
إنه لها فغضب و أعرض عنه:**

أخبرني لحظة و محمد بن يحيى قالا حدّثنا ميمون بن هارون قال حدّثني الحسن [1] بن إبراهيم بن رباح قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي: كنت عند المعتصم و عنده مخارق و علويه و محمد بن الحارث و عقيد، فتعّنى عقيد و كنت أضرب عليه:

صوت

نام عدّالي و لم أنم # و اشتفى الواشون من سقمي

و إذا ما قلت بي ألم # شكّ من أهواه في ألمي

/فطرب المعتصم و قال: لمن هذا الشعر و الغناء؟ فأمسكوا. فقلت: لعلّية، فأعرض عني، فعرفت غلطي و أنّ القوم أمسكوا عمدا، فقطع [2] بي. و تبينّ حالي، فقال: لا ترع يا محمد؛ فإنّ نصيبك فيها مثل نصيبي.

الغناء لعلّية خفيف رمل. و قد قال قوم: إنّ هذا اللحن للعبّاس بن أشرس الطنبوريّ مولى خزاعة، و إن الشعر لخالد الكاتب.

غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد قال حدّثني أبي قال: كُنا عند المنتصر، فعنّاه بنان لحنا من الرمل الثاني و هو خفيف الرمل:

صوت

يا ربّة المنزل بالبرك [3] # و ربّة السلطان و الملك

تحرّجي بالله من قتلنا # لسنا من الدّيلم و التّرك

فضحكت. فقال لي: ممّ ضحكت؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، و شرف من عمل اللحن فيه، و شرف مستمعه. قال: و ما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيد، و الغناء لعلّية بنت المهديّ. و أمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك و ما زال يستعيده.

**أخذت من إسحاق لحنا و غنّته الرشيد ثم غناه هو للمأمون
فعنّفه:**

حدّثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخا يحدث أبي و أنا
غلام فحفظت عنه ما حدّثه به و لم أعرف اسمه، قال حدّثني إسحاق بن
إبراهيم الموصليّ قال: عملت في أيام الرّشيد لحنا و هو:

[1] في ب، س: «الحسين» .

[2] قطع بي: يريد سدّت عليّ مسالك القول.

[3] البرك: علم على عدّة مواضع.

صوت

سقى لأرض إذا ما نمت نبهني # بعد الهدو بها قرع التواقيس
 كأن سوسنها في كل شارقة # على الميادين أذنان الطواويس

/قال: فأعجيني و عملت على أن أباكر به الرّشيد. فلقيني في طريقي خادم لعلية بنت المهديّ، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض جواربها غناء أخذته عن أبيك و شككت فيه الآن. فدخلت معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت معدة فجلست، و قدّم لي طعام و شراب فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إليّ خادم فقال لي: تقول لك مولاتي: أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعدته له محدث، فأسمعنيه و لك جائزة سنية تتعجلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، و لعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيت، فيذهب سعيك باطلا. فاندفعت فغيتها إياه، و لم تزل تستعيده مرارا، ثم أخرجت إليّ عشرين ألف درهم و عشرين ثوبا، و قالت: هذه جائزتك، و لم تزل تستعيده مرارا. ثم/قالت: اسمعه مئتي الآن؛ فغنته غناء ما خرق سمعي مثله. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى و الله ما لم أر مثله. قالت: يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ؛ فأحضرت لي عشرين ألفا أخرى و عشرين ثوبا. فقالت: هذا ثمنه، و أنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين، أبدأ أتغني [1] به، و أخبر أنه من صنعتي. و أعطي الله عهدا لئن نطقت أن لك فيه صنعة لأقتلك! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إليّ. فخرجت من عندها و و الله إني لكالموقن [2] بما أكره من جائزتها أسفا على الصوت، فما جسرت و الله بعد ذلك أن أتغمم به في نفسي فضلا عن أن أظهره حتى ماتت. فدخلت على المأمون في أول مجلس جلس له لهُو بعدها، فبدأت به أول ما غنيت. فتغيّر لون المأمون و قال: من أين لك و بك هذا؟! قلت: و لي الأمان على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدّثته الحديث. فقال: يا بغيض! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرته و ذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض! و هجّنتني فيه هجنة وددت معها أتّي لم أذكره. فأليت ألا أغنيه/بعدها أبدا. الشعر في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي، و قيل: إنه لإسحاق. و لحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى. و ذكر حبش أنه للهدليّ، و لم يحصل ما قاله.

طارحت أباها إبراهيم الغناء و سمعها من في مجلس المأمون:
 أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي ينشو المغنيّ حدّثني أبو أحمد بن الرشيد قال:

كنت يوما عند المأمون و إلى جانبي منصور و إبراهيم عمّاي، فجاء ياسر دخلة فساّر المأمون. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فانهض، فنهض. فنظرت إلى ستر قد رفع مما يلي دار الحرم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئاً أقلقني. فنظر إليّ المأمون و أنا أميل فقال لي: يا أبا أحمد مالك تميل؟ فقلت: إني سمعت شيئاً ما سمعت بمثله. فقال: هذه عمّتك عليّة تطارح عمّك إبراهيم: ما لي أرى الأبصار بي جافية

[1] في ب، س: «و لن أبداً بغناء غيره» .

[2] في أ، م: «و و الله إني لأكاد أموت بما أكره إلخ» .

نسبة هذا الصوت: صوت

ما لي أرى الأبصار بي جافية # لم تلتفت مني إلى ناحيه
لا ينظر الناس إلى المبتلى # وإثما الناس مع العافيه
صحبى سلوا ربكم العافيه # فقد دهنتي بعدكم داهيه
صارمني بعدكم سيدي # فالعين من هجرانه باكيه

الشعر لأبي العتاهية، و ذكر ابن المعتز أنه لعلية و أنّ اللحن لها خفيف رمل. و ذكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق، و لحن عليّة مزوموم.

أرسلت إلى الرشيد و منصور شرابا مع خلوب و غنتهما بلحن لها:

أخبرني عمي قال حدّثني أبو العباس أن بشرًا المرثديّ قال قالت لي ريق: كنت يوما بين يدي الرشيد و عنده أخوه منصور و هما يشربان، فدخلت إليه خلوب[1] (جارية لعلية) و معها كأسان مملوءتان و تحيتان، و مع خادم يتبعها عود، فغنتهما قائمة و الكأسان في أيديهما و التحيتان بين أيديهما:

صوت

حيّا كما الله خليليّا # إن ميّنا كنت و إن حيّا
/إن فلتما خيرا فخير لكم # أو فلتما غيّا فلا غيّا

فشرابا. ثم دفعت إليهما رقعة فإذا فيها: «صنعت يا سيديّ أختكما هذا اللحن اليوم، و ألقته على الجوّاري، و اصطبحت فبعثت لكما به، و بعثت من شرابي إليكما و من تحياتي و أحذق جواريّ لتغيّبكما. هناكما الله و سرّكما و أطاب عيشكما و عيشي بكما» .

دعا إبراهيم بن المهدي إسحاق و أبا دلف و غنتهم جاريته لحنا لها:

أخبرني عمي قال حدّثني بنحو من هذا أبو عبد الله المرزبان قال حدّثني إبراهيم بن أبي دلف العجليّ قال: كتّنا مع المعتصم بالقاطول[2] و كان إبراهيم بن المهديّ في حرّاقته بالجانب الغربيّ، و أبي و إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حرّاقتهما بالجانب الشرقيّ. فدعاهما في يوم جمعة، فعبرا إليه من زلال[3] و أنا معهما و أنا صغير، عليّ أقبية و منطقة فلما دنونا

من حرقاة إبراهيم فرآنا نهض و نهضت بنهوضه صبّية له يقال لها «غصّة» و إذا [1] في أ، م: «خلوى» .

[2] القاطول: اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة، و هو نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، و كان الرّشيد أوّل من حفر هذا النهر و بنى على فوهته قصرا.

[3] ظاهر من السياق أنه نوع من السفن كالزورق و نحوه. و قد ورد هذا الاسم في كتاب «تزيين الأسواق» لداود الأنطاكي صفحة 258 طبع حجر بمصر سنة 1279 هجرية في قوله: «فعزمت على واسط لأن لي بها صديقا من الكتاب فجئت فرأيت زللا مهياً فطلبت النزول معهم فقالوا نحملك بدرهمين، و لكن الزلال لهاشمي لا يريد معه غريبا، فتزيّ بزينا كأنك بعض الملاحين...» و كتب مصححه بالهامش: «قوله زللا كأنه نوع من السفن كالزورق كما يظهر من بقية الكلام» ا هـ و انظر الكلام عليه في «قاموس دوزي» .

في يديها كأسان و في يده كأس. فلما صعدا إليه اندفع فغنى: /

حيّا كما الله خليليّا # إن ميّتا كنت و إن حيّا

إن قلتما خيرا فأهلا[1] به # أو قلتما غيّا فلا غيّا

ثم ناول كلّ واحد منهما كأسا، و أخذ هو الكأس الثالث[2] الذي في يد الجارية و قال: هلمّ نشرب على ريقنا قدحا. ثم دعا بالطعام فأكلنا، و وضع النبيذ فشربنا، و غنّياه و غنّاهما و ضربا معه و ضرب معهما، و غنّت الصبيّة، فطرب أبي و قال لها: أحسنت أحسنت!. فقال له إبراهيم: إن كانت أحسنت فخذها، فما أخرجتها إلّا لك.

شكت إليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعرا و غنت به فرجع إليها:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم و إسماعيل بن يونس قالا حدّثنا أبو هفّان قال: أهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال و الكمال، فخلا معها يوما و أخرج كلّ قينة في داره و اصطحب، فكان جميع من حضره من جواربه المغنّيات و الخدّمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ من كلّ نوع من أنواع الثياب و الجواهر. و اتّصل الخبر بأمّ جعفر فغلظ عليها ذلك، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها. فأرسلت إليها عليّة: لا يهولئك هذا، فو الله لأردّته إليك، قد عزمت أن أصنع شعرا و أصوغ فيه لحنا و أطرحه على جواربيّ، فلا تبقى عندك جارية إلّا بعثت بها إليّ و ألبسيهنّ ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواربيّ، ففعلت أمّ جعفر ما أمرتها به عليّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلّا و عليّة قد خرجت عليه من حجرتها، و أم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جارية من جواربها و سائر جوارب القصر، عليهنّ غرائب اللباس، و كلهنّ في لحن واحد هزج صنّعه عليّة:

صوت

منفصل عنيّ و ما # قلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن # نويت بعدّي أن تصل

/فطرب الرشيد و قام على رجليه حتى استقبل أمّ جعفر و عليّة هو على غاية السرور، و قال: لم أر كاليوم قط. يا مسرور لا تبقيّ في بيت المال درهما إلّا نثرته. فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، و ما سمع بمثل ذلك اليوم قط.

كانت تحب لحن الرمل:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال/حدّثني محمد بن يزيد المبرّد قال: كانت عليّة تقول: من لم يطربه الرمل لم يطربه شيءٌ و كانت تقول: من أصبح و عنده طباهجة[3] باردة و لم يصطبح فعليه لعنة الله.

[1] كذا في حـ. و في أ، م: «فأهلا له» . و في ب س: «فخير لكم» .

[2] كذا في الأصول. و يلاحظ أن الكأس مؤنثه.

[3] الطباهجة: ضرب من اللحم المقلي.

غنت هي و أخوها إبراهيم و زمر عليهما أخوهما يعقوب:
 حدّثني عمّي قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب: أحسن يوم رأيته و أطيبه يوم اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهديّ عند أخته عليّة و عندهم أخوهم يعقوب، و كان أحذق الناس بالزّمر. فبدأت عليّة فغنّتهم من صنعتها و أخوها يعقوب يزمر عليها:

صوت

تحيّب فإن الحبّ داعية الحبّ # و كم من بعيد الدّار مستوجب القرب

و غنّي إبراهيم في صنعته و زمر عليه يعقوب:

صوت

يا واحد الحبّ ما لي منك إذ كلفت # نفسي بحبّك إلاّ الهمّ و الحزن
 لم ينسنيك سرور لا و لا حزن # و كيف لا! كيف ينسى وجهك الحسن
 و لا خلا منك قلبي لا و لا جسدي # كلّك مشغول و مرتهن
 نور تولّد من شمس و من قمر # حتى تكامل منه الرّوح و البدن

فما سمعت مثل ما سمعته منهما قطّ، و أعلم أنني لا أسمع مثله أبدا.

تمارت خشف و عريب في عدد أصواتها بحضرة المتوكل:
 قال ميمون بن هارون قلت لعريب:

رأيت في النوم كأنّي سألت عليّة بنت المهديّ عن أغانيها فقالت لي: هي نيّف و خمسون صوتا. فقالت لي عريب: هي كذلك. و قد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الرّبيع الرّبيعيّ قال حدّثني وسواسة و هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني خشف الواضحية أنها تمارت هي و عريب في غناء عليّة بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء، فقالت هي: هي ثلاثة و سبعون صوتا. فقالت عريب: هي اثنان و سبعون صوتا. فقال المتوكل: غنّيا غناءها، فلم تزالا تغنّيان غناءها حتى مضى اثنان و سبعون صوتا، و لم تذكر خشف الثالث و السبعين فقطع بها و استولت عريب عليها و انكسرت. قالت: فلمّا كان الليل رأيت عليّة فيما يرى النائم فقالت: يا خشف خالفتك عريب في غنائي! قلت: نعم يا سيّدي. قالت: الصواب معك، أ فتدريين ما الصوت الذي أنسيته؟ قلت: لا و الله! و لوددت أنني فديت ما جرى بكلّ ما أملك. قالت هو:

صوت

بني الحبّ على الجور فلو # أنصف المعشوق فيه لسمع
ليس يستحسن في حكم الهوى # عاشق يحسن تأليف الحجج
لا تعيين من محبّ ذلّة # ذلّة العاشق مفتاح الفرج
و قليل الحب صرفا خالصا # لك خير من كثير قد مزج

و كأنها قد اندفعت تغنيني به، فما سمعت أحسن مما غنّته، و لقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها. فانتبهت و أنا لا أعقل فرحا به. فباكرت الخليفة و ذكرت له القصة. فقالت عريب: هذا شيء صنعته أنت لما جرى بالأمس، و أمّا الصوت فصحيح. فخلفت للخليفة بما رضي/به أنّ القصة كما حكيت. فقال: رؤياك و الله /أعجب، و رحم الله عليّة! فما تركت ظرفها حيّة و ميّنة، و أجازني جائزة سنّية. و لعلّية في هذا الصوت أعني: بني الحب على الجور فلو

لحنان: خفيف ثقيل و هزج. و قيل إن الهزج لغيرها.

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتها عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها و سمعها منها و مدحهما:

و نسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدّثني أحمد بن محمد الفيرزان[1] قال حدّثني بعض خدم السلطان عن مسرور الكبير، و نسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان[1]، و فيهما خلاف يذكر في موضعه، قال: اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ يوما، فركب حمارا يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه، و خرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحسنّ به استقبله و قبّل رجليه. و جلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قوم ثم مضوا، و رأى عيدانا كثيرة، فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع.

فقال: ويلك! اصدقني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، و كانت الجاريتان لعلّية بنت المهديّ بعثت بهما يطرح عليهما. فقال الرشيد لإحدهما: غني، فغنت- و هذا كله من رواية محمد بن طاهر:- بني الحبّ على الجور فلو # أنصف المعشوق فيه لسمح

ليس يستحسن في حكم الهوى # عاشق يحسن تأليف الحجج

لا تعين من محبّ ذلّة # ذلّة العاشق مفتاح الفرج

و قليل الحب صرفا خالصا # لك خير من كثير قد مزج

فأحسنت جدّا. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أمله! و لمن اللحن؟ ما أظرفه! فقال: لا علم لي. فقال للجارية، فقالت: لسني. قال: و من سنك؟ قالت: عليّة/أخت أمير المؤمنين. قال: الشعر و اللحن؟! قالت نعم! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال: غني؛ فغنت:

صوت

تَحَبُّبٌ فَإِنَّ الْحَبَّ دَاعِيَةُ الْحَبِّ # وَ كَمْ مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ مُسْتَوْجِبِ الْقُرْبِ

تَبَصَّرَ فَإِنَّ حَدَّثَتْ أَنَّ أَخَا هَوَى # نَجَا سَالِمًا فَارِحَ النَّجَاةَ مِنَ الْحَبِّ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سَخَطٌ وَ لَا رِضَا # فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَ الْكُتُبِ

-الغناء لعلية خفيف ثقيل. و في كتاب علوبه: الغناء له-فسأل إبراهيم
عن الغناء و الشعر؛ فقال: لا علم [1] في أ، م: «الغيزران» .

لي يا أمير المؤمنين. فقال للجارية: لمن الشعر و اللحن؟ فقالت لسبي. قال: و من سنك؟ فقالت: عليّة أخت أمير المؤمنين. فوثب الرشيد و قال: يا إبراهيم احتفظ بالجارتين. و مضى فركب حماره و انصرف إلى عليّة. هذا كله في رواية محمد بن طاهر، و لم يذكره محمد بن الحسن، و لكنه قال في خبره: إن الرشيد زار الموصل في هذه الزيارة ليلا، و كان سبها[1] أنه انتبه في نصف الليل فقال: هاتوا حماري فاتي بحمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض، فركبه و خرج في درّاعة[2] و شيء متلثما بعمامة وشي ملتحفا برداء وشي، و خرج بين يديه مائة/خادم أبيض سوى الفرّاشين. و كان مسرور الفرغاني جريئا عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت منزل الموصليّ. قال مسرور: فمضى و نحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلّقاه و قبل حافر حماره و قال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداءك، أ في مثل هذه الساعة تظهر!! قال: نعم! شوق طرق بي. ثم نزل فجلس في طرف الإيوان و أجلس إبراهيم. فقال له إبراهيم: يا سيدي/أ تنشط لشيء تأكله؟ قال: نعم، و ما هو؟ قال: خاميز[3] طبي. فاتي به كأنما كان معدّا له فأصاب منه شيئا يسيرا، ثم دعا بشراب كان حمل معه. فقال له إبراهيم الموصليّ: أو غنيك يا سيدي أم يغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجوارري. فخرج جوارري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان و جانبيه. فقال: أ يضربن كلهن أم واحدة واحدة؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان و تغني واحدة فواحدة. ففعلن ذلك حتى مرّ صدر الإيوان و أحد جانبيه و الرشيد يسمع و لا ينشط لشيء من غنائهنّ، إلى أن غنت صبيّة من حاشية الصّفّ.

صوت

يا موري الرّند قد أعيت قوادحه # اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقيح الناس في عيني و أسمجهم # إذا نظرت فلم أبصر في الناس

فطرب لغنائها و استعاد الصوت مرارا و شرب أرطالا، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت إليه، فأخبرته بشيء أسرته إليه. فدعا بحماره فانصرف و التفت إلى إبراهيم فقال: ما عليك ألا تكون خليفة! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد و أدناه. هذا نظم رواية محمد بن الحسن في خبره.

و قال محمد بن طاهر في خبره: فقال للموصليّ: احتفظ بالجارتين، و ركب من ساعته إلى عليّة فقال: قد أحببت أن أشرب عندك اليوم. فتقدّمت

فيما تصلحه، و أخذاً في شأنهما. فلَمَّا أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنيذ، ثم أخذ العود من حجر جارية فدفعه إليها، فأكبرت ذلك. فقال: و تربة المهديّ لتعَنَّ! قالت: و ما أعنّي؟ قال: غنّي: بني الحَبِّ على الجور فلو

/فعلمت أنه قد وقف على القصة فعنّته. فلَمَّا أتت عليه قال لها غنّي: تحبّ فإنّ الحَبِّ داعية الحب

فلجلجت ثم غنّته. فقام و قبّل رأسها و قال: يا سيّدي هذا عندك و لا أعلم! و تمّم يومه معها.

[1] في الأصول: «سببه» .

[2] الدراعة: ضرب من الثياب، أو هي جبة مشقوقة المقدم.

[3] الخاميز: مرق السكباغ المبرد المصفى من الدهن. أعجمي معرب.

عادها أخوها إبراهيم و كرر السؤال عنها فخلج من جوابها:

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو العبيس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهديّ: ما خلجت قط خلجتي من عليّة أختي. دخلت عليها يوما عائدا فقلت: كيف أنت يا أختي جعلت فداءك و كيف حالك و جسمك؟ فقالت: بخير و الحمد لله. و وقعت عيني على جارية كانت تذبّ عنها فتشاغلت بالنظر إليها فأعجبنتني و طال جلوسي، ثم استحييت من عليّة فأقبلت عليها فقلت: و كيف أنت يا أختي جعلت فداءك و كيف حالك و جسمك؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها و قالت: أ ليس هذا قد مضى مرّة و أجبننا عنه! فخلجت خجلا ما خلجت مثله قط، و قمت و انصرفت.

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار و كان معه جعفر فعرّفه بها:

أخبرني عبد الله بن الربيع الرّبيعيّ قال حدّثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال: شهدت أبي جعفرا و أنا صغير و هو يحدث يحيى بن خالد جدّي في بعض/ ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، قال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حجرة يخرقها حتى انتهى إلى حجرة مغلقة ففتحت له، ثم رجع من كان معنا من الخدم، ثم صرنا إلى حجرة مغلقة ففتحها بيده و دخلنا جميعا و أغلقها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواق ففتحه و في صدره مجلس مغلق فقعده على باب المجلس، فنقر هارون الباب بيده نقرات فسمعنا حسنا، ثم أعاد النقر فسمعنا صوت عود، ثم أعاد النقر ثالثة فغنت جارية ما ظننت و الله أنّ الله خلق مثلها في حسن الغناء و جودة الصّرب. فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصوتا: غنّي صوتي، فغنت صوته، و هو:

صوت

و مخنّث شهد الرّفاف و قبله # غنّي الجوّاري حاسرا و منقّبا

لبس الدّلال و قام ينقر دقّه # نقرأ أقرّ به العيون و أطربا

إنّ النساء رأينه فعشقه # فشكون شدّة ما بهنّ فأكدبا

-في هذا اللحن خفيف رمل نسبه يحيى المكيّ إلى ابن سريج و لم يصحّ له، و فيه خفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها، و ذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيّات أنه لريّق. و اللحن مأخوذ من: إنّ الرجال لهم إليك وسيلة

و هو خفيف ثقيلٌ للهدليِّ، و يقال إنه لابن سريج، و هو يأتي في موضع
آخر-قال: فطربت و الله طربا هممت معه أن أنطح برأسي الحائط. ثم قال
غني: طال تكذبي و تصديقي
فغنت:

صوت

طال تكذبي و تصديقي # لم أجد عهدا لمخلوق

إنّ ناسا في الهوى غدروا # أحدثوا[1]نقض المواثيق

لا تراني بعدهم أبدا # أشتكى عشقا لمعشوق

-لحن عليّة في هذا الصوت هزج. و الشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطّوسيّ و له فيه لحن خفيف ثقيل. و لعريب فيه ثقيل أوّل و خفيف ثقيل آخر-قال: فرقص الرشيد و رقصت معه، ثم قال: امض بنا فإنّي أخاف أن يبدو منّا ما هو أكثر من هذا، فمضينا. فلما صرنا إلى الدّهليز قال و هو قابض على يدي: أعرفت هذه المرأة؟ قال قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإنّي أعلم أنك ستسأل عنها و لا تكتم ذلك، و أنا أخبرك/أنها عليّة بنت المهديّ. و الله لئن لفظت به بين يدي أحدٍ و بلغني لأقتلنك. قال: فسمعت جدّي يقول له: فقد و الله لفظت به، و و الله ليقتلنك! فاصنع ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذي أخذ منه:

و مختّث شهد الرّفاف و قبله

صوت

إنّ الرجال لهم إليك وسيلة # إن يأخذوك تكخّلي و تخصّبي

و أنا امرؤ إن يأخذوني عنوة # أقرن إلى سير الرّكاب و أجنب

أو يكون مركبك القعود[2]و حدجه # و ابن النّعامه يوم ذلك مركبي

الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شدّاد العبسيّ، و ذكر الجاحظ أنّها لخزرج[3]بن لوزان، و هو الصحيح.

و خزر شاعر قديم يقال إنه قبل امرئ القيس. و قد اختلف في معنّى قوله «ابن النّعامه» فقال أبو عبيدة و الأصمعيّ: النّعامه فرسه و ابنها ظلّها. يقول: أقاد في الهاجرة إلى جنبها فيكون ظلي كالراكب لظلّها. و قال أبو عمرو الشّيبانيّ: ابن النّعامه مقدّم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركب إلا رجلي. و قال خالد بن كلثوم: ابن النّعامه الخشبة التي يصلب عليها. يقول: أقتل و أصلب فتكون الخشبة مركبي. و احتجّ من ذكر أنه يعنى ظلّ فرسه و أنه يكون كالراكب له بقول الشاعر: إذ ظلّ يحسب كلّ شيء فارسا # و يرى نعامه ظلّه فيحول

قال: و ابن النّعامه: ظلّ كلّ شيء. و قد مضى هذا الصوت مفردا مع خبره في موضع آخر.

أمّرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعرا و غنته به فطرب:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال: زار الرّشيد عليّة فقال لها: بالله يا أختي غنيّني. فقالت: و حياتك لأعملنّ فيك شعرا و لأعملنّ فيه لحنا، فقالت من وقتها: [1] في ب، س: «حسنوا» .

[2] القعود: من الإبل ما اتخذها الراعي للركوب و حمل الزاد و المتاع. و الحدج: مركب من مراكب النساء نحو الهودج و المحفة.

[3] كذا في «القاموس» (في مادة «لوز») . و في الأصول: «حزن» و هو تحريف.

صوت

تفديك أختك قد حبوت بنعمة # لسنا نعدّها لها الزمان عديلا
 إلّا الخلود، و ذاك قريك سيّدي # لا زال قريك و البقاء[1]طويلا
 و حمدت ربّي في إجابة دعوتي # فرأيت حمدي عند ذاك قليلا

و عملت فيه لحنا من وقتها في طريقة خفيف الرّمل، فأطرب الرّشيد
 و شرب عليه بقيّة يومه.

**طلب الرّشيد أختها و لم يطلبها فقالت شعرا و بعثت من غناه
 له فأحضرها:**

قال: و قالت للرّشيد أيضا و قد طلب أختها و لم يطلبها.

صوت

ما لي نسيت و قد نودي بأصحابي # و كنت و الذّكر عندي رائح غادي
 أنا التي لا أطيق الدّهر فرقتكم # فرق لي يا أخي من طول إبعاد

قال: و غنّت فيه لحنا من الثقيل الثاني، و بعثت من غناه للرّشيد،
 فبعث فأحضرها.

**حجت و تأخرت فتكدر الرّشيد فنظمت شعرا و غنّته فرضي
 عنها:**

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عون بن محمد قال حدّثني زررور
 الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي: أنّ عليّة حجت في أيّام الرّشيد، فلمّا
 انصرفت أقامت بطيزناباد[2]أيّاما، فانتهى ذلك إلى الرّشيد فغضب.
 فقالت عليّة:

صوت

أيّ ذنب أذنبته أيّ ذنب # أيّ ذنب لو لا رجائي لربّي
 بمقامي بطيزناباد يوما # بعده ليلة على غير شرب
 ثم باكرتها عقارا شمولا # تفتن التّاسك الحليم و تصبي
 قرقفا قهوة تراها جهولا # ذات حلم فزّاجة كلّ كرب

قال: و صنعت في البيتين الأوّلين لحنا خفيف الثقيل، و في البيتين
 الأخيرين لحنا من/الرّمل. فلمّا جاءت و سمع الشعر و اللحنين رضي عنها.

اشتاقها الرشيد و هو بالرقه فطلبها فجاءته و قالت شعرا و عملت فيه لحنًا:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني عبد
الله بن إبراهيم بن المهديّ قال: [1] في أ، م: «في البقاء» .

[2] كذا في «معجم البلدان» لياقوت. و طيزناباذ: موضع بين الكوفة و
القادسية، كان من أنزه المواضع محفوفًا بالكروم و الشجر و الحانات و
المعاصر، و كان من المواضع المقصودة للهو و البطالة. و في الأصول:
«طيرتاباذ» و هو تحريف.

اشتاق الرّشيد إلى عمّتي عليّة بالرّقة، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها:

صوت

اشرب و غنّ على صوت التّواعير # ما كنت أعرفها لو لا ابن منصور

لو لا الرجاء لمن أمّلت رؤيته # ما جزت بغداد في خوف و تغرير

و عملت فيه لحنا في طريقة الثّقل الأوّل.

كانت مع الرّشيد في الري فحنت إلى العراق بشعر فردّها:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا الهشاميّ أبو عبد الله قال: لما خرج الرّشيد إلى الرّي أخذ أخته عليّة معه. فلمّا صار بالمرج [1] عملت شعرا و صاغت فيه لحنا في طريقة الرمل و غنّت به، و هو:

صوت

/

و مغترب بالمرج يبكي لشجوه # و قد غاب عنه المسعدون على الحبّ

إذا ما أتاه الرّكب من نحو أرضه # تنشقّ يستشفي برائحة الرّكب

فلمّا سمع الصّوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق و أهلها به فردّها.

غنّت الرّشيد في يوم فطر:

و نسخت من كتاب هارون بن محمد الرّيّات حدّثني بعض موالي أبي عيسى بن الرّشيد عن أبي عيسى: أن عليّة غنّت الرّشيد في يوم فطر:

صوت

طالت عليّ ليالي الصّوم و اتّصلت # حتى لقد خلّتها زادت على الأبد

شوقا إلى مجلس يزهى بصاحبه # أعيده بجلال الواحد الصّمد

الغناء لعلّيّة ثاني ثَقيل لا يشكّ فيه، و ذكر بعض الناس أنه للوائح، و ذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الرّبيعي. و الصحيح أنه لعلّيّة. و فيه لعريب ثَقيل أوّل غنّته المعتمد يوم فطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم.

ضربت و كيلها سباعا و حبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعرا:

و قال ميمون بن هارون حدّثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال:
كان لعلية وكيل يقال له سباع، فوقفت على خيانتة فضرته و حبسته،
فاجتمع جيرانه إليها فعزّفوها جميل مذهبه و كثرة صدقه، و كتبوا بذلك رقعة،
فوقّعت فيها: [1]المرج: يريد به مرج القلعة، بينه و بين حلوان منزل إلى
جهة همذان. كذا ذكر ياقوت في «معجمه» و ذكر البيهقي الواردين في هذه
القصة.

ألا أيّ هذا الرّاكب العيس بلّغن # سباعا و قل إن ضمّ داركم [1]السّففر [2]

أ تسليني مالي و إن جاء سائل # رقت له إن حطّه نحوك الفقر

كشافيه المرضي بعائدة الرّنا # تؤمّل اجرا حيث ليس لها أجر

تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون قال حدّثني علم السّمراء جارية عبد الله بن موسى الهادي أنّها شهدت عليّة غنّت الأمين في شعر لها، و هو آخر شعر قالته فيه، و طريقته من الثّقل الثاني. و كانت لمّا مات الرّشيد جزعت جزعا شديدا و تركت التّببذ و الغناء. فلم يزل بها الأمين حتى عادت فيهما على كره.

و الشعر:

صوت

أطلت عادلتني لومي و تفنيدي # و أنت جاهلة شوقي و تسهيدي

/لا تشرب الراح بين المسمعات وزر # ظبيا غريبا نقيّ الخدّ و الجيد

قد رنّحته شمول فهو منجدل # يحكي بوجنته ماء العناقيد

قام الأمين فأغنى الناس كلّهم # فما فقير على حال بوجود

لحن عليّة في هذا الشعر ثاني ثقل. و لعريب فيه هزج، و قيل إنّ الهزج لإبراهيم بن المهديّ.

قالت شعرا في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي و غنت فيه:

و قال ميمون بن هارون حدّثني محمد بن أبي عون قال حدّثني عريب أنّ عليّة قالت في لبانة بنت أخيها عليّ بن المهديّ شعرا و غنّت فيه من الثّقل الأول:

صوت

و حدّثني عن مجلس كنت زينه # رسول أمين و النساء شهود

فقلت له كرّ [3]الحديث الذي مضى # و ذكرك من ذاك [4]الحديث أريد

و قد ذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن لإسحاق غناه بالرّقة. و ليس ذلك بصحيح.

سمعها إسماعيل بن الهادي تغني مستترة عند المأمون فأذهله
غناؤها:

أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرّشيد. و
نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي
أحمد بن الرّشيد و اللفظ له قال: دخل يوما إسماعيل بن الهادي إلى
المأمون، فسمع غناء أذهله. فقال له المأمون: مالك؟ قال: قد سمعت
[1] كذا في الأصول. و الأظهر أن تكون «ضم ركبكم» أو «حل-أو جاز-داركم
السفر» أو نحو ذلك.

[2] السفر: القوم المسافرون.

[3] في حـ: «فقلت لها كرى» .

[4] في ب، س: «من بين الحديث» .

ما أذهلني، و كنت أكذب بأن الأرغن الرّوميّ يقتل طربا، و قد صدّقت الآن بذلك. قال: أو لا تدري ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عمّتك عليّة تلقي على عمّك إبراهيم صوتا من غنائها. إلى هاهنا رواية محمد بن يحيى. و في رواية محمد بن الحسن قال: هذه عمّتك تلقي على عمّك إبراهيم صوتا استحسنته من غنائها. فأصغيت إليه فإذا هي تلقي عليه:

صوت

ليس خطب الهوى بخطب يسير # ليس ينبك عنه مثل حبير

ليس أمر الهوى يدبّر بالرأ # ي و لا بالقياس و التفكير

اللحن في هذا لعلّية ثقيل أوّل. و فيه لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيل عن الهشاميّ.

توفيت و لها خمسون سنة، و سبب وفاتها:

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه: أنّ عليّة بنت المهديّ ولدت سنة ستين و مائة، و توفّيت سنة عشر و مائتين [1] و لها خمسون سنة. و كانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس. و أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدّثني محمد بن عليّ بن عثمان قال: ماتت عليّة سنة تسع و مائتين، و صلّى عليها المأمون. و كان سبب وفاتها أنّ المأمون ضمّها إليه و جعل يقبل رأسها، و كان وجهها مغطى، فشرقت من ذلك و سعلت ثم حمّت بعقب هذا أيّاما يسيرة و ماتت.

و ممّن صنع أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرّشيد

فمن صنعته:

صوت

قام بقلبي و قعد # ظبي نفي عنيّ الجلد

خلفني مدلّها # أهيم في كلّ بلد

أسهرني ثم رقد # و ما رثى لي من كمد

ظبي إذا ازددت له # تدلّلاتاه و صدّ

/وا عطشنا إلى فم # يمخّ خمرا من برد

عروضه من مجزوء الرّجز. و الشعر و الغناء لأبي عيسى بن الرّشيد، و لحنه فيه ثقل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتزّ و الهشاميّ. و ذكر الهشاميّ أنّ له أيضا فيه لحن من ثقل الرّمل، و ذكر حبش أنّ الرّمل لحسين بن محرز. و فيه لأبي العيبس بن حمدون خفيف ثقل.

[1] في الأصول: «ست عشرة و مائتين» و التصويب عن «نهاية الأرب» و «النجوم الزاهرة» .

7- أخبار أبي عيسى بن الرّشيد و نسبه

شيء من أوصافه:

اسمه أحمد، و قيل بل اسمه صالح بن الرّشيد. و هذا التّسبب أشهر من أن يشرح. و أمّه أمّ ولد بربريّة.

و كان من أحسن النّاس وجها و مجالسة و عشرة، و أمجنهم و أحدهم نادرة و أشدهم عبثا. و كان يقول شعرا ليّنا طيّبا من مثله.

كان جميل الوجه:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعت أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدّث أنه سمع الرّشيد يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحبّ الناس إليّ، و لو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت.

كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثني مسيّد بن حاتم العكليّ قال حدّثنا إبراهيم بن محمد قال:

كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرّشيد، و من أولاد الرّشيد إلى أولاد محمد و أبي عيسى. و كان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه و غناءه:

حدّثني محمد قال حدّثني يعقوب بن بنان قال حدّثني عليّ بن الحسين الإسكافيّ قال:

كنت عند أبي الصّقر إسماعيل بن بليل و عنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرّشيد إلى محمد الأمين و أبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، و كان المعترّ في طرازهما. قال: و سمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك [1] من غناء أبي عيسى بن الرّشيد! و ما سمعت قط غناء أحسن من غنائه، و لا رأيت وجها أحسن من وجهه.

عجب الرّشيد من جواب له في صباه و قبله:

أخبرني محمد قال حدّثني الغلابيّ قال حدّثنا يعقوب بن جعفر قال:

قال الرّشيد لأبي عيسى ابنه و هو صبيّ: ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون). فقال له: على أنّ حظّه منك لي. فعجب من جوابه على صباه و ضمّه إليه و قبله.

سخط من رؤية هلال شهر رمضان:

[1] كذا في أ، م، و في ح: «في غنائك من غناء أبي عيسى إلخ» . و
في ب، س: «في غنائك مشابهة من غناء أبي عيسى إلخ» .

و أخبرني الحسن بن عليّ و أحمد بن عبيد الله بن عمّار قالا حدّثنا عبد لله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال:

حدّثني من شهد المأمون ليلة و هم يتراءون هلال شهر رمضان و أبو عيسى أخوه معه و هو مستلق على قفاه، فأروه و جعلوا يدعون. فقال أبو عيسى قولا أنكر عليه في ذلك المعنى. كأنه كان متسخّطا لورود الشهر، فما صام بعده.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحسين بن فهم قال: قال أبو عيسى بن الرشيد:

دهاني شهر الصّوم لا كان من شهر # و ما صمت شهرا بعده آخر الدّهر
فلو كان يعديني الإمام بقدره # على الشهر لاستعديت جهدي على الشّهر

فناله بعقب قوله هذا الشعر صرع، فكان يصرع في اليوم مرّات إلى أن مات، و لم يبلغ شهرا آخر.

مدح إبراهيم بن المهدي غناه:

و ذكر عليّ بن الهشاميّ عن جدّه ابن حمدون قال: قلت لإبراهيم بن المهديّ: /من أحسن الناس غناء؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرّشيد. قلت: ثم من؟ قال: مخارق.

عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصّعديّ [1] قال:

كان أبو عيسى بن الرشيد و طاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هندباءة [2] فغمسها في الخلّ و ضرب بها عين طاهر الصحيحة. فغضب طاهر/ و شقّ ذلك عليه و قال: يا أمير المؤمنين إحدى عينيّ ذاهبة، و الأخرى على يدي عدل، يفعل هذا بي بين يديك!! فقال له المأمون: يا أبا الطيّب إنه و الله ليعبث بي [3] أكثر من هذا العبث.

عرض يعقوب بن المهديّ فضحك المأمون و نهاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدّثني أبو عيسى بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال:

بينما المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرّصافة و أخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهديّ و كان أفسى الناس، معروفًا بذلك. فلما أقبل وضع أبو عيسى كُمّه على أنفه، و فهم المأمون ما أراد فكاد أن يضحك. فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره و قال له: و الله لهمت أن أبطحك فأضربك مائة دِرّة! و بلك! أردت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم جمعة و أنا على المنبر! إيّاك أن تعود لمثل هذه!. قال: و كان [1] هذه النسبة إلى صعدة، و هي من بلاد اليمن.

[2]الهندباء: صنفان من النبات: أحدهما قريب الشبه من الخس عريض الورق، و الآخر أدق و أرق منه و في طعمه مرارة. (انظر «مفردات ابن البيطار» طبعة بلاق ج 2 ص 118).

[3]في ح، ب، س: «معي» .

يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جاءه. فاتخذت له داية مثلثة و طيبتها و تنوّقت فيها. فلما وضعتها تحته فساء، فقال: هذه ليست بطيبة. فقالت له الداية: فديتك! هذه قد كانت طيبة و هي مثلثة، فلما ربعتها فسدت.

قال: و كان يعقوب هذا محمّقا، كان يخطر بباله الشيء فيشتهيه فيثبته في إحصاء خزائنه. فضجّ خازنه من ذلك، فكان يثبث الشيء ثم يثبث تحته أنه ليس عنده، و إنما أثبته ليكون ذكره عنده إلى أن يملكه. فوجد في دفتر له [1] فيه ثبت ثياب: «ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية و الهشامية، لا شيء-أستغفر الله-بل عندنا منها زرحية [2] كانت للمهدي. الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا و كذا لا شيء-أستغفر الله-بل عندنا منها درج كان فيه/للمهدي خاتم هذه صفته». فحمل ذلك الدفتر إلى المأمون، فضحك لما قرأه حتى فحص برجله و قال: ما سمعت بمثل هذا قط!.

كان المأمون يحبه و يتمنى أن يلي الأمر بعده:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا سليمان بن داود المهلبيّ قال حدّثني الهيثم بن محمد بن عبّاد عن أبيه قال:

كان المأمون أشدّ الناس حبا لأبي عيسى أخيه، كان يعدّه للأمر بعده، و تذاكرنا ذلك كثيرا، و سمعته يقول يوما: إنه ليسهل عليّ أمر الموت و فقد الملك، و ما يسهل شيء منهما على أحد، و ذلك لمحبتّي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي لشدة حبيّ إياه.

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته، و كان ذلك سبب موته:

أخبرني محمد بن عليّ قال حدّثني عبد الله بن المعتز قال:

كان سبب موت أبي عيسى بن الرّشيد أنه كان يحبّ صيد الخنازير، فوقع عن دابته فلم يسلم دماغه، فكان يتخبّط في اليوم مرّات إلى أن مات.

عزاء محمد بن عبّاد المأمون فيه:

حدّثني محمد قال حدّثنا أبو العيّن قال حدّثنا محمد بن عبّاد المهلبيّ

قال:

لما مات أبو عيسى بن الرّشيد دخلت إلى المأمون و عمّامتي عليّ، فخلعت عمّامتي و نبذتها وراء ظهري- و الخلفاء لا تعزّي في العمائم-و

دنوت. فقال لي: يا محمد، حال القدر/دون الوطر. فقلت: يا أمير المؤمنين، كل مصيبة أخطأتك تهون، فجعل الله الحزن لك لا عليك.

مات سنة تسع و مائتين:

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول: مات أبو عيسى بن الرّشيد سنة تسع و مائتين، و صلى عليه المأمون و نزل في قبره، و امتنع من الطعام أياما حتى خاف أن يضّر ذلك به.

وجد عليه المأمون وجدا شديدا:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني أبو العيّن قال سمعت محمد بن عبّاد يقول:

[1] كذا في ح. و في سائر الأصول: «... دفتر عنده له فيه» .

[2] ظاهر من السياق أنها ضرب من الثياب، و لم نعثر عليها فيما عرفناه من مطان.

/لَمَّا تَوَقَّي أَبُو عَيْسَى بِنَ الرَّشِيدِ وَجَدَ الْمَأْمُونَ عَلَيْهِ وَجِدًا شَدِيدًا، وَكَانَ لَهُ مَحَبًّا وَإِلَيْهِ مَائِلًا. فَرَكَبَ إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ أَمْرَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَحَضَرَهُ النَّاسُ، وَكُنْتُ فِي مَن حَضَرَ، فَمَا رَأَيْتُ مَصَابَا حَزِينًا قَطُّ أَجْمَلَ أَمْرًا فِي مَصِيبَةٍ وَ لَا أَحْرَقَ وَجِدًا مِنْهُ مِنْ رَجُلٍ صَامِتٍ تَجْرِي دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ غَيْرِ كَلْحٍ [1] وَ لَا اسْتِنْتَارَ.

بِكَاهِ الْمَأْمُونَ وَ تَمَثُّلِ شَعْرَاهُ وَ عِزَاهُ فِيهِ ابْنِ أَبِي دَوَادٍ وَ عَمْرُو بِنِ مَسْعَدَةَ وَ نَاحَتِ عَلَيْهِ عَرِيبٌ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بِنِ عَلِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ طَاهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ قَالَ أَحْمَدُ بِنِ أَبِي دَوَادٍ: دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونَ فِي أَوَّلِ صَحْبَتِي إِيَّاهُ وَ قَدْ تَوَقَّي أَخُوهُ أَبُو عَيْسَى وَ كَانَ لَهُ مَحَبًّا وَ هُوَ بِيكِي وَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ بِمَنْدِيلٍ، فَقَعَدْتُ إِلَى جَنْبِ عَمْرُو بِنِ مَسْعَدَةَ وَ تَمَثَّلْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ: نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَسْبَابِهَا # نَقَصَ الْمَنَائِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

وَ لَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ سَاعَةَ بِيكِي، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ وَ تَمَثَّلُ:

سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضَّ # فَحَسْبُكَ مَنِّي مَا تَجَنَّ الْجَوَانِحُ

كَأَنَّ لَمْ يَمْتَحِي سِوَاكَ وَ لَمْ تَنْحَ # عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَانِحُ

ثُمَّ التَّفَتُّ إِلَيَّ فَقَالَ: هَيْه يَا أَحْمَدُ! فَتَمَثَّلْتُ قَوْلَ عَبْدِ بِنِ الطَّبِيبِ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بِنِ عَاصِمٍ # وَ رَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

تَحِيَّةً مِنْ أَوْلِيَّتِهِ مِنْكَ نِعْمَةٌ # إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ سَلَّمَا

وَ مَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكَةً هَلَكًا وَاحِدًا # وَ لَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا

فِيكَ سَاعَةَ ثُمَّ التَّفَتُّ إِلَى عَمْرُو بِنِ مَسْعَدَةَ فَقَالَ: هَيْه يَا عَمْرُو! قَالَ:
نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

بَكُّوا حَذِيفَةَ لَمْ تَبْكُوا مِثْلَهُ # حَتَّى تَعُودَ قِبَائِلُ لَمْ تَخْلُقْ

/فَإِذَا عَرِيبٌ وَ جَوَارٍ مَعَهَا يَسْمَعُنَ مَا يَدُورُ بَيْنَنَا، فَقُلْنَا: اجْعَلُوا لَنَا مَعَكُمْ فِي الْقَوْلِ نَصِيبًا. فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونَ: قَوْلِي، فَرَبَّ صَوَابٍ مِنْكَ كَثِيرًا. فَقَالَتْ: كَذَا [2] فَلَيجَلُّ الْخَطْبُ وَ لِيَفْدَحَ الْأَمْرُ # وَ لَيْسَ لَعِينٌ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عِذْرُ

كَأَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ يَوْمَ وَفَاتِهِ # نَجُومُ سَمَاءِ حَرٍّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

فبكي و بكينا. ثم قال لها المأمون: نوحى، فناحت و ردّ عليها الجوارى.
فبكى المأمون حتى قلت: قد خرجت نفسه، و بكينا معه أحرّ بكاء، ثم
أمسكت. فقال لها المأمون: اصنعي فيه لحنًا و غنّي به. فصنعت فيه لحنًا
على مذهب النّوح و غنّته إيّاه على العود. فو الذي لا يحلف بأجلّ منه لقد
بكينا عليه غناء أكثر ممّا بكينا عليه نوحًا.

[1] كذا في الأصول. و الذي في «كتب اللغة». كلعج وجه الرجل كلوحًا
و كلاحا (كغراب): تكشر في عيوس أو عيس فأفرط في تعبسه.

و الاستنثار: إخراج ما في الأنف من أذى.

[2] يلحظ أن هذا الشعر لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي، و
قد قتل هذا الأمير في حرب كانت بينه و بين أصحاب بابك الخرمي سنة
214 هجرية. و المروي هنا أن أبا عيسى بن الرشيد مات سنة 209 هجرية،
فتأمل هذا، و أصل الشعر «كأن بني نبهان» فغير و جعل «كأن بني العباس»

طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه:

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الطيّب [1] بن محمد الباهليّ قال حدّثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال: لَمَّا مات/ أبو عيسى بن الرشيدي وجد عليه المأمون وجدا شديدا حتى امتنع من التّوم و لم يطعم شيئا.

فدخل عليه أبو العتاهية، فقال له المأمون: حدّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا و فارقهها. فقال: يا أمير المؤمنين، لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه و مسّ أطيب طيبه و ركب أفره خيله و تقدّم إلى جميع من معه أن يركب في مثل زيّه و أكمل سلاحه، و نظر في مرآته فأعجبه هيئته و حسنه، فقال: أنا الملك الشابّ، ثم قال لجارية له: كيف ترين؟ فقالت: أنت نعم المتاع لو كنت تبقى # غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلو من العيوب و ممّا # يكره الناس غير أنّك فاني

/فأعرض بوجهه، فلم تدر عليه الجمعة إلّا و هو في قبره. قال: فبكى المأمون و الناس، فما رأيت باكيا أكثر من ذلك اليوم. قال: و هذان البيتان لموسى شهوات.

بعض أصواته:

و من غناء أبي عيسى و جيّد صنّعه، و الشعر له، و طريقته من الثّقل الثاني مطلق في مجرى البصر. و ذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضا صنعة من خفيف الرّمل:

صوت

رقدت عنك سلوتي # و الهوى ليس يرقد

و أطار السّهاد نو # مي فنومي مشرّد

أنت بالحسن منك يا # حسن الوجه تشهد

و فؤادي بحسن وجـ # هك يشقى و يكمد

و من غنائه أيضا و هو من صدور صنّعه في شعر الأخطل- و لحنه من الثّقل الأوّل:-

صوت

إذا ما زياد علّني ثم علّني # ثلاث زجاجات لهنّ هدير
خرجت أجرّ الذيل حتى كأنني # عليك أمير المؤمنين أمير

و لإسحاق في هذا الشعر رمل بالبنصر عن عمرو.
[1] في ب، س: «الطيب» .

**و ممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى
الهادي
صوته في شعر له:**

فمن صنعته:

صوت

تقاضاك دهرك ما أسلفا # و كدّر عيشك بعد الصّفا
فلا تجزَعَنَّ فَإِنَّ الزمان # رهين بتشتيت ما ألفا
و ما زال قلبك مأوى السرور # كثير الهوى ناعما مترفا
ألحّ عليك بروعاهه # و أقبل يرميك مستهدفا

الشعر و الغناء لعبد الله بن موسى. و لحنه ماخوريّ و هو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

**اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود
فحلم عليه، و كان معربدا:**

أخبرني أحمد بن جعفر حجة قال حدّثني أبو حشيشة قال: كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود و أحسنهم غناء. و كان له غلام أسود يقال له قلم، فعلمه الصوت و حدّقه. فاشتترته منه أمّ جعفر بثلاثمائة ألف درهم. قال أبو حشيشة فحدّثني/دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال: كنت أنا و ثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نصّار مولاي عبد الله بن موسى و قد أخذ التبيذ من الجماعة. فضرب عبد الله و ثقيف صوتا فاختلفا فيه و تشاجرا. فقال عبد الله: كذا أخذته من منصور زلزل. و قال ثقيف: كذا أخذته منه، و طال تشاجرهما فيه. و كان ثقيف معربدا يذهب عقله من أدنى شيء يشربه، و كان عبد الله أيضا معربدا. فغضب ثقيف و رفع العود و هو لا يعقل، فضرب به رأس عبد الله بن موسى فطوّقه إيّاه.

و ابتدر خدم عبد الله؛ فقال لهم عبد الله بن موسى: لا تمسّوه و أخرجوا العود من عنقي فأخرجوه. و كان عبد الله بن موسى أشدّ خلق الله عربدة أيضا، فرزق في ذلك اليوم حلما لم ير مثله، و قال لخدمه: إن قتلته قتلت كلبا و تحدّث الناس بذلك، و لكن اخلعوا عليه و هبوا له و لا يدخل منزلي أبدا.

دعا الحفصي فأثر عليه أخاه إسماعيل:

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصيّ المعزفيّ قال: دعاني عبد الله بن موسى يوما و دعاني أخوه إسماعيل؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العريضة. فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذون أشهب متقلدا سيفا و هو سكران. فلما رأيناه تطايرنا في الحجر، فنزل عن دابته و جلس. و جثا إسماعيل بين يديه إجلالا له، و قال له: يا سيدي قد سررتني بتفضلك و مصيرك إليّ. قال: دعني من هذا، من عندك؟ قال: فلان و فلان، فعدّ جماعة من كان عنده. قال له: هاتهم.

فدعا بنا فخرجنا و قد متنا فزعا. فأقبل عليّ من بينهم فقال لي: يا حفصيّ! أبعث إليك ثلاثة أيام تباعا فتدعني و تجيء إلى إسماعيل! و ضرب بيده إلى سيفه، / فقام إسماعيل بيني و بينه و قال: نعم! يجيئني و يدعك؛ لأنه لا ينصرف من عندك إلا بشجّة أو عريضة مع حرمان، و لا ينصرف من عندي إلا ببرّ مع خلة و وعد محصل، أفتلومه على ذلك!. فكفّ عبد الله و كان شديد العريضة و قام و انصرف.

قال شعرا في خادم لصالح بن الرشيد:

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني عون بن محمد الكنديُّ قال حدَّثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود- و كان يكتب لأبي جعفر- قال: كنت جالسا مع عبد الله بن موسى الهادي، فمرَّ به خادم لصالح بن الرشيد. فقال له: ما اسمك؟ فقال له: اسمي «لا تسل». فأعجبه حسنه و حسن منطقه فقال لي: قم بنا حتى نسرَّ اليوم بذكر هذا البدر، فقمتم معه.

فأنشدني في ذلك اليوم:

و شادن مرّ بنا # يجرح باللّحظ المقل
مظلوم خصر ظالم # منه إذا يمشي الكفل
اعتدلت قامته # و اللحظ منه ما عدل
بدر تراه أبدا # طالع سعد ما أفل
سألته عن اسمه # فقال لي اسمي «لا تسل»
و أطلعت في وجنتي # ه وردتان من خجل
فقلت ما أخطأ من # سمّاك بل قال المثل
لا تسألن عن شادن # فاق جمالا و كمل

/قال: و قال فيه- و قد قيل إنه من هذه الأبيات-: عزّ الذي نهوى و ذلّ
صبّ الفؤاد مختبل

لجّ به الهجر و ذا ال # هجر إذا لجّ قتل
من شادن منتطق # فاق جمالا و كمل
تناصف الحسن به # فلا تسل عن «لا تسل»

كان له ابن جيد الضرب و طلب إلى المكي أن يقومه موهما أنه مملوك:

و قال حدَّثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال: دعاني عبد الله بن موسى يوما فقال لي: أ تقوّم غلاما ضاربا مغتيا قيمة عدل لا حيف فيه على البائع و لا على المشتري؟ فقلت نعم. فأخرج إليّ ابنه القاسم و كنت قد عرفته، و هو أحسن من القمر ليلة البدر، فأخذ عودا فضرب، فأكبت على يديه أقبّلهما. فقال لي عبد الله: أتقبّل يد غلام مملوك!! قلت: بأبي و أمّي هو من مملوك! و قبّلت رجله أيضا. فقال: أمّا إذ عرفته فأحبّ أن تضاربه، ففعلت. فلمّا رأى الغلام زيادتي عليه في الصّرب اغتمّ و أقبل على أبيه

فقال له كالمعتذر من ذنبه: أنا متلذذ و هذا متكسب. فضحكت و قلت: هو
ذاك يا سيدي.

و عجت من حدة جوابه معتذرا على صغر سنه.

كان كريما ممدحا:

أخبرني الصُّوليُّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتز قال: كان عبد الله بن موسى جوادا كريما ممدحا، و فيه يقول الشاعر- و فيه لعلويه لحن من خفيف الثَّقل الأول بالنصر:-

صوت

أعبد الله أنت لنا أمير # و أنت من الزمان لنا مجيز
حكيت أباك موسى في العطايا # إمام النَّاس و الملك الكبير

غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة:

قال محمد بن يحيى و العتَّابي: و لعبد الله بن موسى غناء في قول عمر بن أبي ربيعة:

صوت

إنَّ أسماء أرسلت # و أخو الشوق مرسل
أرسلت تستزيرني # و تفدِّي و تعذل

و لحنه فيه رمل. قال: و فيه لابن سريج و الغريص و مالك ألحان.

عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدَّثني أبو سعيد السُّكري عن محمد بن حبيب قال: كان عبد الله بن موسى الهادي معربدا، و كان قد أحفظ[1] المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه. فأمر بأن يحبس في منزله فلا يخرج منه؛ و أقعد على بابه حرسا. ثم تذمَّ من ذلك فأظهر له الرضا و صرف الحرس عن بابه، ثم نادمه فعربد عليه أيضا و كلمه بكلام أحفظه. و كان عبد الله مغرما بالصَّيد، فأمر المأمون خادما من خواصِّ خدمه يقال له «حسين» فسَمَّه في درَّاج و هو بمِرسى[2] أباد، فدعا عبد الله بالعشاء، فأتاه حسين بذلك الدَّرَّاج فأكله. فلما أحسنَّ بالسَّم ركب في الليل و قال لأصحابه: هو آخر ما ترونني. قال: و أكل معه من الدَّرَّاج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، و أمَّا الآخر فبقي مدَّة ثم مات، و مات عبد الله بعد أيام.

[1] في ج: «و كان قد أعضل بالمأمون» أي أعياه أمره و ضاقت به الحيل فيه.

[2] لم نقف على هذا الموضع.

و ممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته:

ألا يا [1] دير حنظلة المفدى # لقد أورتني سقما و كدا

أزف من العقار إليك دتا [2] # و أجعل تحته الورق المندى

الشعر و الغناء لعبد الله بن محمد الأمين، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصّولي عن عبد الله بن المعتز و له فيه لحنان خفيف رمل و خفيف ثقيل. و فيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل. و فيه ثاني ثقيل، و ذكر حبش- و هو ممن لا يحصل قوله- أنه لحنين، و لم يصحّ عندنا من صانعه.

[1] سيذكر المؤلف هذا الدير في ص 200-201 من هذا الجزء.

[2] في أ، م، ح: «زفا» بالفاء و هي مصحفة عن «زقا» بالقاف.

8- أخبار عبد الله بن محمد و نسبه:

نسبه:

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. و أم عبد الله بن محمد أم ولد. و كان ظريفاً غزلاً يقول شعراً لينا و يصنع صنعة سالحة. و أم محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور. و زبيدة لقب غلب عليها، و اسمها أمة العزيز. و كان المنصور يرقصها و هي صغيرة- و كانت سميحة حسنة البدن- فيقول لها: يا زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك.

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فأخذها له منه:

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال:

كانت بين عبد الله بن محمد الأمين و بين أبي نهشل بن حميد مودة. فاعترض عبد الله جارية مغنية لبعض نساء بني هاشم و أعطى بها مالا عظيماً. فعرفت منه رغبة فيها فزادت عليه في السوم، فتركها ليكسرهم. فجاء أخ أبي نهشل بن حميد فاشتراها و زاد. فتبعها نفس عبد الله، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده و دافعه. فكتب عبد الله إلى أبي نهشل: يا ابن حميد يا أبا نهشل # مفتاح باب الحدث المقفل

يا أكرم الناس ودادا و أر # عاهم لحق ضائع مهمل
أحسننت في ودي و أجملت بل # جزت فعال المحسن المجمل
بيتك في ذي يمن شامخ # تقصر عنه قننا يدل [1]
خلفت فينا حاتما ذا التدى # وجدت جود العارض المسبل
أي أخ أنت لذي وحدة # تركته بالعر في جحفل
/ نجوم حظي منك مسعودة # فيما أرجي لسن بالأقل
فصدق الظن بما قلته # و سهل الأمر به يسهل
لا تحرمي و لديك المنى # بالله صيد الرشا الأكل
رميت منه بسهام الهوى # و ما درى بالرمي [2] في مقتلي
أدينتني بالوعد في صيده # إثناء عطشان من المنهل

[1] يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد.

[2] في ح: «ما الرمي» .

ثم تناسيت و أسلمتني # إلى مطال موحش المنزل
 تركتني في لجة عمائمنا # لا أعرف المدبر من مقبل
 /صرح بأمر واضح بين # لا خير في ذي لبس[1]مشكل

قال: فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها.

خرج إلى ضيعته و تكاتب هو و نديمه أبو نهشل بشعر:

و أخبرني الصولي أيضا بغير إسناد، و وجدت هذا الخبر في كتاب
 لمحمد بن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفزاري قال: كان أبو نهشل
 بن حميد صديقا لعبد الله بن محمد الأمين و نديما. و كانت لعبد الله ضيعة
 بالسواد تعرف بالعمريّة، فخرج إليها و أقام بها أياما. فكتب إليه أبو نهشل:

سقى الله بالعمريّة الغيث منزلا # حللت به يا مؤنسي و أميري

فأنت الذي لا يخلق الدهر ذكره # و أنت أخي حقا و أنت سروري

فأجابه عبد الله:

لئن كنت بالعمريّة اليوم لاهيا # فإنّ هواكم حيث كنت ضميري

فلا تحسبني في هواكم مقصرا # و كن شافعي من سخطكم و مجيري

قال محمد بن الحسن في خبره: و صنع عبد الله في هذه الأبيات
 الأربعة لحنا، و صنع فيها[2]سليم بن سلام لحنا آخر.

نادم الواثق و الخلفاء من بعده إلى المعتمد، و شعر له فيه:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدّثنا عبد الله بن المعتز قال:
 كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الواثق ثم نادم بعده سائر الخلفاء إلى
 المعتمد.

قال: و أنشدني له في المعتمد:

رأيت الهلال على وجهها # فما زلت أدعو إلهي لكا

فلا زلت تحيا و أحيا معا # و آمنني الله من فقدكا

قال: و من شعره-و له فيه لحن من الرّمل الثاني و هو خفيف الرمل:-

صوت

يا من به كلّ خلق # تراه صبا متيم

و من تجاللت بها # فما تراه يكلم

[1] حرّك لضرورة الشعر.

[2] في الأصول: «فيه» .

لا شيء أعجب عندي # ممن يراك فيسلم

فأمّا دير حنظلة الذي ذكره في شعره و فيه الغناء المذكور من صنعته متقدّما، فإنه دير بالجزيرة. أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال أنشدني أبو المحكم لحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حيّة الطائيين و هم رهط أبي زييد[1] و رهط إياس[2] بن قبيصة: و مهما يكن ريب الزمان فإنني # أرى قمر الليل المغرّب كالفتى

يهلّ صغيرا ثم يعظم ضوؤه # و صورته حتى إذا ما هو استوى

تقارب يخبو ضوؤه و شعاعه # و يمصح[3] حتى يستسرّ فلا يرى

/كذلك زيد المرء ثم انتقاصه # و تكراره في دهره[4] بعد ما مضى

تصبح أهل الدّار و الدّار زينة[5] # و تأتي الجبال من شماريخها العلا

فلا ذا غنى[6] يرجئن عن فضل ماله # و إن قال أحرني و خذ رشوة أبا

و لا عن فقير يأتخرن لفقره # فتنبغه الشكوى إليهنّ إن شكا

/قال: و كان حنظلة هذا قد تعبّد في الجاهليّة و تفكّر في أمر الآخرة و تنصّر و بنى ديرا بالجزيرة؛ فهو الآن يعرف به يقال له دير حنظلة. و فيه يقول الشاعر: يا دير حنظلة المهيج لي الهوى # قد تستطيع دواء عشق العاشق

[1] هو حرملة بن المنذر بن معد يكرب الطائي، كان نصرانيا و هو ممن أدرك الجاهلية و الإسلام. (انظر ترجمته في «الأغاني» ج 11 ص 24 طبع بلاق).

[2] كان واليا لكسرى على الحيرة بعد قتله النعمان بن المنذر. (انظر «تاريخ ابن الأثير» ج 1 ص 356-369).

[3] مصح: ذهب و انقطع.

[4] في «معجم البلدان»: «في إثره» .

[5] في الأصول: «ريبة» و التصويب عن «معجم البلدان» .

[6] يلاحظ أن الضمائر في هذا البيت بعده متباينة، و المراد بها واحد هو الموت، فإذا كان ضمير جمع فالمراد المنايا.

و ممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلاثمائة صوت، منها الجيد الصنعة و منها المتوسط، قد سمعنا كثيرا منها؛ إلا أنني أذكر من ذلك ما عرفت شاعره و كان له خبر يتصل به حسب ما شرطناه في هذا الكتاب و ضمناه إياه من الأخبار، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك.

قال ابن المعتز حدثني التميمي قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول: إذا أتممت صنعة ثلاثمائة صوت و ستين صوتا عدد أيام السنة تركت الصنعة، فلما صنعها ترك الصنعة. فمنها- و هو لعمرى من جيد الغناء و فاخر الصنعة، و لو لم يصنع غيره لكفاه- في شعر أبي العتاهية:

صوت

يضطرب الخوف و الرجاء إذا # حرك موسى القضيبي أو فكر

و لحنه من الثقل الأول. و الشعر لأبي العتاهية، و قد مضت أخباره؛ و إنما قدمت ذكره بجودة صنعه و أنه شبه فيه بصنعة الفحول و محكم أغاني الأوائل.

و منها:

صوت

هي النفس ما حملتها تتحمل # و للدهر أيام تجور و تعدل

و عاقبة الصبر الجميل جميلة # و أفضل أخلاق الرجال التّجمل

الشعر لعلي بن الجهم. و الغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ثاني ثقل بالوسطى.

9- أخبار عليّ بن الجهم و نسبه

نسبه و نسب قبيلته بني سامة:

هو عليّ بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كرز بن كعب بن مالك [1] بن عيينة [2] بن جابر بن الحارث [3] بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لؤيّ بن غالب. هكذا يدعون، و قريش تدفعهم عن النسب و تسميهم بني ناجية، ينسبون إلى أمهم ناجية، و هي امرأة سامة بن لؤيّ. و كان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البحرين مغاضبا لأخيه كعب بن لؤيّ في مماظة [4] كانت بينهما، فطأطأت ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئا من العشب، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكته به، فدبّ الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله. فقال أخوه يرثيه [5]: عين جودي لسامة بن لؤيّ # علفت ساق ساقه العلاقه [6]

ربّ كأس هرقتها ابن لؤيّ # حذر الموت لم تكن مهراقه

و قال من يدفع بني سامة من نسّابي قريش: و كانت معه امرأته ناجية. فلما مات تزوّجت رجلا من أهل البحرين فولدت منه الحارث، و مات أبوه و هو صغير. فلما ترعرع طمعت أمّه في أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤيّ. فرحل/من البحرين [7] إلى عمّه/كعب و أخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرف كعب أمّه و ظنّه صادقا في دعواه. و مكث عنده مدّة، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين، فرأوا الحارث فسلموا عليه و حادثوه ساعة. فسألهم عنه كعب بن لؤيّ و من أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان، و شرحوا له خبره. فنفاه كعب و نفى أمّه، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، و تزوّج الحارث و أعقب هذا العقب.

و روي عن النبيّ صلى الله عليه و سلم أنه قال: «عمّي سامة لم يعقب» . و كان بنو ناجية ارتدّوا عن الإسلام. و لما ولي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام؛ فأسلم بعضهم و أقام الباقون على الرّدّة فسيبهم و استرقّهم؛ فاشتراهم مصقلة [8] بن هبيرة منه و أدّى ثلث ثمنهم و أشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم و هرب من تحت ليله إلى [1] في «ابن خلكان» : «بن كعب بن جابر بن مالك» .

[2] في «ابن خلكان» : «عتبة» .

[3] في «ابن خلكان» : «... ابن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن زهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة... إلخ»

[4] المماظة: المخاصمة و المنازعة.

[5]ورد في «لسان العرب» (في مادّة «فوق») أن امرأة رجل من الأزد هي التي قالت هذا الشعر ترضيه و كان سامة نزل على زوجها ضيفا.

فلما أصبح قعد يستن، فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها. فلما رمى سواكه أخذتها فمصتها. فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة و جعل في حلابها سما و قدّمه إلى سامة، فغمزته المرأة فهراق اللبن و خرج يسير. فبينما كان في موضع يقال له جوف الخميطة نهشه أفعى، كما جاء في الأصل. و انظر بقية هذا الشعر في «لسان العرب» .

[6]العلاقة: في الأصل المنية. و يريد هنا الحية.

[7]في الأصول: «من أهل البحرين» .

[8]انظر هذه القصة مفصلة في الطبري ق 1 ص 3439-3442) .

معاوية، فصاروا أحرارا، و لزمه الثمن، فشغّث[1] عليّ بن أبي طالب شيئا من داره، و قيل بل هدمها. فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

و زعم ابن الكلبي: أنّ سامة بن لؤيّ ولد غالب بن سامة و أمّه ناجية، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة، ثم هلك ابنا سامة و لم يعقبا[2]، و أنّ قوما من بني ناجية بنت[3] جرم بن ربّان[4] علاف ادّعوا أنهم بنو سامة بن لؤيّ، و أنّ أمّهم ناجية/هذه و نسبوها هذا النسب، و انضموا إلى الحارث بن سامة و هم الذين باعهم عليّ بن أبي طالب إلى مصقلة. قال: و دليل ذلك و أنّ هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول علقمة الخصيّ التميميّ أحد بني ربيعة بن مالك: زعمتم أنّ ناجي بنت جرم # عجز بعد ما بلي السنّام

فإن كانت كذاك فألبسوها # فإنّ الحلّى للأشئ تمام

و هذا أيضا قول الهيثم بن عديّ. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش و قال: هم قريش العازبة. و إنما سمّوا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمّهم ناجية بنت جرم بن ربّان و هو علاف، و هو أوّل من اتخذ الرّجال العلافية فنسبت إليه. و اسم ناجية ليلي؛ و إنما سمّيت ناجية لأنها سارت في مفازة معه فعطشت فاستسقت ماء، فقال لها: الماء بين يديك، و هو يريها السّرّاب، حتى جاءت الماء فشربت و سمّيت ناجية. و للزبير في إدخالهم في قريش مذهب و هو مخالفة فعل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه و ميله إليهم لإجماعهم على بغضه رضي الله عنه، حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك.

كان شاعرا فصيحاً اختص بالمتوكل و هجاء عليا و شيعته:

و كان عليّ بن الجهم شاعرا فصيحاً مطبوعاً؛ و خصّ بالمتوكل حتى صار من جلسائه، ثم أبغضه لأنه كان كثير السّعاية إليه بندمائه و الذّكر لهم بالقبيح عنده، و إذا خلا به عزّفه أنهم يعيبونه و يثلبونه و يتنقّصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبسه مدّة. و أخباره تذكر على شرح بعد هذا. و كان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب و ذمّهم و الإغراء بهم و هجاء الشّيعه، و هو القائل: و رافضة تقول بشعب رضوى # إمام، خاب ذلك من إمام

إمام من له عشرون ألفا # من الأتراك مشرعة السّهام

/و فيه يقول البحتريّ:

إذا ما حصّلت عليا قريش # فلا في العير أنت و لا التّفير

[1] يريد أنه نقض بعضا منها.

[2] في أ، م: «ثم هلك ابن سامة و لم يعقب» .

[3] في الأصول هنا: «ابن جرم» .

[4] ربان علاف: بالراء المهملة المفتوحة و الباء الموحدة المشدّدة، و ليس في العرب غيره، و من سواه فبالزاي المعجمة. و قد ورد هذا الاسم في الأصول محرفا بصور شتى، و في أكثرها زيادة «ابن» بين ربان و علاف، و هما لشخص واحد، كما ذكر ذلك المؤلف في الصفحة التالية. (راجع «القاموس» و «شرحه» في مادتي ربن و علف) .

و ما رغبناؤك [1] الجهم بن بدر # من الأقمار ثم و لا البدور
 و لو أعطاك ربك ما تمنى # لزداد الخلق في عظم الأيور [2]
 علام هجوت مجتهدا عليًا # بما لققنت من كذب و زور
 أ ما لك في استك الوجعاء شغل # يكفك عن أذى أهل القبور

و سمعه أبو العيناء يوما يطعن علي علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
 فقال له: أنا أدري لم تطعن علي علي أمير المؤمنين. فقال له: أ تعني قصّة
 بيعه أهلي من مصقلة بن هبيرة؟ قال: لا! أنت أوضع من ذلك، و لكن لأنه قتل
 الفاعل فعل قوم لوط و المفعول به، و أنت أسفلهما.

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه و قال في ذلك شعرا:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن سعد الهشاميّ قال:

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع [3]، فسبّه عند المتوكل فحبسه
 المتوكل. فقال علي بن الجهم في حبسه عدّة قصائد كتب بها إلى المتوكل
 فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك إلى خراسان. فقال أول ما حبس قصيدة
 كتب بها إلى أخيه، أولها قوله: توكلنا على رب السماء # و سلّمنا لأسباب
 القضاء

و وطنًا على غير الليالي # نفوسا سامحت بعد الإباء
 و أفنية الملوك محجّبات # و باب الله مبذول الفناء
 / هي الأيام تكلمنا و تأسو # و تأتي بالسعادة و الشقاء
 و ما يجدي الثراء على غني # إذا ما كان محذور العطاء
 حلينا الدهر أشطره و مرّت # بنا عقب [4] الشّدائد و الرّخاء
 و جرّينا و جرّب أولونا # فلا شيء أعزّ من الوفاء
 و لم ندع الحياء لمسّ ضرّ # و بعض الضرّ يذهب بالحياء
 و لم نحزن على دنيا تولّت # و لم نسبق إلى حسن العزاء
 توقّ الناس يا ابن أبي و أمي # فهم تبع المخافة و الرّجاء
 و لا يغررك من وعد إخاء # لأمر ما غدا حسن الإخاء
 أ لم تر مظهرين علي عيبا [5] # و هم بالأمس إخوان الصّفاء

[1]الرغشاء: أصلها عصب أو عرق في الثدي يدر اللبن. و استعملها
البحثري هنا في الأب.

[2]في «ديوان البحثري» طبع مطبعة الجوائب:

و لو أعطاك ربك ما تمنى # عليه ل زاد في غلظ الأبور

[3]هو بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع الأكبر المتطبب. (انظر الطبري
ق 3 ص 667، 1437، 1447، 1790).

[4]العقب: جمع عقبة و هي النوبة.

[5]كذا في ح. و في سائر الأصول: «عتبا» و هو تصحيف.

فلَمَّا أن بليت غدوا و راحوا # عليّ أشدّ أسباب البلاء
 أبت أخطارهم أن ينصروني # بمال أو بجاه أو ثراء
 و خافوا أن يقال لهم خذتم # صديقا فادّعوا قدم الجفاء
 تضافرت الرّوافض و النّصارى # و أهل الاعتزال على هجائي
 -يعني بأهل الاعتزال عليّ بن يحيى المنجّم و قد كان بلغه عنه ذكر له:

و عابوني و ما ذنبي إليهم # سوى علمي بأولاد الرّناء
 /فبختيشوع يشهد لابن عمرو # و عزّون لهارون المرائي
 و ما الجذماء بنت أبي سمير # بجذماء اللّسان عن الخناء
 إذا ما عدّ مثلكم رجالا # فما فضل الرجال على النساء
 عليكم لعنة الله ابتداء # و عودا في الصّباح و في المساء
 /إذا سمّيتم للنّاس قالوا # أولئك شرّ من تحت السّماء
 أنا المتوكّلّي هوى و رأيا # و ما بالوائقيّة من خفاء
 و ما حبس الخليفة لي بعار # و ليس بمؤيسي منه التّنائي

قال أبو الشبل شعره في الحبس كشعر عدي بن زيد:
 أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد قال قال لي أبو الشبل البرجميّ: ما
 شعر عليّ بن الجهم في الحبس بدون شعر عديّ بن زيد[1].

**حبسه المتوكل بسعاية جلسائه و نفاه إلى خراسان فعذبه طاهر
 بن عبد الله فقال شعرا:**
 أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد قال:

كان سبب حبس المتوكلّ عليّ بن الجهم أنّ جماعة من الجلساء سعوا
 به إليه و قالوا له: إنه يجمّش[2] الخدم و يغمزهم، و إنّه كثير الطعن عليك و
 العيب لك و الإزراء على أخلاقك؛ و لم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى
 حبسه؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه. فنفاه إلى خراسان و كتب بأن يصلب إذا
 وردها يوما إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذياخ[3] حبسه طاهر بن عبد الله
 بن طاهر بها، ثم أخرج فصلب يوما إلى الليل مجرّدا ثم أنزل. فقال في
 ذلك: لم ينصبوا بالشاذياخ عشية # الاثني مسبوقا و لا مجهولا

[1]عدي بن زيد الشاعر حبسه النعمان، و له شعر في حبسه. (انظر ترجمته في الجزء الثاني ص 97 و ما بعدها من هذه الطبعة) .

[2]يجمش الخدم: يلاعبهم و يقرّصهم.

[3]الشاذيخ: من ضواحي نيسابور أم بلاد خراسان، و كانت قديما بستانا لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصقا مدينة نيسابور، فبنى فيه دارا له، ثم أمر الجند بالبناء حوله فعمرت حتى اتصل بناؤها ببناء نيسابور و صارت من جملة محالها. (عن «معجم البلدان» لياقوت) .

نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم # شرفا و ملء صدورهم تبيلا
 ما ازداد إلا رفعة بنكوله [1] # و ازدادت الأعداء عنه نكولا
 هل كان إلا الليث فارق غيله # فرأيته في محمل محمولا
 /لا يأمن الأعداء من شدّاته # شدّا يفصل هامهم تفصيلا
 ما عابه أن برّ عنه لباسه # فالسيف أهول ما يرى مسلولا
 إن يبتذل فالبدر لا يزرّي به # أن كان ليلة تمّه مبذولا
 أو يسلبوه المال يحرن فقدّه # ضيفا ألمّ و طارقا و نزيلا
 أو يحبسوه فليس يحبس سائر # من شعره يدع العزيز ذليلا
 إنّ المصائب ما تعدّت دينه # نعم و إن صعبت عليه قليلا
 و الله ليس بغافل عن أمره # و كفى بربك ناصرا و وكيفا
 و لتعلمن [2] إذا القلوب تكشّفت # عنها الأكنة من أضلّ سبيلا

كتب المتوكل لطاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعرا:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق عليّ بن الجهم. فلما أطلقه قال: أ طاهر إني عن خراسان راحل # و مستخبر عنها فما أنا قائل

أ أصدق أم أكني عن الصدق [3] أيما # تخيرت أدته إليك المحافل
 و سارت به الرّكبان و اصطفتت به # أكفّ قيان و اجتبتت القبائل
 /و إني بغالي الحمد و الدّمّ عالم # بما فيهما نامي الرّميّة [4] ناضل
 و حقّا أقول الصدق إني لمائل # إليك و إن لم يحظ بالودّ مائل
 أ لا حرمة ترعى أ لا عقد ذمّة # لجار ألا فعل لقول مشاكل
 أ لا منصف إن لم نجد متفضّلا # علينا أ لا قاض من الناس عادل
 /فلا تقطعن غيظا عليّ أناملا # فقبلك ما عصت عليّ الأنامل

[1] يريد بنكوله الأولى التنكيل به، و بالثانية الفرار عنه و الإحجام. و يلاحظ في الأولى أنه يقال: نكل به تنكيلا و نكل به مخفف و الاسم النكال بالفتح.

[2] في أ، م: «و ليعلمن» بالياء المثناة من تحت.

[3] في أ، م: «عن الحق» .

[4]الرمية النامية: التي أصيبت ثم غابت عن الرامي و ماتت؛ يقال
أنمى فلان الصيد فنمى؛ قال امرؤ القيس يهجو: فهو لا تنمي رميته # ما له
لا عدّ من نفره

يريد علي بن الجهم أنه يصيب مرماه. و ناضل: وصف من نضله إذا
سبقه أو غلبه في المناضلة وهي المباراة في الرمي.

أ طاهر إن تحسن فإني محسن # إليك و إن تبخل فإني باخل

فقال له طاهر: لا تقل إلا خيرا فإني لا أفعل بك إلا ما تحب؛ فوصله و حملة و كساه.

جمش جارية فباعده فقال شعرا فأجابته:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد قال:

كان عليّ بن الجهم في مجلسٍ فيه قينة، فعابثها و جمّشها، فباعده و أعرضت عنه، فقال فيها: خفي[1] الله فيمن قد تبتل فؤاده # و غادرتَه نضوا كأنّ به وقرا

دعي البخل لا أسمع به منك إنّما # سألتك أمرا ليس يعري لكم ظهرا

فقلت له: صدقت يا أبا الحسن، ليس يعري لنا ظهرا، و لكنّه يملأ بطنا!!

كان يتشاءم من الحارثي فرآه فقال شعرا:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبّر قال حدّثنا علي بن الجهم قال: كان الحارثيّ يجيء إلى حلوان[2] و أنا أتولّاهـا و كان عليّ بن الجهم على مظالمها- فإذا وردّها وقع الإرجاف[3]، فلم يزل متّصلا حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف. فأتاني مرّة و ظهر كوكب الدّنب في تلك الليلة، فقلت: لمّا بدا أيقنت بالعطب # فسألت ربّي خير منقلب

لم يطلعا إلا لآبدة[4] # الحارثيّ و كوكب الدّنب

/قال ابن المدبّر: و كان الحارثيّ أعور مقبّح الوجه، و فيه يقول أبو عليّ البصير: يا معشر البصراء لا تتطرّفوا[5] # جيشي و لا تتعرّضوا لنكيري

ردّوا عليّ الحارثيّ فإنه # أعمى يدلّس نفسه في العور[6]

انتحل شعرا لإبراهيم بن العباس:

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبّر لعليّ بن الجهم و ذكر أن عليّا أنشده إيّاه لنفسه: [1] كذا في الأصول بإثبات الياء في «خفي» في هذا البيت، و في «دعي» في البيت بعده. و نحسب أن هذه الياء من زيادات النساخ، و أن الخطاب لمذكر و المراد به أنشي، كما يدل عليه سياق الكلام. و إلا فبعيد أن يقع مثل عليّ بن الجهم في هذا الخطأ اللغوي؛ إذ الأمر من «خاف» للمخاطبة «خافي» .

[2] حلوان: مدينة بالعراق.

[3] الإرجاف هنا: الزلزلة؛ يقال رجفت الأرض و أرجفت.

[4] الآبدة: الداهية الخالدة الذكر، و الأمر العظيم تنفر منه و تستوحش.

[5] تطرف الشيء: تحيفه و أخذ من أطرافه.

[6] كذا في حـ. و في سائر النسخ: «بالعور» .

أميل مع الدمام على ابن أمي # و آخذ للصديق من الشقيق

و إن ألفتني حراً مطاعاً # فإئك واجدي عبد الصديق

أفرق بين معروفني و مئي # و أجمع بين مالي و الحقوق

فقال إبراهيم: كذب و الله علي بن الجهم و أثم. و الله لهذا الشعر أشهر[1] بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه.

قال المتوكل إنه كذاب و أثبت كذبه بكلامه له:

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهروبه قال حدّثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل: علي بن الجهم أكذب خلق الله. حفظت عليه أنه أخبرني أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى و أنسي ما أخبرني به، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى و أنسي الحكايتين جميعاً، فأخبرني أنه أقام بالجبل/ثلاثين سنة، ثم مضت مدّة أخرى فأخبرني أنه أقام بمصر و الشام ثلاثين سنة، فيجب أن يكون عمره على هذا و على التقليل مائة و خمسين سنة[2]، و إنما يزاهي سنّه الخمسين سنة. فليت شعري أيّ فائدة له في هذا الكذب و ما معناه فيه!!

عربد عليه بعض ولد علي بن هشام فهجاهم:

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدّثنا عبد الله بن المعتز، و حدّثني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد قال: اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس، فعربد عليه بعضهم، فغضب و خرج من المجلس، و اتّصل الشرّ بينهم حتى تقاطعوا و هجروه و عابوه و اغتابوه. فقال يهجوهم: بني متيم هل تدرون ما الخبر # و كيف يستر أمر ليس يستتر

حاجبتكم: من أبوكم يا بني عصب # شئني و لكنّما للعاهر الحجر

قد كان شيخكم شيخاً له خطر # لكنّ أمكم في أمرها نظر

و لم تكن أمكم-و الله يكلؤها- # محجوبة دونها الحراس و السّتر

كانت معنيّة الفتيان إن شربوا # و غير ممنوعة منهم إذا سكروا

و كان إخوانه غرّاً غطارفة # لا يمكن الشيخ أن يعصي إذا أمروا

قوم أعفاء إلا في بيوتكم # فإنّ في مثلها قد تخلع العذر

فأصبحت كمراح[3] الشّول حافلة # من كلّ لاقحة في بطنها درر

[1] في ب، س: «أشبهه» .

[2] يلاحظ أن مجموع السنين التي ذكرها لا يبلغ مائة و خمسين.

[3] في الأصول: «كمريح» و المراح: مأوى الإبل. و الشول من النوق: التي خف لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن أي بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان (بكسر أوله و سكون ثانيه) نتاجها. واحدها شائلة، و هو جمع على غير قياس. و أما الناقة الشائل (بغير هاء) فهي اللاقح التي تشول بذنبها للفحل أي ترفعه، فذلك آية لقاها، و ترفع مع ذلك رأسها و تشمخ بأنفها، و هي حينئذ شامذ، و جمعها شؤل و شمد. و المراد من البيت ظاهر.

فجئتم عصبا من كلِّ ناحية # نوعا[1]مخانيث في أعناقها الكبير[2]
 فواحد كسروي في قراطقه[3] # و آخر قرشي حين يختبر
 ما علم أمكم من حلِّ مئزرها # و من رماها بكم يا أيها القدر
 /قوم إذا نسبوا فالأم واحدة # و الله أعلم بالآباء إذ كثروا
 لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم # و أنتم في المخازي فتية صبر
 أحببت إعلامكم إني بأمركم # و أمر غيركم من أهلكم خبر
 تفكّهون بأعراض الكرام و ما # أنتم و ذركم السادات يا عرر[4]
 هذا الهجاء الذي تبقى مياسمه[5] # على جباهكم ما أورد الشجر

سعى عند المتوكل بندمائه و بلغه أنه هجاه فحبسه، و أحسن شعره في الحبس:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن المدبّر قال: كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال عليّ بن الجهم: قد بلغني أنّ العامل قتله و صانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا. و كان يسعى بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه و أمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. و أحسن شعر قاله في الحبس قصيدته التي أوّلها: قالت[6]حبست فقلت ليس بضائري # حبسي و أيّ مهّد لا يغمّد

أ و ما رأيت اللّيث يألّف غيله # كبرا و أوباش السّباع تردّد
 و الشمس لو لا أنّها محجوبة # عن ناظريك لما أضاء الفرقد
 و البدر يدركه السّرار[7]فتنجلي # أيّامه و كأنّه متجدّد
 /و الغيث يحصره الغمام فما يرى # إلاّ و ربّعه يروع[8]و يرعّد
 و الزاعبيّة[9]لا يقيم كعوبها # إلاّ التّفاف[10]و جذوة تنوّقد
 و النار في أحجارها مخبوءة # لا تصطلى إن لم تثرها الأزند

[1]كذا في الأصل أي و هما نوعا مخانيث... إلخ، فسرها في البيت الثاني، و إن كان مع ذلك يحتمل أنها حرفت عن كلمة على وزن فعل بضم أوله جمعا لأفعل، مثل نوك جمع أنوك أو نحو ذلك.

[2]الكبر: الطبل. معرب.

[3]القراطق: جمع قرطق و هو القباء.

[4]العرر: جمع عرة و هو الرجل يكون شين القوم؛ يقال: فلان عرة أهله.

[5]المياسم: جمع ميسم (بكسر الميم) و هو هنا أثر الوسم و الجمع مواسم على الأصل باعتباره من وسم، و مياسم على اللفظ.

[6]في ب، س: «قالوا» .

[7]السرار: (بالفتح و الكسر) آخر أيام الشهر.

[8]في الأصول: «يراع» .

[9]الزاعبية: رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة.

[10]الثقاف: آلة من خشب تسوّي بها الرماح.

و الحبس ما لم تغشه لدنيّة # شنعاء نعم المنزل المنورّ [1]
 بيت يجدد للكريم كرامة # و يزار فيه و لا يزور و يحمّد
 لو لم يكن في الحبس إلاّ أنّه # لا يستذلّك بالحجاب الأعبّد
 كم من عليل قد تخطّاه الرّدى # فنجا و مات طبيبه و العوّد
 يا أحمد بن أبي دواد إنّما # تدعى لكلّ عظمة يا أحمد
 أبلغ أمير المؤمنين فدونه # خوض الرّدى و مخاوف لا تنفد
 أنتم بنو عمّ النبيّ محمد # أولى بما شرع النبيّ محمّد
 ما كان من كرم فأنتم أهله # كرمت مغارسكم و طاب المحتد
 أ من السّويّة يا ابن عمّ محمد # خصم تقربّه و آخر تبعد
 إنّ الذين سعوا إليك باطل # حسّاد نعمتك التي لا تجحد
 شهدوا و غبنا عنهم فتحكّموا # فينا و ليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس # يوما لبان لك الطريق الأقصد
 فبأيّ جرم أصبحت أعراضنا # نهبا تقسّمها اللئيم الأوغد

دخل على المتوكل و الطيب يفحص علته و كانت جاريتها قبيحة

أغضبته فضربها ثم اغتم لذلك فقال هو في ذلك شعرا:

أخبرني جعفر بن قدامة قال قال لي عليّ بن الجهم: دخلت على المتوكل و قد بلغني أنّه كلف قبيحة جاريتها فأجابته بشيء أغضبه، فرماها بمخدة فأصاب عيناها فأثرت فيها، فتأوّهت و بكت و بكى المعتزّ لبكائها؛ فخرج المتوكل و قد حمّ من الغمّ و الغضب. فلما بصر بي دعاني و إذا الفتح [3] يري بختيشوع القارورة و يشاوره فيها. فقال لي: قل يا عليّ في علتي هذه شيئا وصف أنّ الطيب ليس يدري ما بي؛ فقلت: /

تنكّر حال علّتي الطيب # و قال أرى بجسمك ما يريب
 جسست العرق منك فدلّ جسّي # على ألم له خبر عجيب
 فما هذا الذي بك هات قل لي # فكان جوابه منّي التّحيب
 و قلت أيا طيب الهجر دائي # و قلبي يا طيب هو الكئيب
 فحرّك رأسه عجبا لقولي # و قال الحب ليس له طيب

[1] المتورد: الذي يورد و يزار مثل المورد. و في ب، س: «المتودد» و هو تحريف.

[2] في أ، م: «الربيعي» .

[3] هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل و نديمه.

فأعجبنى الذي قد قال جدًّا # و قلت بلى إذا رضي الحبيب
فقال هو الشفاء فلا تقصّر # فقلت أجل و لكن لا يجيب
ألا هل مسعد يبكي لشجوي # فإني هائم فرد غريب

فقال: أحسنت و حياتي! يا غلام اسقني قدحا؛ فجاءه بقدر فشرب و
سقيت الجماعة مثله. و خرجت إليه فضل الشاعرة بأبيات أمرتها قبيحة أن
تقولها عنها. فقرأها فإذا هي: /

أكتمنّ الذي في القلب من حرق # حتى أموت و لم يعلم به الناس
و لا يقال شكا من كان يعشقه # إنّ الشكاة لمن تهوى هي الياس
و لا أبوح بشيء كنت أكتمه # عند الجلوس إذا ما دارت الكاس

فقال المتوكّل: أحسنت يا فضل. و أمر لها ولي بعشرين ألف درهم، و
دخل إلى قبيحة فترصّأها.

**خرج مع جماعة إلى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق ففرّ
أصحابه و ثبت هو و قال شعرا:**

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد قال:

خرج عليّ بن الجهم إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في
خساف[1] فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، و ثبت عليّ بن الجهم
فقاتلهم قتالا شديدا، و تاب الناس إليه فدفعهم و لم يحظوا بشيء. فقال
في ذلك: /

صبرت و مثلي صبره ليس ينكر # و ليس على ترك التّقّم يعذر
غريزة حرّ لا اختلاق تكلف # إذا خام[2] في يوم الوعى المتصبّر
و لمّا رأيت الموت تهفو بنوده # و بانّت علامات له ليس تنكر
و أقبلت الأعراب من كلّ جانب # و ثار عجاج أسود اللّون أكر
بكلّ مشيح[3] مستميت مشمّر # يجول به طرف[4] أقبّ مشمّر
بأرض خساف حين لم يك دافع # و لا مانع إلّا الصّفيح[5] المذكّر
فقلّ في عينيّ عظم جموعهم # عزيمة قلب فيه ما جلّ يصغر
بمعترك فيه المنايا جواسر # و نار الوعى بالمشرفيّة تسعر

فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم # و لا انحزت عنهم و القنا تتكسّر
و لم أك في حرّ الكريهة محجما # إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر

- [1] في الأصول «حساف» بالحاء المهملة و هو تصحيف. و خساف: بركة بين بالس و حلب. («معجم البلدان» لياقوت) .
- [2] خام: نكص و جين.
- [3] المشيح: المجد.
- [4] الطرف: الكريم من الخيل. و الأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن.
- [5] الصفيح هنا: السيف العريض.

إذا ساعد الطّرف الفتى و جناه # و أسمر خطّي و أبيض مبتر[1]
 فذاك، و إن كان الكريم بنفسه، # إذا اصطكّت الأبطال في التّقع عسكر
 منعتهم من أن ينالوا قلامه # و كنت شجاهم و الأسنّة تقطر
 و تلك سجايانا قديما و حادثاً # بها عرف الماضي و عزّ المؤخّر
 أبت لي قروم أنجبتني أن أرى # و إن جلّ خطب خاشعا أتضجّر
 أولئك آل الله فهر بن مالك # بهم يجبر العظم الكسير و يكسر
 هم المنكب العالي على كلّ منكب # سيوفهم تفني و تغني و تفقر

قال إن أباه حبسه في الكتاب و هو صبيّ فكتب إلى أمّه شعرا فكذبه إبراهيم بن المدبر:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق و الحسن بن عليّ قالا جميعا حدّثنا
 محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عيسى بن أبي حرب قال حدّثني
 عليّ بن الجهم قال: حبسني أبي في الكتاب، فكتبت إلى أمي:

يا أمّتا أفديك من أمّ # أشكو إليك فظاظة الجهم
 قد سرح الصّبيان كلّهم # و بقيت محصورا بلا جرم

قال: و هو أوّل شعر قلته و بعثت به إلى أمّي؛ فأرسلت إلى أبي: و الله
 لئن لم تطلقه لأخرجنّ حاسرة حتى أطلقه. قال عيسى فحدّثت بهذا الخير
 إبراهيم بن المدبر فقال: عليّ بن الجهم/كذاب، و ما يمنعه من أن يكون ولد
 هذا الحديث و قال هذا الشعر و له ستون سنة، ثم حدّثكم أنه قاله و هو
 صغير، ليرفع من شأن نفسه!.

مدح أحمد بن أبي دواد و كان منحرفا عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه و شمت به بعد أن نغاه المتوكل:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان أحمد بن أبي دواد منحرفا عن عليّ بن الجهم لاعتقاده مذهب
 الحشويّة[2]. فلما حبس عليّ بن الجهم مدح أحمد بن أبي دواد عدّة مدائح،
 و سأله أن يقوم بأمره و يشفع فيه، فلم يفعل و قعد عنه. فمنها قوله: يا
 أحمد بن أبي دواد إنّما # تدعى لكلّ عزيمة يا أحمد

أبلغ أمير المؤمنين و دونه # خوض الرّدى و مخاوف لا تنفد

أنتم بنو عمّ النبيّ محمد # أولى بما شرع النبيّ محمّد

و هذه الأبيات من قصيدته التي أوّلها:

قالت حبست فقلت ليس بضائري

[1]المعروف في «كتب اللغة» أن يقال سيف باتر و بتار (بتشديد التاء) و بتار (وزان غراب) و بتور. و لكن عليّ بن الجهم استعمل هنا هذه الصيغة، فرجنا هذا الضبط؛ إذ المستعمل في القطع من هذه المادة إنما هو «بتر» الثلاثي، و اسم الآلة منه مبتر.

[2]الحشوية: طائفة يقولون: حكم الأحاديث كلها واحد، و عندهم أن تارك النفل كتارك الفرض. و هم فرقة من المرجئة. (انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي ج 4 ص 162 طبع دار الكتب المصرية) . .

/فلماً نفى المتوكّل أحمد بن أبي دواد شمّت به عليّ بن الجهم و هجاه
فقال: يا أحمد بن أبي دواد دعوة # بعثت إليك جنادلا و حديدا

ما هذه البدع التي سمّيتها # بالجهل منك العدل و التوحيدا
أفسدت أمر الدّين حين وليته # و رميته بأبي الوليد[1]وليدا
لا محكما جزلا[2]، و لا مستطرفا[3] # كهلا، و لا مستحدثا معمودا[4]
شرها، إذا ذكر المكارم و العلا # ذكر القلايا[5]مبدئا و معيدا
و يوّد لو مسخت ربيعة كلّها # و بنو إياد صفة و ثريدا
و إذا ترّجّع في المجالس خلته # ضبعا و خلّت بني أبيه قرودا
و إذا تبسّم ضاحكا شبّهته # شرقا تعجّل شره مردودا
لا أصبحت بالخير عين أبصرت # تلك المناخر و الثّنايا السّودا

كتب من حبسه شعرا لطاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين:
أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد قال:

كتب عليّ بن الجهم إلى طاهر من الحبس[6]:

إن كان لي ذنب فلي حرمة # و الحقّ لا يدفعه الباطل
و حرمتي أعظم من زلّتي # لو نالني من عدلكم نائل
و لي حقوق غير مجهولة # يعرفها العاقل و الجاهل
و كلّ إنسان له مذهب # و أهل ما يفعله الفاعل
و سيرة الأملاك منقولة # لا جائز يخفى و لا عادل
و قد تعجّلت الذي خفته # منك و لم يأت الذي أمل

شعره في مقين كان ينزل عنده في جماعة بالكرخ:
حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد قال:

كان عليّ بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه
و ردّ من النفي، و كانوا يتقاينون[7] ببغداد، و يلزمون منزل مقين بالكرخ
يقال له المفضّل. فقال فيه عليّ بن الجهم: [1]أبو الوليد هو محمد بن أحمد
بن أبي دواد، كان يتولى المظالم بسامرا و عزله المتوكّل سنة 237 هـ.

[2]الجزل هنا: الجيد الرأي أصيله.

[3]لعلها «مستطرفا» بالطاء المعجمة أي معدودا ظريفا.

[4] لعلها: «محمودا» .

[5] القلايا: المقلبات، مفرده قلية.

[6] بعد هذه الكلمة و قبل الشعر كلمة «صوت» في ح، ب، س: و لم يذكر فيه ألقانا حتى يكون لهذه الكلمة موقع.

[7] ظاهر أن معناه: يجالسون القيان، و أن معنى مقين صاحب قيان.

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل # على محسنات من قيان المفضل
 /فلابن سريج و الغريض و معبد # بدائع في أسماعنا لم تبدل
 أوانس ما للضيف منهج حشمة # و لا رهن بالجليل المبجل
 يسر إذا ما الصيف قلل حياؤه # و يغفل عنه و هو غير مغفل
 و يكثر من ذم الوقار و أهله # إذا الصيف لم يأنس و لم يتبدل
 و لا يدفع الأيدي المرية غيره # إذا نال حظاً من لبوس و مأكـل
 و يطرق إطراق الشجاع مهابة # ليطلق طرف الناظر المتأمل
 أشربيد و اغمز بطرف و لا تخف # رقبيا إذا ما كنت غير مبجل
 و أعرض عن المصباح و الهج بمثله # فإن خمد المصباح فادن و قبل
 و سل غير ممنوع و قل غير مسكت # و نم غير مذعور و قم غير معجل
 لك البيت ما دامت هداياك جمّة # و كنت ملياً بالتييد المعسل
 فبادر بأيام الشباب فإثها # تقصى و تفنى و الغواية تنجلي
 و دع عنك قول الناس أتلف ماله # فلان فأضحى مدبرا غير مقبل
 هل الدهر إلا ليلة طرحت بنا # أواخرها في يوم لهو معجل
 /سقى الله باب الكرخ من متنزه # إلى قصر [1] و ضاح فبركة [2] زلزل
 مساحب أذبال القيان و مسرح الـ # حسان و مئوى كل خرق معدل [3]
 لو ان امرأ القيس بن حجر يحلها # لأقصر عن ذكر الدخول و حومل [4]
 إذا لرأى [5] أن يمنح الود شادنا # مقصر أذبال القبا غير مسبل
 إذا الليل أدنى مضجعي منه لم يقل [6] # عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

[1] قصر و ضاح: قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد، و قد تولى النفقة عليه رجل من أهل الأنبار يقال له و ضاح فنسب إليه. و قيل و ضاح من موالي المنصور. و قال الخطيب: لما أمر المنصور ببناء الكرخ قلد ذلك رجلا يقال له الوضاح بن شبا، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح. (معجم البلدان « لياقوت) .

[2] بركة زلزل: ببغداد بين الكرخ و الصراة (بفتح أوله) و باب المحول (بتشديد الواو مع فتحها) و سوقة أبي الورد تنسب إلى زلزل الضارب. (معجم البلدان « لياقوت) .

[3]الخرق من الرجال: الكريم الذي يتخرق في كرمه أي يتسع فيه. و
المعذل: الذي يكثر الناس عذله و لومه على إسرافه في الكرم.

[4]رواية «معجم البلدان» :

منازل لا يستتبع الغيث أهلها # و لا أوجه اللذات عنها بمعزل
منازل لو أن أمرا القيس حلها # لأقصر عن ذكر الدخول فحومل

[5]في ياقوت:

إذا لرآني أمنح الود شادنا # مقلص.....

[6]في الأصول: «لم أقل» . و التصويب من «معجم البلدان» لياقوت
عند الكلام على قصر و ضاح.

أنشد إبراهيم بن المدبر شعرا لنفسه فكذبه و قال إن الشعر لإبراهيم بن العباس:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني إبراهيم بن
المدبر قال أنشدني عليّ بن الجهم لنفسه: و إذا جرى الله امرأ بفعاله #
فجزي أبا لي ماجدا سمحا

ناديته عن كربة فكأثما # أطلعت عن ليل به صباحا

فقلت له: ويلك! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك
الزبّات! فجددني و كابر. فدخل يوما عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس
و أنا عنده. فلما رأيته قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركته ساعة ثم أنشدت
البيتين، و قلت لإبراهيم بن العباس: إنّ هذا يزعم أنّ هذين البيتين له. فقال:
كذب، هذان لي في محمد / ابن عبد الملك الزبّات. فقال له عليّ بن الجهم
بقحة: أ لم أنك أن تنتحل شعري! فغضب إبراهيم و جعل يقول له بيده:
سوأة عليك سوأة لك! ما أوقحك! و هو لا ينكر [1] في ذلك و لا يخجل. ثم
التقينا بعد مدّة فقال: أ رأيت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس!! فجعلت
أعجب من صلابة وجهه.

شعر له في الفراق:

حدّثني [2] عمّي قال أنشدنا محمد بن سعد لعليّ بن الجهم و فيه غناء:
اعلمي يا أحبّ شيء إلّيّا # أنّ شوقي إليك قاض عليّا

/إن قضى الله لي رجوعا إليكم # لا ذكرت الفراق ما دمت حيّا

إنّ حرّ الفراق أنحل جسمي # و كوى القلب منك بالشوق كيّا

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عنه و يسبّه عند الخليفة فهجاه:

حدّثني [2] عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفا عن عليّ بن الجهم و كان
يسبّه [3] عند الخليفة و يعيبه و يذكره بكلّ قبيح. فقال فيه عليّ بن الجهم:
لعائن الله متابعات # مصبّحات و مهجّرات

على ابن عبد الملك الزيات # عرّض شمل الملك للشّئات

و أنفذ الأحكام جائرات # على كتاب الله ذاريات [4]

و عن عقول الناس خارجات # يرمي الدواوين بتوقيعات

[1] في ح، ب، س: «لا يفكر» .

[2] في ب، س، ح: «قال حدّثني إلخ» و كلمة «قال» هنا لا موقع لها.

[3] سبعة (من باب ضرب و منع) شتمه و وقع فيه. و هذه الكلمة محرفة في الأصول، ففي ب، س: «يسبه» و في أ، م: «يبشعه» و في ح: «يسيعه» .

[4] كذا في الأصول بالذال المعجمة. و ذاريات من ذرت الريح التراب تذروه و تذريه: فرقته و أطارته. يريد أنها تعفى كتاب الله. و يحتمل أن يكون زاريات بالزاي أي عائبات.

معقّذات كرقى الحيّات # سبحان من جلّ عن الصّفات
 بعد ركوب الطّوف[1] في الفرات # و بعد بيع الرّيت بالحبّات
 /صرت وزيرا شامخ الثّبات[2] # هارون[3] يا ابن سيّد السّادات
 أما ترى الأمور مهملات # تشكو إليك عدم الكفاة
 فعاجل العالج بمرهفات # من بعد ألف[4] صحّب الأصوات
 بمثمرات[5] غير مورقات # ترى بمتنيه مرصّفات
 ترصّف الأسنان في اللّثات

استرفد عمر بن الفرّج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت به و قال شعرا:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن سعد قال:

كان عليّ بن الجهم سأل عمر بن الفرّج الرّجّجيّ[6] معاوته، و
 استرفده في نكبته فلم يعاونه و لم يرفده، ثم قبض على عمر بن الفرّج و
 أسلم إلى نجاح[7] ليصادره. فقال عليّ بن الجهم له: أبلغ نجاحا فتى الفتيان
 مألّكة[8] # تمضي بها الرّيح إصدارا و إيرادا

لن يخرج المال عفوا من يدي عمر # أو يغمد السّيف في فوديه إغمادا
 الرّجّجيّون لا يوفون ما وعدوا # و الرّجّجيات لا يخلفن ميعادا

قال و قال في عمر بن الفرّج أيضا:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما # تيه الملوك و أفعال الممالك
 /أردت شكرا بلا برّ و مرزئة[9] # لقد سلكت طريقا غير مسلوک
 طننت عرضك لا يرمى بقارعة # و ما أراك على حال بمتروک

[1]الطوف: قرب ينفخ فيها و يشد بعضها إلى بعض كهيئة السطح
 يركب عليها في الماء و يحمل عليها.

[2]كذا في الأصول و النفس غير مرتاحة لها (?).

[3]يريد هارون الواثق الخليفة العباسي.

[4]يريد ألفا من السياط.

[5]مثمرات: لها ثمر. و الثمرة من السوط: عقدة في طرفه تشبيها
 بالثمر في الهيئة و التدلي عنه كتدلي الثمر.

[6] كان هو و أبوه فرج من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل. غضب عليه المتوكل؛ لأن الوثائق و كله به حين غضب عليه يكتب عنه و يحفظ أخباره. فلما ولي الخلافة نكبه في شهر رمضان سنة 233 هـ و أمر بحبسه و مصادرة أمواله. (راجع الطبري ق 3 ص 1370 ص 1377) .

[7] هو نجاح بن سلمة أبو الفضل، كان علي ديوان التوقيع و التتبع على العمال في عهد المتوكل، ثم نكبه عنده عبيد الله بن يحيى بن خاقان سنة 245، و كان متمكنا من المتوكل واليه الوزارة و عامة أعماله. (راجع الطبري ق 3 ص 1440-1447) .

[8] المألكة: الرسالة.

[9] يقال: رزأه ماله من باب قطع و علم رزعا و مرزئة إذا أصاب منه خيرا.

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب و كان عربد عليه و أغضبه

فرضي عنه:

أخبرني عمي قال حدّثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال: كان لسليمان بن [1] وهب نديم يأنس به و يألّفه، فعربد عليه ليلة من الليالي عربدة قبيحة، فاطرحه و جفاه مدّة. فوقف له على الطريق. فلما مرّ به وثب إليه [2] فقال له: أيها الوزير، أ لا تكون في أمري كما قال عليّ بن الجهم: القوم إخوان صدق بينهم نسب # من المودّة لم يعدل بها نسب

تراضعوا درة الصّهباء بينهم # فأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب

/لا تحفظنّ على السّكران زلّته # و لا ترينك من أخلاقه ريب

فقال له سليمان: قد رضيت عنك رضا صحيحا، فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

و أوّل هذه الأبيات:

الورد يضحك و الأوتار تصطخب # و الثّاي يندب أشجانا و ينتحب

و الرّاح تعرض في نور الرّبيع كما # تجلى العروس عليها الدّرّ و الدّهب

و اللّهُ يلحق مغبوقا بمصطبح # و الدور [3] سيّان محثوث و منتخب

و كلّما انسكبت في الكأس آونة # أقسمت أنّ شعاع الشّمس ينسكب

أنشد عبد الله بن طاهر شعرا و كان مغتما فسرى عنه:

أخبرني عمي قال حدّثنا محمد بن سعد قال حدّثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال: دخل عليّ بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غدوة من غدوات الرّبيع و في السّماء غيم رقيق و المطر يجيء قليلا و يسكن قليلا، و قد كان عبد الله عزم على الصّبح. فغاضبته حظيّة له، فتتّعص عليه عزمه و فتر. فخبّر عليّ بن الجهم بالخبر و قيل له: قل في هذا المعنى شيئا، لعله ينشط للصّبح. فدخل عليه فأنشده:

صوت

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله # صحو و غيم و إبراق و إرعاد

كأنّه أنت يا من لا شبيه له # وصل و هجر و تقرب و إبعاد

فباكر الرّاح و اشربها معتّقة # لم يدّخر مثلها كسرى و لا عاد

و اشرب على الرّوض إذ لاحت زخارفه # زهر و نور و أوراق و أوراد

[1] هو أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد. كتب للمأمون و هو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله، و قد مدحه خلق كثير من أعيان الشعراء كأبي تمام و البحتري. و تنقل سليمان المذكور في الدواوين الكبار و الوزارة. و لم يزل كذلك حتى توفي مقبوضا عليه في منتصف صفر سنة 272. (راجع ابن خلكان).

[2] في ب، س، ح: «عليه» .

[3] كذا في الأصول.

كأثما يومنا فعل الحبيب بنا # بذل و بخل و إيعاد و ميعاد

و ليس يذهب عني كل فعلكم # غي و رشد و إصلاح و إفساد

فاستحسن الأبيات و أمر له بثلاثمائة دينار؛ و حمله و خلع عليه، و أمر بأن يغنى في الأبيات. الغناء لبذل الطاهرية، خفيف رمل. و فيه لغيرها هزج.

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن و قال شعرا:

حدّثني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد قال حدّثني رجل من أهل خراسان قال: رأيت عليّ بن الجهم بعد ما أطلق من حبسه جالسا في المقابر؛ فقلت له: ويحك! ما يجلسك هاهنا؟!

فقال:

يشتاك كلّ غريب عند غربته # و يذكر الأهل و الجيران و الوطننا

و ليس لي وطن أمسيت أذكره # إلاّ المقابر إذ صارت لهم وطننا

شعر له و فيه غناء:

حدّثني عمّي قال أنشدنا أحمد بن عبيد و محمد بن سعد لعليّ بن الجهم و فيه غناء:

صوت

لو تنصّلت إلينا # لوهبنا لك ذنبك

بأبي ما أبغض العيب # ش إذا فارقت قربك

ليتنني أملك قلبي # مثل ما تملك قلبك

أيها الواثق بالله لقد ناصحت ربك

ما رأى التّاس إماما # أنهب الأموال نهيك

أصبحت حجّتك العلاء # يا و حزب الله حزبك

الغناء لعريب رمل. و فيه لغيرها هزج.

مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا فهجاه:

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كان عليّ بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئا، فقال

يهجوه: /

يا أبا أحمد لا يند # جي من الشّعرا الفرار

لبنى العباس أحلا # م عظام و وقار
و لهم في الحرب إفا # م و رأى و اصطبار
و لهم ألسنة تبا # ري كما تبرى الشفار

و وجوه كنجوم اللّيل تهدي من يحار و نسيم كنسيم الرّوض جادته
القطار

و لعطفيك عن المجد # د شماس و ازورار

إن تكن منهم بلا شكّ فللعود قنار[1]

رثى عبد الله بن طاهر بشعر و أنشده ابنه يعزبه:

حدّثني لحظة و عمّي قالا حدّثنا عبید الله بن عبد الله بن طاهر قال:
دخل إلينا عليّ بن الجهم بعقب موت أبي و المجلس حافل بالمعزّين، فمثل
قائما و أنشدنا يرثيه: أيّ ركن و هي من الإسلام # أيّ يوم أخنى على الأيّام

جلّ رزء الأمير عن كلّ رزء # أدركته خواطر الأوهام

سلبتنا الأيّام ظلّاً ظليلاً # و أباحت حمى عزيز المرام

يا بني مصعب حللتم من النا # س محلّ الأرواح في الأجسام

فإذا رابكم من الدّهر ريب # عمّ ما خصّكم جميع الأنام

انظروا هل ترون إلّا دموعا # شهادات على قلوب دوامي

من يداوي الدّنيا و من يكلاً الملد # ك لدى فادح الخطوب العظام

نحن متنا بموته و أجلّ الـ # خطب موت السّادات و الأعلام

لم يمّت و الأمير طاهر[2] حيّ # دائم الانتقام و الإنعام

و هو من بعده نظام المعالي # و قوام الدّنيا و سيف الإمام

قال: فما أذكر أني بكيت أو رأيت في دورنا باكيا أكثر من يومئذ.

غنت عريب المعتز بشعر له فطرب و فرّق مالا:

حدّثني عمّي قال حدّثنا أبو الدّهقانة التّديم قال: دخلنا يوما إلى المعتزّ
و هو مصطبّح على صوت اختاره و اقترحه عليّ عريب، و أظنّ الصنعة لها،
فلم يزل يشرب عليه بقيّة يومه، فلمّا سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم، و
فرّق على الجلساء كلّهم الجوائز و الطيب و الخلع.

و الصوت:

/

العين بعدك لم تنظر إلى حسن # و التّفنّس بعدك لم تسكن إلى سكن

كأنّ نفسي إذا ما غبت غائبة # حتى إذا عدت لي عادت إلى بدني

و الشعر لعلّي بن الجهم.

[1]القتار: ربح العود المحرق.

[2]يريد طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين.

خرج مع عبد الله بن طاهر للصيد و شربوا فقال شعرا يصف ذلك:

حدّثني جحظة و محمد بن خلف وكيع و عمّي قالوا جميعا حدّثنا عبید الله بن عبد الله بن طاهر قال: لمّا أطلق أبي طاهر عليّ بن الجهم من الحبس أقام معه بالشّاذياخ [1]مُدّة. فخرجوا يوما إلى الصّيد، و اتّفق لهم مرج كثير الطير و الوحش، و كانت أيام الرّعفران، فاصطادوا صيدا كثيرا حسنا، و أقاموا يشربون على الرّعفران. فقال علي بن الجهم يصف ذلك: وطننا رياض الرّعفران و أمسكت # علينا البزاة البيض حمر الدّراج [2]

و لم تحمها الأدغال منّا و إنّما # أبحنا حماها بالكلاب النواج [3]

بمستروحات [4]ساحات بطونها # على الأرض أمثال السّهام الرّواج [5]

و مستشرفات بالهوادي [6]كانها # و ما عقفت منها رءوس الصّواج

/و من دالعات ألسنا فكأنّها # لحي من رجال خاضعين كواسج [7]

/فلينا بها الغيطان فليا كأنّها # أنامل إحدى الغانيات الحواج [8]

فقل لبغاة الصّيد هل من مفاخر # بصيد و هل من واصف أو مخارج [9]

قرنا بزاة بالصّقور و حوّمت # شواهيّنا من بعد صيد الرّمامج [10]

كتب من حبسه إلى المتوكل شعرا:

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

كتب عليّ بن الجهم إلى المتوكل و هو محبوس:

صوت

أقلني أقالك من لم يزل # يقيك و يصرف عنك الرّدى

و يغذوك بالنّعم السابغات # وليدا و ذا ميعة أمردا

و تجري مقاديره بالذي # تحبّ إلى أن بلغت المدى

[1]راجع الحاشية رقم 3 صفحة 208 من هذا الجزء.

[2]الدراج: جمع درّاج و هو طير جميل المنظر ملوّن الريش. و في الأصول: «التدراج» و هو تحريف.

[3]نباج الكلب: نباحه. و في أ، ح، م: «النواج» بالحاء المهملة، و هو تصحيف. و في ب، س «البواج» و هو تحريف.

[4]استروح الشيء: تشممه. و سابحات: سريعات.

[5]الزوالج: هنا بمعنى السريعة. يقال سهم زالج أي يزلج على وجه الأرض ثم يمضي.

[6]الهوادي هنا: الأعناق. و عقت: عطفت و عوجت.

[7]دالعات ألسنا: مخرجات ألسنها من أفواهاها. و الكوسج: الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه.

[8]حوالج: جمع حالجة و هي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه.

[9]خارجه: ناهده. يريد: هل من مناهض يناهضنا في الصيد.

[10]كذا في أكثر الأصول. و الزمامج: جمع زمج (وزان سكر) و هو نوع من الطير يصاد به دون العقاب، تغلب على لونه الحمرة. و في ب، س: «الروامج». جمع رامج، و هو ملواح تصاد به الجوارح كالصقور و نحوها. و هذا لا يصلح في هذا المقام.

و يعليك حتى لو انّ السماء # تنال لجاوزتها مصعدا
 فما بين ربك جلّ اسمه # و بينك إلاّ نبيّ الهدى
 فشكرا لأنعمه إته # إذا شكرت نعمة جدّدا
 و عفوك عن مذنب خاضع # قرنت المقيم به المقعدا
 إذا ادّرع الليل أفضى به # إلى الصّبح من قبل أن يرقدا
 عفا الله عنك أ لا حرمة # تعود بفضلك أن أبعدا
 لئن جلّ ذنب و لم أعتد # لأنت أجلّ و أعلى يدا
 أ لم تر عبدا عدا طوره # و مولى عفا و رشيدا هدى
 /و مفسد أمر تلافيته # فعاد فأصلح ما أفسدا
 فلا عدت أعصيك فيما أمر # ت حتى أزور الثّرى ملحدا
 و إلاّ فخالفت ربّ السماء # و خنت الصّديق و عفت الثّدى
 و كنت كعزّون أو كابن عمرو # مبيح العيال لمن أولدا
 يكثر في البيت صبيانه # يغبط بهم معشرا جسّدا

شمت بأحمد بن أبي دواد حين فلج و قال شعرا يهجوّه:
 حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد قال:

لما فلج ابن أبي دواد شمت به عليّ بن الجهم و أظهر ذلك له و قال
 فيه: لم يبق منك سوى خيالك لامعا # فوق الفراش ممهّدا بوساد

فرحت بمصرعك البريّة كلّها # من كان منهم موقنا بمعاد
 كم مجلس لله قد عطّلته # كي لا يحدّث فيه بالإسناد
 و لكم مصاييح لنا أطفأتها # حتى يزول عن الطريق الهادي
 و لكم كريمة معشر أرملتها # و محدّث أوثقت في الأقياد
 إنّ الأسارى في السّجون تفرّجوا # لما أتتك مواكب العوّاد
 و غدا لمصرعك الطيب فلم يجد # شيئا لدائك حيلة المرتاد
 /فذق الهوان معجّلا و مؤجّلا # و الله ربّ العرش بالمرصاد
 لا زال فالجك الذي بك دائما # و فجعت قبل الموت بالأولاد

شعر له غنت فيه عريب:

أنشدني عمّي لابن الجهم و فيه غناء لعريب:

نطق الهوى بجوى هو الحق # و ملكنتي فليهنك الرق
 رفقا بقلبي يا معذب # رفقا و ليس لظالم رفق
 و إذا رأيتك لا تكلمني # ضاقت علي الأرض و الأفق

و أنشدني له و فيه غناء أيضا، و يقال إنه آخر شعر قاله:

يا رحمة للغريب بالبلد الذ # ازح ما ذا بنفسه صنعا
 فارق أحبابه فما انتفعوا # بالعيش من بعده و ما انتفعا

هجا مغنيا بشعر:

و قال لمغن حضر معه مجلسا و كان غير طيب:

كنت في مجلس فقال مغني ال # قوم كم بيننا و بين الشتاء
 فذرعت البساط مني إليه # قلت هذا المقدار قبل الغناء
 فإذا ما عزمت أن تتغنى # آذن الحر كله بانقضاء

**استشفع بقبيحة إلى المتوكل و هو في حبسه فأرسلت إليه
 ابنها المعتز:**

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدّثني عبد الله بن المعتز
 قال: لما حبس أمير المؤمنين المتوكل علي بن الجهم، و أجمع الجلساء على
 عداوته و إبلاغ الخليفة عنه كل مكروه و وصفهم مساويه، قال هذه القصيدة
 بمدحه و يذكره حقوقه عليه، و هي: عفا الله عنك أ لا حرمة # تعوذ بعفوك
 أن أبعدا

و وجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة و قال لها: إن علي
 بن الجهم قد لاذ بك و ليس له ناصر سواك، و قد قصده هؤلاء التدماء و
 الكتاب لأنه رجل من أهل السنة و هم روافض، فقد اجتمعوا على الإغراء
 بقتله. فدعت المعتز و قالت له: اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيّدك
 أوصلها إليه، ف جاء بها و وقف بين يدي أبيه. فقال له: ما معك فديتك؟ فدنا
 منه و قال: هذه رقعة دفعتها إليّ أمي. فقرأها المتوكل و ضحك. ثم أقبل
 عليهم فقال: أصبح أبو عبد الله-فديته-خضكم. هذه رقعة علي بن الجهم
 يستقيل [1]، و أبو عبد الله شفيعه، و هو ممن لا برد، و قرأها عليهم. فلما
 بلغ إلى قوله: فلا عدت أعصيك فيما أمرت # إلى أن أحلّ الثرى ملحدا

/و إلا فخالفت رب السماء # و خنت الصديق و عفت الندى

و كنت كعزّون أو كابن عمرو # مبيح العيال لمن أولدا

وثب[2]ابن حمدون و قال للمعتز: يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى
السيدة؟ قال بيدون الخادم: أنا.

[1]يستقيل: يطلب الإقالة من ذنبه و العفو عنه.

[2]في الأصول: «فوثب» .

فقالوا له: أحسنت تعادينا و توصل رقعة عدونا في هجائنا!! فانصرف
بيدون و قام المعتز فانصرف. و استلب ابن حمدون قوله: و كنت كعزون أو
كابن عمرو # مبيح العيال لمن أولدا

/فجعل ينشدهم إياه و هم يشتمون ابن حمدون و يضجون و المتوكل
يضحك و يصفق و يشرب حتى سكر و نام، و سرقوا قصيدته من بين يدي
المتوكل و انصرفوا، و لم يوقع بإطلاقه و نسيه. فقالوا لابن حمدون: و بك!
تعيد هجاءنا و شتمنا!! فقال: يا حمقى و الله لو لم أفعل ذلك فيضحك و
يشرب حتى يسكر و ينام لوقع في إطلاقه و وقعنا معه في كل ما نكره.

هنا المتوكل بفتح أرمنية:

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال
حدثني أحمد بن حمدون قال: لما افتتحت أرمنية و قتل إسحاق بن
إسماعيل [1] دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يهنيها فيها
بالفتح و يمدحه، فقال فيها و أوما بيده إلى الرسول الوارد بالفتح و برأس
إسحاق بن إسماعيل: أهلا و سهلا بك من رسول # جئت بما يشفي من
الغليل

بجملة تغني عن التفصيل # برأس إسحاق بن إسماعيل

قهرًا بلا ختل و لا تطويل

/فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا و ابتداءه، و أمر له المتوكل
بثلاثين ألف درهم، و تمم القصيدة. و فيها يقول: جاوز نهر الكر [2] بالخيل
تردي بفتيان كاسد الغيل

معوّادات طلب الدحول [3] # خزر [4] العيون طيبي [5] التّصوّل

شعث على شعث من الفحول # جيش يلفّ الحزن بالسّهول

كأته معتلج [6] السيول # يسوسه كهل من الكهول

لا ينثني للّصعب و الدّلول # على أغرّ واضح الحجول

حتى إذا أصحر [7] للمخذول # ناجزه بصارم صقيل

ضربا طلحفا [8] ليس بالقليل # و منجنيق [9] مثل حلق الفيل

[1] هو إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية، ظفر به بغا و أحرق مدينة
تفليس سنة 238 هـ.

[2]الكر (بضم أوّله) : نهر بين أرمينية و أُرّان يشق مدينة تفليس. و تردى الخيل رديا و رديانا: ترجم الحصا بحوافرها من شدة وطئها.

[3]في أكثر الأصول: «الدخول» بالبدال و الخاء و هو تصحيف و في جـ: «الدحول» بالبدال و الحاء المهملتين. و الذحول: جمع ذحل و هو الثأر.

[4]خزر: جمع أخزر و خزراء. و خزر العين: ضيقها، و هو كناية عن الغضب.

[5]في جـ: «طيب» و في أ، م هكذا: «حيتي» . و في ب، س: «صيتي» .

[6]اعتلجت الأمواج و السيول: التطمت.

[7]أصحر: برز.

[8]طلحفا: شديدا.

[9]المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. فارسي معرّب.

ترفض عن خرطومه الطويل # صواعق من حجر السَّجِيل [1]
 تترك كيد القوم في تضليل # ما كان إلا مثل رجع القيل
 حتى انجلت عن حزبه المفلول # و عن نساء حسر ذهول
 صواخ يعثرن في الذَّيول # ثواكل الأولاد و البعول
 لا و الذي يعرف العقول # من غير تحديد و لا تمثيل
 ما قام لله و للرسول # بالدِّين و الدُّنيا و بالتَّنزيل
 خليفة كجعفر المأمول

مدح المتوكل بقصيدة و أرسلها من حبسه مع علي بن يحيى:
 أخبرني علي بن العباس قال حدّثني محمد بن عبد السلام قال: رأيت
 مع علي بن يحيى المنجّم قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل و يصف
 الهاروني [2]، فقلت له: يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك؟ فضحك و قال:
 قصيدة لعلي بن الجهم سألتني عرضها على أمير المؤمنين فعرضتها. فلما
 سمع قوله: /

و قبة ملك كأنّ النّجو # م تصغي [3] إليها بأسرارها
 تخرّ الوفود لها سجّدا # إذا ما تجلّت لأبصارها
 و فؤارة ثأرها في السماء # فليست تقصّر عن ثأرها
 تردّ على المزن ما أنزلت # إلى الأرض من صوب مدرارها
 تهلّل وجهه و استحسناها. فلما انتهيت إلى قوله:
 تبوّأت بعدك قعر السّجون # و قد كنت أرثي لزوّارها

غضب و تربّد وجهه و قال: هذا بما كسبت يداه، و لم يسمع تمام
 القصيدة.

**شاع مذهبه و شره فسافر لحلب فقتل في الطريق و قال شعرا
 قبل موته:**

أخبرني علي بن العباس قال حدّثني الحسين بن موسى قال: لما شاع
 في الناس مذهب علي بن الجهم و شرّه و ذكره كلّ أحد بسوء من صديقه و
 عدوّه تحاماه الناس، فخرج عن بغداد إلى الشّام، فاتّفقنا في قافلة إلى
 حلب. و خرج علينا نفر من الأعراب، فتسرّع إليهم قوم من المقاتلة، و خرج
 فيهم فقاتل قتالا شديدا و هزم الأعراب. فلما كان من غد خرج علينا منهم
 خلق كثير، فتسرّعت إليهم المقاتلة و خرج فيهم فأصابته طعنة قتلته، فجئنا

به و احتملناه و هو ينزف دمه. فلما رأي بكى و جعل يوصيني بما يريد.
فقلت له: ليس عليك بأس. فلما أمسينا قلق قلقا شديدا و أحسّ بالموت،
فجعل يقول: /

أزيد في الليل ليل # أم سال بالصّبح سيل

[1]السجيل: حجارة كالمدر.

[2]الهاروني: قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله. و هو
على دجلة بينه و بين سامراء ميل.

[3]يحتمل جدا أن تكون: «تفضى» .

ذكرت أهل دجيل [1] # و أين مّني دجيل

فأبكى كلّ من كان في القافلة، و مات مع السّحر، فدفن في ذلك
المنزل على مرحلة من حلب.

و من صنعة أبي عيسى بن المتوكّل صوت

إن الناس غطّوني تغطّيت عنهم # و إن بحثوا عنّي ففيهم مباحث

و إن حفروا بئري حفرت بئارهم # فسوف ترى ما ذا تثير النّبائث [2]

الشعر لأبي دلّامة. و الغناء لأبي عيسى بن المتوكّل، و لحنه ثقيل أوّل
عن المعتزّ.

[1] دجيل: نهر مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت و بينها مقابل
القادسية دون سامرا.

[2] النّبائث: جمع نبیثة، و هي تراب البئر.

10- أخبار أبي دلامة و نسبه

نسبه و هو مولى لبني أسد و كان فاسد الدين متهتكا:
أبو دلامة زبد بن الجون. و أكثر الناس يصحّف اسمه فيقول «زبد» بالياء، و ذلك خطأ، و هو زبد بالنون.

و هو كوفيّ أسود، مولى لبني أسد. كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له فضايف فاعتقه. و أدرك آخر أيام بني أمية، و لم يكن له في أيامهم نباهة، و نبغ في أيام بني العباس، و انقطع إلى أبي عباس و أبي جعفر المنصور و المهديّ، فكانوا يقدّمونه و يصلونه و يستطيّبون مجالسته و نوادره. و قد كان انقطع إلى روح بن حاتم المهلبيّ أيضا في بعض أيامه. و لم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصّة. و كان فاسد الدّين، رديء المذهب، مرتكبا للمحازم، مضيّعا للفروض، مجاهرا بذلك، و كان يعلم هذا منه و يعرف به، فيتجافى عنه للطف محله.

أول شعر عرف به:

و كان أوّل ما حفظ من شعره و أسنيت/الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور و ذكر قتله أبا مسلم. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن داود بن الجرّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال: لمّا قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

أبا مسلم خوّفتني القتل فانتحي # عليك بما خوّفتني الأسد الورد

أبا مسلم ما غير الله نعمة # على عبده حتى يغيّرها العبد

أنشدها المنصور في محفل من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم، فأمر له بها. فلمّا خلا به قال له: إيه!! أما و الله لو تعدّيتها لقتلتك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن مسلم عن أبيه: سمّي لي أبو دلامة نفسه زندا (بالنون) ابن الجون. و أسلم مولاه فضايف، و له أيضا شعر، و كان في الصحابة.

أعفاه المنصور من لبس السواد و القلانس دون الناس:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلبيّ قال:

كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد و قلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، و أن يعلقوا السيوف في المناطق، و يكتبوا على

ظهورهم: **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزِّيِّ. فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شرّ حال، وجهي في نصفي، و سيفي في استي، و كتاب الله وراء ظهري، و قد صبغت بالسُّواد ثيابي، فضحك منه و أعفاه وحده من ذلك، و قال له: إِيَّاكَ أَنْ يَسْمَعَ هَذَا مِنْكَ أَحَدٌ.

و نسخت من كتاب لابن النطّاح فذكر مثل هذه القصة سواء و زاد فيها:

و كُنَّا نرَجِّي من إمام زيادة # فجاد بطول زاده في القلانس
 تراها على هام الرجال كأثها # دنان يهود جَلَّت بالبرانس
 فضحك منه و أعفاه.

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج في الطلب إلى أشياء كثيرة:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النحويّ قال حدّثني الجاحظ قال: كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفا-و أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة أنه كان واقفا بين يدي السّفاح-فقال له: سلني حاجتك. قال أبو دلامة: كلب أ تصيّد به. قال: أعطوه إيّاه. قال: و دابّة أ تصيّد عليها.

قال: أعطوه. قال: و غلام يصيد بالكلب و يقوده. قال: أعطوه غلاما. قال: و جارية تصلح لنا الصّيد و تطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بدّ لهم من دار يسكنونها. قال: أعطوه دارا تجمعهم. قال: فإن لم تكن لهم ضيعة فمن أين/يعيشون! قال: قد أعطيتك مائة جريب[1] عامرة و مائة جريب غامرة. قال: و ما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه. فقال: قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسماية ألف جريب عامرة من فيافي بني أسد. فضحك و قال: اجعلوها كلّها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبّل يدك. قال: أمّا هذه فدعها. قال: و الله ما منعت عيالي شيئا أقلّ ضررا عليهم منها. قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة و لطفه فيها: ابتداء بكلب فسهّل القصة به، و جعل يأتي بما يليه على ترتيب و فكاها، حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل إليه.

كني باسم جبل بمكة:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني السّكّريّ عن محمد بن حبيب قال: اسم/أبي دلامة زند بالنون، و من الناس من يرويه بالياء، و كنيّ أبا دلامة باسم جبل بمكة يقال له أبو دلامة، كانت قريش تتدّ فيه البنات في الجاهليّة؛ و هو بأعلى مكة.

أنشد المنصور شعرا فأجاره:

و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة، و أخبرني عمّي قال حدّثني الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجْدَّ الْبَيْنِ فَانْتَجَعُوا[2] # وَ زُوْدُوْكَ خَبَالًا بئْسَ مَا صَنَعُوا
وَ اللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّ كَادَتْ لِبَيْنِهِمْ # يَوْمَ الْفِرَاقِ حِصَاةَ الْقَلْبِ تَنْصَدِعُ
عَجِبْتَ مِنْ صَبِيْتِي يَوْمَا وَ أُمَّهُمْ # أُمَّ الدَّلَامَةِ لَمَّا هَاجَهَا الْجَزْعُ
لَا بَارِكُ اللّٰهُ فِيْهَا مِنْ مَّنْبُئَةٍ # هَبَّتْ تَلُومَ عِيَالِيْ بَعْدَ مَا هَجَعُوا

[1]الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف و ستمائة ذراع، و قيل: عشرة آلاف
ذراع.

[2]كان الأفضل أن يكون «أجدوا البين فانتجعوا» ليتفق الضميران.
على أنه يجوز أن يكون ضمير «الخليط» منفردا و جمعا.

و نحن مشتبهو الألوان أوجهنا # سود قباح و في أسمائنا شنع
إذا تشكّكت إليّ الجوع قلت لها # ما هاج جوعك إلا الرّيّ و الشّبع

/- و يروى و هو الجيّد:

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا # على الخليفة منه الرّيّ و الشّبع
لا و الذي يا أمير المؤمنين قضى # لك الخلافة في أسبابها الرّفيع
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله # دوني و دون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأة في بطنها ثجل # و في المفاصل من أوصالها فدع[1]
ذكّرتها بكتاب الله حرمتنا # و لم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت[2] ثم قالت و هي مغضبة # أنت تتلو كتاب الله يا لكع
اخرج لتبغ لنا مالا و مزرعة # كما لجيراننا مال و مزدرع
و اخدع خليفتنا عنها بمسألة # إنّ الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر و قال: أرضوها عنيّ و اكتبوا له بمائتي جريب عامرة
و مائتي جريب غامرة- و قال الهيثم: يستمائة جريب عامرة و غامرة- فقال
له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة و
الّجف، و إن شئت زدتك. فضحك و قال: اجعلوها كلّها عامرة.

**شهد عند ابن أبي ليلي لجارة له و قال شعرا فأمضى ابن أبي
ليلى شهادته:**

حدّثني محمد بن أحمد بن الطّلاس قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرزّاز
عن المدائنيّ قال: شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن أبي ليلي[3] على
أتان نازعها فيها رجل. فلما فرغ من الشهادة قال: اسمع ما قلت فيك قبل
أن آتيك ثم اقض ما شئت. قال: هات؛ فأنشده: /

إن الناس غطّوني تعطيّت عنهم # و إن بحثوا عنيّ ففيهم مباحث

و إن حفروا بئري حفرت بئارهم # ليعلم يوما كيف تلك الثّبائث

ثم أقبل على المرأة فقال: أ تبيعينني الأتان؟ قالت نعم. قال: بكم؟
قالت: بمائة درهم. قال: ادفعوها إليها ففعلوا. و أقبل على الرجل فقال: قد
وهبتها لك، و قال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك و لم أبحث عنك، و ابتعت
ممنّ شهدت له، و وهبت ملكي لمن رأيت. أرضيت؟ قال نعم، و انصرف.

شرب مع السيد الحميري أو أبي عطاء السندي فدم ابنته و أخبر المنصور فأكرمه:

/أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف قال حدّثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا محمد بن سلام عن عليّ بن إسماعيل قال: [1]الثجل: عظم البطن و استرخاؤه. و الفدع: الاعوجاج.

[2]اخرنطمت: رفعت أنفها و استكبرت و غضبت.

[3]هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي قاضي الكوفة. أوّل من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي و استقضاه بعد ذلك بنو العباس.

كنت أسقي أبا دلامة و السيّد، إذ خرجت بنت لأبي دلامة، فقال فيها أبو دلامة: فما ولدتك مريم أم عيسى # و لا ربّك لقمان الحكيم
أجزيا أبا هاشم. فقال السيد[1]:

و لكن قد تضمك أمّ سوء # إلى لبّاتها و أب لئيم

فضحك لذلك. ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فألفاه في الرّحبة يصلح فيها شيئاً يريد، فأخبره بقصّة بنته و أنشده البيتين، ثم اندفع فأنشده بعدهما: لو كان يقعد فوق الشمس من كرم # قوم لقيلا اقعديا يا آل عبّاس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلّم # إلى السماء فأنتم أظهر الناس

و قدّموا القائم المنصور رأسكم # فالعين و الأنف و الأذنان في الرأس

/فاستحسنها، و قال له: بأيّ شيء تحبّ أن أعينك على قبح ابنتك هذه؟ فأخرج خريطة قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لي هذه دراهم، فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم.

و قد أخبرني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: دخل أبو عطاء السنديّ يوماً إلى أبي دلامة فاحتبسه عنده، و دعا بطعام فأكلا و شبعوا، و خرجت إلى أبي دلامة صبيّة له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبذها عن كتفه، ثم قال: بللت عليّ-لا حيّيت-ثوبي # فبال عليك شيطان رجيم

فما ولدتك مريم أمّ عيسى # و لا ربّك لقمان الحكيم

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجز. فقال:

صدقت أبا دلامة لم تلدها # مطهّرة و لا فحل كريم

و لكن قد حوتها أمّ سوء # إلى لبّاتها و أبّ لئيم

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله! ما حملك على أن بلغت بي هذا كلّه! و الله لا أنزعك بيت شعر أبدا.

فقال أبو عطاء: لأن يكون الهرب من جهتك أحبّ إليّ.

**رثى السفاح عند المنصور فغضب و أراد إخراجه إلى الحرب
فاسترضاه:**

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدّثني أبي قال: لمّا توفّي أبو العبّاس السفّاح

دخل أبو دلامة على المنصور و الناس عنده يعزّونه؛ فأنشأ أبو دلامة يقول:
أمسيت بالأنبار يا ابن محمد # لم تستطع عن عقرها تحويلا

[1]كذا في ح. و في سائر النسخ: «السندي». و قد رجحنا رواية ح
لأن أبا هاشم كنية السيد الحميري. و سيأتي في الصفحة التالية هذا الخبر
بين أبي دلامة و أبي عطاء السندي. فلعل ذلك هو الذي أوقع النساخ في هذا
اللبس.

ويلي عليك أهلي كلهم # وبلا و عولا في الحياة طويلا
 /فلتبكيين لك النساء بعبرة # و ليبيكين لك الرجال عويلا
 مات التدي إذ مت يا ابن محمد # فجعلته لك في الثراء [1]عديلا
 إني سألت الناس بعدك كلهم # فوجدت أسمح من سألت بخيلا
 أ لشقوتي أشرت بعدك للتي # تدع العزيز من الرجال ذليلا
 /فلأحلفن يمين حق برة # بالله ما أعطيت بعدك سولا [2]

قال: فأبكى الناس قوله. فغضب المنصور غضبا شديدا و قال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك. فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرما و هو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: **لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**. فسري عن المنصور و قال: قد أقلناك يا أبا دلامة، فسل حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم و خمسين ثوبا و هو مريض و لم أقبضها. فقال المنصور: و من يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء، و أشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مجالد و أبو الجهم فقالا: صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن و هو مغيظ: يا سليمان ادفعها إليه و سيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن علي [3])، و قد كان خرج بناحية الشام، و أظهر الخلاف). فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، إني أعيدك بالله أن أخرج معهم، فو الله إني لمشتوم. فقال المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك فاخرج.

/فقال: و الله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر؛ فإني لا أدري أيهما يغلب: أ يملك أم شؤمي، إلا أني بنفسي أوثق و أعرف و أطول تجربة. قال: دعني من هذا فمالك من الخروج بد. فقال: إني أصدقك الآن، شهدت و الله تسعة عشر عسكرا كلها هزمت؛ و كنت سبها. فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل. فاستغرب [4]أبو جعفر ضحكا، و أمره أن يتخلف مع عيسى [5]بن موسى بالكوفة.

أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح:

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: لما مات أبو العباس السفاح و ولي المنصور، دخل عليه أبو

دلامة، فقال له أبو جعفر: أ لست القائل لأبي العباس: [1]الثراء: لغة في الثري. و سيرد في الصفحة التالية رواية أخرى: «بالتراب» .

[2]السول (يهمز و لا يهمز) : ما سألته.

[3]هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة المنصور، خرج عليه سنة ست و ثلاثين و مائة و دعا لنفسه؛ فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني و وقعت له معه وقعة هائلة دارت فيها الدائرة أخيرا على عبد الله.

[4]أي أكثر من الضحك و بالغ فيه.

[5]هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي الهاشمي العباسي أمير الكوفة. و كان ولي عهد المنصور بعهد من السفاح ثم قدّم المنصور عليه في ولاية العهد ابنه المهدي، ثم خلعه المهدي من ولاية العهد.

و كُنَّا بِالْخَلِيفَةِ قَدْ عَقَدْنَا # لَوَاءِ الْأَمْرِ فَاتَّقِضِ اللُّوَاءَ

فَنَحْنُ رَعِيَّةٌ هَلَكْتَ ضِيَاعًا # تَسُوقُ بِنَا إِلَى الْفِتَنِ الرَّعَاءِ

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبت و الله! أ فليست القائل:
هلك الندى إذ بنت يا ابن محمد # فجعلته لك في التراب عديلا

و لقد سألت الناس بعدك كلهم # فوجدت أكرم من سألت بخيلا

و لقد حلفت على يمين برة # بالله ما أعطيت بعدك سولا

فقال أبو دلامة: إن أخاك صلى الله عليه غلبنى على صبري، و سلبنى عزيمتي، و عزني بإحسانه إليّ و جزعي عليه، فقلت ما لم أتأمله، و إنني أرغب في الثمن فاستغره السلعة حيا و ميتا. فإن أعطيت ما أعطى، أخذت ما أخذ. فأمر به فحبس ثلاثا ثم خلّى سبيله و دعاه إليه فوصله، ثم عاد له إلى ما كان عليه.

أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثني أبو دلامة قال: أتني بي المنصور أو المهديّ و أنا سكران، فحلف ليخرجني/في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم[1] المهلبيّ لقتال الشّراة[2]. فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما و الله لو أنّ تحتي فرسك و معي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه. فضحك و قال: و الله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك، و لأخذنّك بالوفاء بشرطك. و نزل عن فرسه و نزع سلاحه و دفعهما إليّ، و دعا بغيرهما فاستبدل به. فلما حصل ذلك في يدي و زالت عني حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، و قد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات، فأنشدته: إنني استجرتك أن أقدم في الوعى # لتطاعن و تنازل و ضراب

فهب السيوف رأيتها مشهورة # فتركتها و مضيت في الهراب

ما ذا تقول لما يجيء و ما يرى # من واردات الموت في النّشاب

فقال: دع عنك هذا و ستعلم. و برز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة.

فقلت: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. قال: و الله لتخرجني. فقلت: أيها الأمير فإنه أوّل يوم من الآخرة. و آخر يوم من الدنيا، و أنا و الله جاع ما شبعت منّي جارحة من الجوع، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج. فأمر لي

برغيفين و دجاجة، فأخذت ذلك و برزت عن الصفّ. فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فرو و قد أصابه المطر فابتلّ، و أصابته الشمس فاقفعل^[3] و عيناه تقدان، فأسرع إليّ. /فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت، فوقف.

فقلت: أ تقتل من لا يقاتلك؟ قال لا. قلت: أ تقتل رجلا على دينك؟ قال لا. قلت: أ فتستحلّ ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني إلي لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة، أو تعرفني بحال تحفظك عليّ، أو تعلم بين أهلي و أهلك وترا؟ قال: لا و الله.

[1] هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، ولي إفريقية و البصرة و غيرهما، و كان جليلا شجاعا جوادا.

[2] الشراة: الخوارج.

[3] كذا في ح. و اقفعل: تقبض. و في سائر النسخ: «فانفعل». هو

تحريف.

قلت: و لا أنا و الله لك إلا جميل الرأي، و إني لأهواك و أنتحل مذهبك و أدين دينك و أريد السوء لمن أرادك لك.

قال: يا هذا جزاك الله خيرا فانصرف. قلت: إنَّ معي زادا أحبُّ أن آكله معك، و أحبُّ مواكلتك لتتوكّد الموّدّة بيننا، و يرى أهل العسكر هوانهم علينا. قال: فافعل. فتقدّمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا و جمعنا أرجلنا على معارفها و الناس قد غلبوا ضحكا. فلما استوفينا ودّعني. ثم قلت له: إنَّ هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني و تتعب. فإن رأيت ألاّ تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت، ثم انصرف و انصرفت.

فقلت لروح: أمّا أنا فقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك، فأمسك. و خرج آخر يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه. فقلت[1]: إني أعوذ بروح أن يقدمني # إلى البراز فتخزي بي بنو أسد

إنَّ البراز إلى الأقران أعلمه # مما يفرّق بين الروح و الجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت[2] لها # و أصبحت لجميع الخلق بالرّصد
إنَّ المهلب حبّ الموت أورثكم # و ما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أنّ لي مهجة أخرى لجدت بها # لكنّها خلقت فردا فلم أجد

فضحك و أعفاني.

أ أمره مروان بن محمد بمبارزة خارجي ففر منه:

أخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة: كنت/في عسكر مروان[3] أيام زحف إلى سنان الخارجي. فلما التقى الزّحفان خرج منهم رجل فنادى: من يبارز! فلم يخرج إليه أحد إلاّ أعجله و لم ينهه[4]. فغاض ذلك مروان و جعل يندب الناس على[5] خمسمائة، فقتل أصحاب الخمسمائة، فزاد مروان و ندبهم على ألف، و لم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم. و كان تحتي فرس لا أخاف خونه؛ فلما سمعت بالخمسة[6] آلاف ترقّيته[7] و اقتحمت الصّفّ. و اقتحمت الصّفّ. فلما نظرني الخارجي علم أنّي خرجت للطمع؛ فأقبل إليّ متهيّئا و إذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتلّ، ثم أصابته الشمس فأفعل، و إذا عيناه تقدان كأنّهما من غورهما في وقبين[8]. فلما دنا منّي أنشأ يقول: [1]وردت هذه الأبيات في «وفيات الأعيان» لابن خلكان هكذا: إني أعوذ بروح أن يقدمني # إلى القتال فيخزي بي بنو أسد

إن المهلب حب الموت أورثكم # و لم أرث أنا حب الموت من أحد

إن الدنوّ إلى الأعداء أعلمه # مما يفرق بين الروح و الجسد

- [2] في الأصول: «إن صدمت» و هو تحريف.
- [3] يعني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.
- [4] نههه: كفه و زجره. و سياق الكلام يقتضي أن يكون «و لم يمهل»
- [5] في الأصول: «عن» .
- [6] هذه لغة ضعيفة و أفصح اللغات: «بخمسة الآلاف» .
- [7] ترقبته: رصدته.
- [8] الوقب هنا: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

و خارج أخرجه حبّ الطّمع # فرّ من الموت و في الموت وقع
من كان ينوي أهله فلا رجع

فلمّا و قرت في أذني انصرفت عنه هاربا. و جعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ ائتوني به، فدخلت في غمار الناس فنجوت.

أعطاه موسى بن داود مالا ليحج معه فهرب إلى السّواد و سكر بالمال:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين اللّهيّ قال: /عزم موسى بن داود بن عليّ الهاشميّ [1] على الحج. فقال لأبي دلامة: احجج معي و لك عشرة آلاف درهم. فقال: هاتها! فدفعت إليه، فأخذها و هرب إلى السّواد، فجعل ينفقها هناك و يشرب بها الخمر. فطلبه موسى فلم يقدر عليه، و خشي فوت الحج فخرج. فلمّا شارف القادسيّة إذا هو بأبي دلامة خارجا [2] من قرية إلى أخرى و هو سكران، فأمر بأخذه و تقييده و طرحه في محمل بين يديه ففعل ذلك به. فلمّا سار غير بعيد أقبل على موسى و ناداه: يا أيّها الناس قولوا أجمعون [3] معا # صلى الإله على موسى بن داود

كأنّ دياجتي خدّيه من ذهب # إذا بدا لك في أثوابه السّود

إبّي أعوذ بداود و أعظمه # من أن أكلف حجّا يا ابن داود

خبّرت أنّ طريق الحجّ معطشة # من الشراب و ما شرّبي بتصريد [4]

و الله ما فيّ من أجر فتطلبه # و لا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى: ألقوه لعنه الله عن المحمل و دعوه ينصرف، فألقي و عاد إلى قصفه بالسّواد، حتى نفدت العشرة آلاف [5] درهم.

أمره المنصور بملازمة الجماعة في مسجد القصر فقال شعرا يستعفيه:

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير عن جعفر بن الحسين اللّهيّ، و أخبرني عمّي عن الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال [6]: قال أبو أيّوب الموريانيّ لأبي جعفر، و كان يشنأ أبا دلامة، : إنّ أبا دلامة معتكف على الخمر فما يحضر [1] هو ابن عم السفاح، كان أبوه داود أمير مكة و المدينة، و استخلف حين احتضر على عمله ولده موسى. فاستعمل السفاح خاله زيادا على مكة، و موسى بن داود هذا على إمرة المدينة.

- [2] في الأصول: «خارج» .
- [3] في الأصول المخطوطة: «أجمعين» .
- [4] صرد شربه: قطعه.
- [5] راجع الحاشية رقم 4 في الصفحة السابقة.
- [6] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «قال» و هو تحريف.

صلاة و لا مسجدا، و قد أفسد فتیان العسكر. فلو أمرته/بالصلاة معك لأجرت فيه و في غيره من فتیان عسكرك بقطعه عنهم. فلما دخل عليه أبو دلامة قال له: يا ابن اللخناء، ما هذا المجون الذي يبلغني عنك!. قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما أنا و المجون و قد شارفت باب قبري!. قال: دعني من استكانتك و تضرّعتك، و إياك أن تفوتك صلاة الظهر و العصر في مسجدي. فلئن فاتتاك لأحسننّ أدبك و لأطيلنّ حبسك. فوقع في شرّ و لزم المسجد أياما، /ثم كتب قصّته و دفعها إلى المهديّ فأوصلها إلى أبيه، و كان فيها: أ لم تعلما أنّ الخليفة لرتي [1] # بمسجده و القصر ما لي و للقصر!

أصلّي به الأولى جميعا و عصرها # فويلي من الأولى و ويلي [2] من العصر

أصلّيهما بالكره في غير مسجدي # فمالي في الأولى و لا العصر من أجر

لقد كان في قومي مساجد جمّة # سواه و لكن كان قدرا من القدر

يكلّفني من بعد ما شئت خطّة # يحطّ بها عنّي الثقل من الوزر

و ما ضرّه و الله يغفر ذنبه # لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

قال: فلما قرأ المنصور قصّته ضحك و أعفاه من الحضور معه، و أحلفه أن يصلّي الصلاة في مسجد قبيلته.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمّه، و نسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخزاز [3] عن أبيه عن الهيثم بن عديّ و روّاه بعض من روى عن الزبير.

إنّ أبا جعفر كان يحبّ العبث بأبي دلامة-و قال الآخر: إنّ أبا العباس السّفاح كان يحبّ ذلك-فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه. فعاتبه/على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفا أن تملني.

فعلم أنه يحاجزه [4]، فأمر الربيع أن يوكل به من يحضره الصلوات معه في جماعة في الدار. فلما طال ذلك عليه قال: أ لم تر يا أنّ الخليفة لرتي # بمسجده و القصر ما لي و للقصر!

فقد صدّني عن مسجد أستلّده # أعللّ فيه بالسّماع و بالخمير

و كلّفني الأولى جميعا و عصرها # فويلي من الأولى و عولي من العصر

أصلّيهما بالكره في غير مسجدي # فمالي من الأولى و لا العصر من أجر

يكلّفني من بعد ما شئت توبة # يحطّ بها عني المئاقيل من وزري

لقد كان في قومي مساجد جمّة # و لم ينشرح يوما لغشيانها صدري

و واللّٰه ما لي نيّة في صلّاته # و لا البرّ و الإحسان و الخير من أمري
و ما صنّره و اللّٰه يغفر ذنبه # لو انّ ذنوب العالمين على ظهري

[1]لزه بكذا: ألزمه إياه.

[2]في جـ: «وعولي» .

[3]في حـ: «الخرزي» . و في أ، م: «الخرازي» .

[4]يعني: يتخلص منه و ينتحل المعاذير الباطلة لانقطاعه عنه.

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب إلى ربيعة شعرا يستشفع بها للمهدي:

فبلغته الأبيات فقال: صدق! ما يضرني ذلك، و الله لا يصلح هذا أبدا، فدعوه يعمل ما يشاء. و قال الهيثم في خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيناك من هذه الحال، و لكن على ألا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل[1]. فقال: أفعل. قال: إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك. و و الله لئن فعلت لأحدتكَ. فقال أبو دلامة: البليّة في شهر أصلح منها في طول الدهر، سمعا و طاعة. فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد. و كان المهديّ يبعث إليه في كل ليلة حرسيا يجيء به؛ فشوق ذلك عليه، و فزع إلى الخيزران و أبي عبيد[2] الله و كل من كان يلوذ بالمهديّ ليشفعا له في الإعفاء/من القيام، فلم يجبهم. فقال له أبو عبيد الله: الدالّ على الخير كفاعله، فكيف شكرك؟ قال: أتم شكر. قال: عليك بريطة[3] فإنه لا يخالفها. قال: صدقت و الله، /ثم رفع إليها رقعة يقول فيها: أبلغا ربيعة أتي # كنت عبدا لأبيها

فمضى يرحمه الله # ه و أوصى بي إليها
و أراها نسيّتي # مثل نسيان أخيها
جاء شهر الصّوم يمشي # مشية ما أشتيها
قائدا لي ليلة القدر # ركّأني أبتغيها
تنطح القبلة شهرا # جبهتي لا تأتليها
و لقد عشت زمانا # في فيافيّ وجيها
في ليال من شتاء # كنت شيخا أصطليها
قاعدا أوقد نارا # لضباب أشتويها
و صبح و غبوق # في غلاب[4]أحتسيها
ما أبالي ليلة القدر # ر و لا تسمعنيها[5]
فاطلبي لي فرجا مند # ها و أجري لك فيها

فلما قرأت الرّقعة ضحكت و أرسلت إليه: اصطبر حتى تمضي ليلة القدر. فكتب إليها: إنني لم أسألك أن تكلميه في إعفائي عاما قابلا؛ و إذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر. و كتب تحتها أبياتا: /

خافي إلهك في نفس قد احتضرت # قامت قيامتها بين المصلينا

[1]أظل: غشى و أشرف و أقبل.

[2]هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار الأشعري الكاتب الوزير. كان من رجالات المنصور ثم المهدي. عزله المهدي عن الوزارة ثم جعله على ديوان الرسائل، ثم عزله عنه سنة 167 هـ.

[3]ربطة: هي ابنة الخليفة أبي العباس السفاح و زوجة المهدي.

[4]الغلاب: جمع غلبة و هي قذح ضخم من جلود الإبل أو هي قذح من خشب.

[5]لا هنا نافية، و هو خبر يراد به النهي.

ما ليلة القدر من همّي فأطلبها # إني أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا # يا ليلة القدر حقًا ما تمّينا!؟
لا بارك الله في خير أوّمله # في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكت، و دخلت إلى المهديّ فشفت له إليه، و أنشدته الشعرين، فضحك حتى استلقى، و دعا به و ربطة معه في الحجة [1] فدخل؛ فأخرج رأسه إليه و قال: قد شقّعنا ربطة فيك، و أمرنا لك بسبعة آلاف درهم. فقال: أمّا شفاعة سيّدتني فيّ حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار. و أمّا السبعة الآلاف فما أعجبتني ما فعلته؛ إمّا أن تتمّها بثلاثة آلاف فتصير عشرة، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإنّي لا أحسن حساب السبعة. فقال: قد جعلتها خمسة. قال: أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين و أنت أنت. فعبت به المهديّ ساعة ثم تكلمت فيه ربطة فأتّمها له عشرة آلاف درهم.

أنشد المهدي شعره في نخاس فضحك منه:

أخبرني الحسين بن عليّ عن حمّاد عن أبيه قال:

مرّ أبو دلامة بنخّاس يبيع الرقيق، فرأى عنده منهنّ من كل شيء حسن، فانصرف مهموما، فدخل إلى المهديّ فأنشده: إن كنت تبغي العيش حلوا صافيا # فالشعر أعزبه و كن نخّاسا

تتل الطرائف من ظراف نهّد # يحدثن كلّ عشية أعراسا
/و الريح فيما بين ذلك راهن # سمحا بيعك كنت أو مكّاسا [2]
دارت على الشعراء حرفة نوبة [3] # فتجرّعوا من بعد كأس كاسا
/و تسربلوا قمص الكساد فحاولوا # بالتّخس كسبا يذهب الإفلاسا

فجعل المهديّ يضحك منه.

لفق رؤيا للمنصور و أخذ منه ثيابا:

نسخت من كتاب ابن النطّاح قال:

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

رأيتك في المنام كسوت جلدي # ثيابا جمّة و قضيت ديني
فكان بنفسجيّ الخرّ فيها # و ساج [4] ناعم فأتّم زيني

[1] الحجة: بيت يزین بالثياب و الأسرة و الستور.

[2] مكس في البيع يمكس (من باب ضرب) : نقص الثمن. و المراد هنا المشاحة في البيع و الشراء.

[3] لعل صوابها: «نوبة حرفة» .

[4] الساج: الطيلسان الأخضر و قيل الأسود و قيل المقور ينسج كذلك، و في الأساس: «لبسوا السيجان و هي الطيالسة المدوّرة الواسعة» . -

فصدّق يا فدتك النفس [1] رؤيا # رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك و قال له: لا تعد أن تتحلّم [2] عليّ ثانية، فأجعل حلمك أضغاثا و لا أحققه.

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعرا فعفا عنه:

ثم خرج من عنده و مضى فشرّب في بعض الحانات فسكر و انصرف و هو يميل. فلقية العسس فأخذه، و قيل له: من أنت و ما دينك؟ فقال:

ديني على دين بنى العباس # ما ختم الطين على القرطاس

إني اصطبحت أربعا بالكاس # فقد أدار شربها براسي

فهل بما قلت لكم من باس

فأخذه و مضوا، و خرقوا ثيابه و ساجه و أتى به أبو جعفر- و كان يؤتى بكلّ من أخذه العسس- فحبسه مع الدجاج في بيت. فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرّة و جاريته أخرى فلا يجيبه أحد، و هو في ذلك يسمع صوت الدجاج و زقاة الديوك. فلما أكثر قال له السجّان: ما شأنك؟ قال: ويلك من أنت و أين أنا؟ قال: في الحبس، و أنا فلان السجّان. قال: و من حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: / و من خرق طيلسانني؟ قال: الحرس. فطلب منه أن يأتيه بدواة و قرطاس ففعل، فكتب إلى أبي جعفر: أمير المؤمنين فدتك نفسي # غلام حبستني و خرقت ساجي

أ من صفراء صافية المزاج # كأنّ شعاعها لهب السراج

و قد طبخت بنار الله حتّى # لقد صارت من التّطف [3] التّضاج

تهشّ لها القلوب و تشتهيها # إذا برزت [4] تترقق في الرّجاج

أقاد إلى السّجون بغير جرم # كأني بعض عمّال الخراج

و لو معهم حبست لكان سهلا # و لكنّي حبست مع الدّجاج

و قد كانت تخبرني ذنوبي # بأنّي من عقابك غير ناجي

على أني و إن لاقيت شرّا # لخيرك بعد ذاك الشّرّ راجي

فدعا به و قال: أين حبست يا أبا دلّامة؟ قال: مع الدّجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوقي معهنّ حتى أصبحت. فضحك و خلى سبيله و أمر له بجائزة. فلما خرج قال له الرّبيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أ ما سمعت قوله «و قد طبخت بنار الله» (يعني الشمس). فأمر برده ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟ قال لا. قال: أ فلم تقل «طبخت بنار الله» تعني

الشمس. قال: لا والله/ ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك و قال: خذها يا ربيع و لا تعاود التعرض.

[1] في ب، س: «الناس» .

[2] تحلم فلان: قال حلمت بكذا و هو كاذب.

[3] النطفة: الماء الصافي قل أو كثر.

[4] في أ، م: «برقت» . و ترقرق: تلاً أي تجيء و تذهب.

لفق رؤيا لثمار و أخذ منه تمرا:

قال ابن النطّاح: و مرّ أبو دلامة بتمّار بالكوفة فقال له: رأيتك أطعمتني في المنام # قواصر[1] من تمرّك البارحة

/فأمّ العيال و صبيانها # إلى الباب أعينهم طامحه

فأعطاه جلتّي[2] تمر و قال له: إن رأيت هذه الرؤيا ثانية لم يصحّ تفسيرها. فأخذهما و انصرف.

هنا المهدي بقدومه من الري فملا حجره دراهم:

و قال ابن النطّاح:

لما قدم المهديّ من الرّيّ دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول: إني نذرت
لئن رأيتك سالما # بقرى العراق و أنت ذو وفر

لتصليّ على النبيّ محمد # و لتملأنّ دراهما حجري

فقال: صلى الله عليه و سلم، و أمّا الدراهم فلا. فقال له: أنت أكرم
من أن تفرّق بينهما ثم تختار أسهلّهما. فأمر بأن يملأ حجره دراهم.

و مثل هذا و إن لم يكن منه ما حدّثني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن
الحارث عن المدائنيّ قال: قدم المهلب من بعض غزواته، فلقيته عجوز من
الأزد فقالت: أيّها الأمير، أسألك بالله و الرّحم إلاّ وقفت فوقف، فدنت و
قبّلت يده و قالت: هذا نذر كان عليّ، إني نذرت لله أن أقبل يدك إن
قدمت سالما و تهب لي أربعمئة درهم و جارية صغديّة تخدمني. فضحك و
قال: أمّا نحن فقد وقينا بنذرك؛ ادفعوا إليها ذلك، و إيّاك يا أمّاه و هذه
التّذور؛ فليس كلّ أحد يفى لك بها و ينشط لتحليلك منها.

ضجر من الصوم و الحر فكتب للمهدي شعرا فعجل جائزته:

قال ابن النطّاح:

و صام الناس في سنة شديدة الحرّ على عهد المهديّ، و كان أبو دلامة
يتنجز جائزة أمر له المهديّ بها.

فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحرّ و الصوم و هي: /

أدعوك بالرّحم التي هي جمّعت # في القرب بين قريتنا و الأبعد

إلاّ سمعت و أنت أكرم من مشى # من منشد يرجو جزاء المنشد

جاء الصيام فصمته متعبدا # أرجو رجاء الصائم المتعبّد

و لقيت من أمر الصيام و حرّه # أمرين قيسا بالعذاب المؤصد[3]

[1]قواصر: واحدها قوصرة، و هي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.

[2]الجلة (بالضم) : قفة كبيرة للتمر.

[3]المؤصد: المطبق.

و سجدت حتى جبهتي مشجوجة # ممّا يناطحني الحصى في المسجد

فامنن بتسريحي بمطلك بالذي # أسلفتني من البلاء المرصد

فلمّا قرأ المهديّ رقعته غضب و قال: يا عاصّ كذا من أمّه أيّ قرابة بيني و بينك؟! قال: رحم آدم و حواء، أنسيتهما يا أمير المؤمنين! فضحك و قال: لا و الله ما نسيتهما! و أمر بتعجيل ما أجاز به و زاد فيه. و أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخزاعيّ عن المدائنيّ و زاد فيه قال: و أنشده أيضا في ذمّ الصّوم: هل في البلاد لرزق الله مفترش # أم لا ففي جلده من خشنة برش

-يعني أنّ جلد الرّزق خشن الملمس [1] فهو يحترش [2] كما يحترش الصّبّ-الشّعر: أضحى الصّيام منيخا وسط عرصتنا # ليت الصيام بأرض دونها حرش [3]

إن صمت أوجعني بطني و أقلقني # بين الجوانح مسّ الجوع و العطش

و إن خرجت بليل نحو مسجدهم # أضرنّي بصر قد خانه العمش

عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح فأضحكها:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ عن أحمد بن زهير عن الزبير عن عمّه، و نسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيديّ في خبره: /دخل أبو دلّامة على ريطة بعد وفاة المهديّ، و قال ابن النطاح: دخل على أمّ سلمة [4] بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس، و هو الصحيح، فعزّاه به و بكى و بكت معه، ثم أنشدها: من مجمل في الصبر عنك فلم يكن # صبري عليك غداة بنت جميلا

يجدون أبدالاً به و أنا امرؤ # لو متّ وجدا ما وجدت بديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم # فوجدت أجود من سألت بخيلا

فقال أمّ سلمة: لم أر أحدا أصيب به غيري و غيرك يا أبا دلّامة. فقال: و لا سواء يرحمك الله، لك منه ولد و ما ولدت أنا منه. فضحكت- و لم تكن منذ مات أبو العباس ضحكت إلا ذلك الوقت- و قالت له: لو حدّث الشيطان لأضحكته.

خدع المهدي بموت زوجته و خدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما:

أخبرنا محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضّحّاك قال: دخل أبو دلامة على المهديّ و هو يبكي. فقال له: مالك؟ قال: ماتت أمّ دلامة، و أنشدته لنفسه فيها: [1] في الأصول: «الملبس» بالباء.

[2] احترش الضب و حرشه: صاده، و هو أن يحرك يده على حجرة لظنه حية فيخرج ذنبه ليضر بها فيأخذه. و منه المثل: «أ تعلمني بضب أنا حرشته» يخاطب به العالم بالشيء من يريد تعليمه.

[3] الحرش (بالتحريك) لغة: الخشونة. يتمنى لو كان بينه و بين الصوم من غلظ الأرض و خزونها ما يحول دونه.

[4] أم سلمة: هي أم سلمة المخزومية امرأة الخليفة أبي العباس السفاح، و تزوجها بعده عبد الله بن عبد الحميد المخزومي. (انظر «الأغاني» ج 4 ص 335 من هذه الطبعة).

و كُتِبَ كزوج من قِطَا مفازة # لدى خفض عيش ناعم مؤنق رعد
فأفردني رب الزمان بصرفه # و لم أر شيأ قط أوحش من فرد

فأمر له بثياب و طيب و دنانير، و خرج. فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أنّ أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، و خرجت. فلما التقى المهديّ و الخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك و يعجبان منه.

فرض له المنصور على كل هاشمي عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فدّمه:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة، و نسخت أنا من كتاب ابن النطّاح قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

أما وربّ العاديات ضيحا[1] # حقًا و ربّ الموريات قدحا

إنّ المغيرات عليّ صبحا # و الناكثات[2] من فؤادي قرحا[3]

عشر ليال بينهن ضيحا[4] # يجلفن[5] مالي كلّ عام صبحا

فقال له أبو جعفر: و كم تذيح يا أبا دلامة؟ قال: أربعا و عشرين شاة. ففرض له على كل هاشميّ أربعة و عشرين دينارًا، فكان يأخذها منهم. فأتى العباس بن محمد في عشر الأضحى يتنجزها. فقال: يا أبا دلامة، أليس قد مات ابنك؟ قال بلى. قال: انقصوه دينارين. قال: أصلح الله الأمير لا تفعل، فإنه ترك عليّ ولدين.

فأبى إلا أن ينقصه. فخرج و هو يقول:

أخطاك ما كنت ترجوه و تأمله # فاغسل يدك من العباس بالياس

و اغسل يدك بأشنان[6] فأنقهما # مما تؤمّل من معروف عباس

جزاك ربك يا عباس عن فرج # جئت عدن و عني جزرتي[7] آس

/فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، و اغتاض على العباس، و أمره بأن يبعث إليه بأربعة و عشرين دينارًا أخرى.

هذه رواية يزيد.

قيل إن هذه القصة مع علي بن صالح:

و أمّا ابن النطّاح فإنه ذكر أن الذي نقصه/الدينارين عليّ بن صالح و قال له: إنما نقصتك دينارين لموت ابنك دلامة. فحلف ألا يأخذ إلا خمسين

دينارا، ثم قام مغضبا؛ فأتبعه الرسول فأعطاه إياها. فقال له: [1]الضح:

صوت أنفاس الخيل إذا عدت ليس بصهيل و لا حممة.

[2]نكأ القرح: قشره قبل أن يبرأ فيندي. و قد وردت هذه الكلمة في الأصول محرفة؛ ففي حـ: «الناكثات» . و في أ، م: «الناكثات» .

و في ب، س: «الفاتكات» .

[3]في الأصول: «قدحا» بالدال، و هو تحريف.

[4]في أ، م: «صباحا» بالصاد المهملة. و هي في كلتا صورتها غير واضحة.

[5]يجلفن: يستأصلن. و في ب، س: «يتلفن» . و في سائر الأصول. «يجلفن» بالحاء المهملة. و هو مصحف عما أثبتناه، كما يحتمل أن يكون مصحفا عن «يجلقن» بالقاف بمعنى يستأصلن أيضا.

[6]الأشنان (بالضم): حمض تغسل به الأيدي.

[7]الجرزة: الحزمة.

أولى [1] له. أمّا ما سبق فلا حيلة فيه، و المستأنف فقد أمنه. و قد كان قال فيه: لعليّ بن صالح بن عليّ # نسب لو يعينه بسماح

و بنو مالك كثير و لكن # ما لنا في بقائهم من فلاح

غير فضل فإنّ للفضل فضلا # مستبيناً على قريش البطاح

تخاصم إلى عافية القاضي و داعبه:

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ قال: خاصم رجل أبا دلامة في داره، فارتفعا إلى عافية القاضي؛ فأنشأ أبو دلامة يقول: لقد خاصمتني دهاة الرّجال # و خاصمتها سنة وافية

فما أدحض الله لي حجّة # و لا خيب الله لي قافية

و من خفت من جوره في القضاء # فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية: أما و الله لأشكوّك إلى أمير المؤمنين و لأعلمّته أنك هجوتني. قال: إذا يعزلك. قال: و لم؟ قال: لأنك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصور فضحك و أمر لأبي دلامة بجائزة.

أمره المهدي بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه:

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

دخل أبو دلامة على المهديّ و عنده إسماعيل بن محمد و عيسى بن موسى و العباس بن محمد و محمد بن إبراهيم الإمام و جماعة من بني هاشم. فقال له: أنا أعطيت الله عهداً لئن لم تهج واحدا ممّن في البيت لأقطعنّ لسانك- و يقال إنه قال: لأضربنّ عنقك- فنظر إليه القوم، فكلما نظر إليّ واحد منهم غمزه بأنّ عليه رضاه. قال أبو دلامة: فعلمت أنّي قد وقعت و أنها عزمة من عزماته لا بدّ منها، فلم أر أحداً أحقّ بالهجاء منّي، و لا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت: ألا أبلغ إليك أبا دلامه # فليس من الكرام و لا كرامه

إذا لبس العمامة كان قرداً # و خنزيراً إذا نزع العمامة

جمعت دمامة و جمعت لؤماً # كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا # فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم و لم يبق منهم أحد إلاّ أجازه.

**قال شعرا في المهدي و علي بن سليمان و قد خرجا للصيد
فأصاب الأوّل و أخطأ الثاني:**

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال: [1]أولى
له: معناها: التهدد و التوعد.

خرج المهديّ و عليّ بن سليمان إلى الصّيد، فسمح لهما قطع من طباء، فأرسلت الكلاب و أجريت الخيل، فرمى المهديّ ظيبا بسهم فصرعه، و رمى عليّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دلّامة: قد رمى المهديّ ظيبا # شكّ بالسهم فؤاده

و عليّ بن سليما # ن رمى كلبا فصاده

فهنيئا لهما كلّ # امرئ يأكل زاده

/فضحك المهديّ حتى كاد أن يسقط عن سرجه، و قال: صدق و الله أبو دلّامة، و أمر له بجائزة/سنّية.

أخبرني بهذا الخبر عمّي عن الكرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ فذكر مثل ما ذكره و قال فيه: فلُقّب عليّ بن سليمان «صائد الكلب» و علق به.

أنشد المنصور شعرا فأعطاه دارا و كسوة ثم احتاج إلى الدار و عوّضه بدلها:

قال ابن النطّاح: و أنشد أبو دلّامة المنصور يوما: هاتيك والدتي عجوز همّة [1] # مثل البليّة درعها في المشجب [2]

مهزولة اللّحين [3] من يرها يقلّ # أبصرت غولا أو خيال القطرب [4]

ما إن تركت لها و لا لآبن لها # مالا يؤمّل غير بكر أجب

و دجانجا [5] خمسا يرحن إليهم # لّمّا يبضن و غير غير [6] مغرب

كتبوا إليّ صحيفة مطبوعة [7] # جعلوا عليها طينة كالعقرب

فعلمت أنّ الشّرّ عند فكاكها # ففككتها عن مثل ربح الجورب

و إذا شبيهه بالأفاعي رقّشت # يوعدنني بتلمّظ و تنوّب [8]

يشكون أنّ الجوع أهلك بعضهم # لزبا [9] فهل لك في عيال لربّ

لا يسألونك غير طلّ سحابة # تغشاهم من سيلك المتحلّب

يا باذل الخيرات يا ابن بذولها # و ابن الكرام و كلّ قرم منجب

أنتم بنو العباس يعلم أئكم # قدما فوارس كلّ يوم أشهب

[1] الهمة: العجوز الفانية.

[2] المشجب (و مثله الشجاب) : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب و تنشر. يريد أن أمه فنيّت حتى أشهت خشبات المشجب.

[3] اللحي: عظم الحنك و هو الذي عليه الأسنان.

[4] القطرب هنا: ذكر الغيلان أو الصغير من الجن.

[5] يجوز في تابع المستثنى بغير مراعاة اللفظ و مراعاة المعنى. و قد روعي هنا المعنى.

[6] العير (بالفتح) : الحمار. و المغرب: الذي اشتد بياضه حتى نبيض محاجره و أرفاغه.

[7] مطبوعة: مختومة.

[8] في الأصول «و ثاؤب» و يقال لغة ثاءب و ثأب التضعيف. و قد آثرنا الثانية لأنه على رواية الأصول تكون في القافية ألف الأساس، و إذا كانت لزمت في القصيدة كلها.

[9] اللزب (بالتحريك) : ضيق العيش.

أحلاس[1] خيل الله و هي مغيرة # يخرجن من خلل الغبار الأذهب[2]

قال: فأمر له بدار يسكنها و كسوة و دراهم. و كانت الدار قريبة من قصره، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله: يا ابن عمّ النبيّ دعوة شيخ # قد دنا هدم داره و دماره

فهو كالمأخض التي اعتادها الطلّ # ق فقّرت و ما يقّرّ قراره

إن تحز عسره بكفّيك يوما # فبكفّيك عسره و يساره

أو تدعه فليلبوار، و أتى # و لما ذا و أنت حيّ بواره

هل يخاف الهلاك شاعر قوم # قدمت في مديحهم أشعاره

لكم الأرض كلّها فأعبروا # شيخكم ما احتوى عليه جداره

فكأن قد مضى و خلّف فيكم # ما أعرتم و أقفرت منه داره

فاستعبر المنصور، و أمر بتعويضه دارا خيرا منها و وصله.

عابه عند المهدي محرز و مقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته:

قال ابن النطاح:

و دخل أبو دلامة على المهديّ و عنده محرز و مقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة و يعيبانه عنده.

فقال أبو دلامة:

ألا أيّها المهديّ هل أنت مخبري # و إن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي

أ لم ترحم اللّحيين من لحيتهما # و كلتاها في طولها غير طائل

و إن أنت لم تفعل فهل أنت مكرمي # بحلقهما من محرز و مقاتل

فإن يأذن المهديّ لي فيهما أقل # مقالا كوقع السيف بين المفاصل

/و إلا[3] تدعني و الهموم تنويني # و قلبي من العجلين جمّ البلايل

/فقال: أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بها أعراضهما منك؟

قال: ذلك إلى أمير المؤمنين.

فأخذها له منهما و أمسك عنهما.

مدح سعيد بن دعلج فأجاره:

قال ابن النطاح:

و دخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج[4]مولى بني تميم فقال:
[1]أحلاس الخيل هنا: الملازمون ظهورها.

[2]الكهبة: غبرة مشربة سوادا.

[3]فعل الشرط محذوف أي و إلا تفعل تدعني.

[4]كان أميرا على شرطة البصرة و أحداثها لأبي جعفر المنصور، ثم
ولي البحرين له أيضا و عزله بعد ذلك. و ولي للمهدي طبرستان-

إذا جئت الأمير فقل سلام # عليك ورحمة الله الرحيم
 و أمّا بعد ذاك فلي غريم # من الأعراب قبّح من غريم
 غريم لازم بقاء بيتي # لزوم الكلب أصحاب الرقيم [1]
 له مائة عليّ و نصف أخرى # و نصف النصف في صكّ قديم
 دراهم ما انتفعت بها و لكن # وصلت بها شيوخ بني تميم
 أتوني بالعشيرة يسألوني # و لم أك في العشيرة باللّيم

فضحك و أمر له بمائتين و خمسة و سبعين درهما و قال: ما أساء من
 أنصف، و قد كافأتك عن قومك و زدتك مائة

داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللّهيّ عن
 عمّه مصعب: أنّ حمّادة بنت عيسى توفّيت و حضر المنصور جنازتها. فلمّا
 وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمك
 يا أمير المؤمنين حمّادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك
 المنصور حتى غلب فستر وجهه.

سأل الخيزران جارية فوعدها بها و أبطأت فاستنجزها بشعر، و قصة زوجته و ابنه مع هذه الجارية:

أخبرني عمّي رحمه الله تعالى قال حدّثنا محمد بن سعد الكرانيّ قال
 قال أبو عمر حفص بن عمر العمريّ حدّثنا الهيثم قال: جحّت الخيزران، فلمّا
 خرجت صاح بها أبو دلامة. قالت: سلوه ما أمره. قالوا له: ما أمرك؟ فقال:
 أدنوني من حملها. قالت: أدنوه، فأدني. فقال: أيتها السيّدة، إني شيخ كبير
 و أجرك فيّ عظيم. قالت: فمه.

قال: تهين لي جارية من جواريك تؤنّسني و ترفق بي و تريحني من
 عجز عندي، قد أكلت رفدي، و أطالت كدّي، و قد عاف جلدي جلدها، و
 تمّيت بعدها، و تشوّقت فقدها. فضحكت الخيزران و قالت: سوف أمر لك
 بما سألت. فلما رجعت تلقّاها و ذكرها، و خرج معها إلى بغداد فأقام حتى
 غرض [2]. ثم دخل على أمّ عبيدة حاضنة موسى و هارون، فدفع إليها رقعة
 قد كتبها إلى الخيزران فيها: و عزله عنها. (انظر ابن الأثير ج 6 ص 6 و 7 و
 26 و 27 و 39 و 41).

[1] قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ**
الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا : «الرقيم اسم كلبهم، قال أمية
بن أبي الصلت: و ليس بها إلا الرقيم مجاورا # و صيدهم و القوم في
الكهف همّد

و قيل هو لوح من رصاص رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف،
و قيل إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل، و قيل: هو الوادي الذي فيه
الكهف، و قيل الجبل، و قيل قريرتهم، و قيل مكانهم بين غضبان و أيلة دون
فلسطين» . و في «اللسان» مادة رقم: «قال أبو القاسم الزجاجي في
الرقيم خمسة أقوال: أحدها عن ابن عباس أنه لوح كتبت فيه أسماءهم.
الثاني أنه الدواة بلغة الروم عن مجاهد. الثالث القرية عن كعب. الرابع
الوادي. الخامس الكتاب عن الضحاك و قتادة، و إلى هذا القول يذهب أهل
اللغة» .

[2] غرض: ضجر و ملّ.

أبلغني سيّدتي باللّه يا أمّ عبّيده أنّها أرشدّها اللّه و إنّ كانت رشّيده

وعدتني قبل أن تخ # رج للحجّ وليده

فتأبّيت و أرسل # ت بعشرين قصّيده

/كلّما أخلقن[1]أخلف # ت لها أخرى جديده

ليس في بيتي لتمهيد # د فراشي من قعيده

غير عجفاء عجوز # ساقها مثل القديده

وجهها أفتح من حو # ت طريّ في عصيده

/ما حياة مع أنثى # مثل عرسي بسعيده

فلمّا قرئت عليها الأبيات ضحكت و استعادتها منه لقوله «حوت طريّ في عصيده» و جعلت تضحك، و دعت بجارية من جواربها فائقة فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري ففعلت، ثم دعت ببعض الخدم و قالت له: سلّمها إلى أبي دلامة. فانطلق الخادم بها فلم يصادفه في منزله. فقال لامرأته: إذا رجعت فادفعيها إليه، و قلولي له: تقول لك السيّدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد أثرتك بها؛ فقالت له نعم. فلمّا خرج دخل ابنها دلامة فوجد أمّه تبكي. فسألها عن خبرها فأخبرته و قالت: إنّ أردت أن تبرّني يوما من الدهر فاليوم. فقال: قلولي ما شئت فإني أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنّك مالكةا و تطوّها فتحرم عليه، و إلّا ذهبت بعقله و جفاني و جفاك. ففعل و دخل إلى الجارية فوطئها و وافقها ذلك منه، و خرج. ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت. فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمدّ يده إليها و ذهب ليقبّلها. فقالت له: مالك و بلك! تنحّ و إلّا لطمتك لطمة دقت منها أنفك. فقال لها: أ بهذا أوصتكَ السيّدة!. فقالت: إنّها قد بعثت بي إلى فتى من حاله و هيئته كيت و كيت، و قد كان عندي أنفا، و نال منّي حاجته. فعلم أنه قد دهى من أمّ دلامة و ابنها.

فخرج إليه أبو دلامة فلطمه و لبّبه[2] و حلف/ألّا يفارقه إلّا عند المهديّ. فمضى به ملتبّيا حتّى وقف على باب المهديّ. فعرفّ خبره و أنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله. فلمّا دخل قال له: مالك و بلك؟! قال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولد بأبيه، و لا ترضيني إلّا أن تقتله. فقال له: و بلك فما فعل؟ فأخبره الخبر. فضحك حتّى استلقى ثم جلس. فقال له أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: عليّ بالسيف و النّطع. فقال له دلامة: قد سمعت حجّته يا أمير المؤمنين فاسمع حجّتي. قال: هات. قال:

هذا الشيخ أصفق الناس وجهها، بنيك أمي منذ أربعين سنة ما غضبت، و نكت جاريته مزة واحدة فغضب و صنع بي ما ترى! فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة و أنا أعطيك خيرا منها. قال: على أن تخبأها لي بين السماء و الأرض، و إلا ناكها و الله كما ناك هذه. فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله، و حلف أنه إن عاود قتله، و وهب له جارية أخرى كما وعده.

[1] كذا في أ. و في سائر الأصول: «أخلفن» بالفاء الموحدة.

[2] لبيه: أخذ بتلبيه أن جمع ثيابه عند صدره و نحره في الخصومة ثم

جره.

سأله المهدي عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره: و قال ابن النطاح:

دخل أبو دلامة على المهديّ و عنده شاعر ينشده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له. فقال المهديّ: و أبيتك إنها لكلمة عذراء منك، أحسبك تعرفه! قال: لا و الله ما عرفته و لا قلت أنا إلا حقًا. فأمر للشاعر بجائزة، و لأبي دلامة بمثلها لحسن محضره.

خلع عليه العقيلي من ثيابه التي عليه:

قال ابن النطاح و حدّثني أبو عبد الله العقيليّ قال: رأيت على أبي دلامة فروة في الصّيف، فقلت له: أ لا تملّ هذه الفروة! قال: بلى، و ربّ مملول لا يستطاع فراقه. فنزعت فاضل ثيابي في موضعي و دفعتها إليه.

فزع من رؤية الفيل و قال فيه شعرا:

قال: و أهدي للمهديّ فيل، فراه أبو دلامة فولّى هاربا و قال: يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم # لا بارك الله لي في رؤية الفيل

/أبصرت قصرا له عين يقلبها # فكدت أرمي بسلحي في سراويلي

أنشد المهدي شعرا في بغلته و استوهبه أخرى غيرها: قال ابن النطاح:

و دخل أبو دلامة على المهديّ فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة:
أتاني بغلة [1] يستام [2] منّي # عريق في الخسارة و الصّلال

فقال تبيعها؟ قلت ارتبطها # بحكمك إن بيعي غير غالي

فأقبل ضاحكا نحوي سرورا # و قال أراك سمحا ذا جمال

هلمّ إليّ يخلو بي خداعا # و ما يدري الشّقيّ بمن يخالي

فقلت بأربعين فقال أحسن # إليّ فإنّ مثلك ذو سجال [3]

فاترك خمسة منها لعلمي # بما فيه يصير من الخبال

فقال المهديّ: لقد أفلت من بلاء عظيم. قال: و الله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهرا أتوقّع صاحبها أن يردها. قال: ثم أنشده: فأبدلني بها يا ربّ طرفا [4] # يكون جمال مركبه جمالي

[1] في ج: «أتاني خائب» .

[2] استام: طلب السوم أن تعيين الثمن.

[3]السجال هنا: المباراة و المساجلة يريد أنه لا يماكس في الثمن.
[4]الطرف من الخيل: الكريم.

فقال لصاحب دوابه: خيره من الإصطبل مركبين[1]. قال: يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعت في شر من البغلة، و لكن مره أن يختار لي، فقال: اختر له. و أخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، و خبره أتم.

احتال على العباس بن محمد بشعر و أخذ منه ألفي درهم و كان راهن المهدي على ذلك فأخذ منه ستة آلاف:

و أخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو دلامة يوما على المهدي، فحادثه ساعة و هو يضحك و قال له: هل بقي أحد من أهلي لم يصلك؟ قال: إن أمّنتني أخبرتك، و إن أعفيتني فهو أحب إلي. قال: بل تخبرني و أنت آمن. قال كلهم قد وصلني إلا حاتم بني العباس. قال: / و من هو؟ قال: عمك العباس بن محمد. فالتفت إلى خادم على رأسه و قال: جا[2] عنق العاض بظر أمه. فلما دنا منه صاح به أبو دلامة: تنح يا عبد السوء لا تخنث مولاك و تنكث عهده و أمانه.

فضحك المهدي و أمر الخادم فتنحى عنه، ثم قال لأبي دلامة: و بلك! و الله عمي أixel الناس. فقال أبو دلامة: بل هو أسخى الناس. فقال له المهدي: و الله لو مت ما أعطاك شيئا. قال: فإن أنا أتيتك فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فانصرف أبو دلامة فحبر للعباس قصيدة ثم غدا بها عليه و أنشده: قف بالديار و أيّ الدهر لم تقف # على المنازل بين الظهر[3] و النجف

و ما وقوفك في أطلال منزلة # لو لا الذي استدرجت من قلبك الكلف

إن كنت أصبحت مشغوبا بساكنها # فلا و ربك لا تشفيك من شغف

دع ذا و قل في الذي قد فاز من مضر # بالمكرمات و عز[4] غير مقترف[5]

هذي رسالة شيخ من بني أسد # يهدي السلام إلى العباس في الصحف

تخطها من جوارى المصر كاتبة # قد طالما ضربت في اللام و الألف

و طالما اختلفت صيفا[6] و شاتية # إلى معلّمها باللوح و الكتف

حتى إذا نهذ التديان و امتلنا # منها و خيفت على الإسراف و القرف[7]

صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا # كما يصون تجار درّة الصدف

/فبينما الشيخ يهوي نحو مجلسه # مبادرا لصلاة الصبح بالسدف[8]

[1] في ب، س: «بين مركبين» .

[2]جأ: اضرب.

[3]الظهر: موضع. و النجف (بالتحريك) : موضع بظهر الكوفة و هو دومة الجندل بعينها، و القرب منه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

[4]في ب، س: «عزم» .

[5]مقترف: مكتسب.

[6]في ب، س: «ضيفا» بالضاد المعجمة و هو تصحيف.

[7]القرف: التهمة.

[8]السدف: الظلمة. -

حانت له لمحة منها فأبصرها # مطلة بين سجفيها من الغرف
 /فخرّ و الله ما يدري غداتئذ # آخر منكشفا أم غير منكشف
 و جاءه الناس أفواجا بمائهم # ليغسلوا الرجل المغشي بالثّلف [1]
 و وسوسوا بقران في مسامعه # مخافة [2] الجنّ و الإنسان لم يخف
 شيئا و لكنّه من حبّ جارية # أمسى و أصبح موقوفا على الثّلف
 قالوا: لك الويل ما أبصرت؟ قلت لهم # تطلّعت من أعالي القصر ذي الشّرف
 فقلت أيّكم و الله يأجره # يعين قوّته فيها على ضعف
 فقام شيخ بهي من رجالهم # قد طالما خدع الأقوام بالحلف
 فابتاعها لي بألفي درهم فأتى # بها إليّ فألقاها على كتفي
 فبِتّ أثمها طورا و ألزمها # طورا و أصنع بعض الشيء في اللّحف
 فبين [3] ذاك كذا إذ جاء صاحبها # يبغي الدراهم بالميزان ذي الكف
 و ذكر حقّ على زند و صاحبه # و الحقّ في طرف و الطّين في طرف
 و بين ذاك شهود لا يضّرهم # أ كنت معترفا أم غير معترف
 فإن يكن منك شيء فهو حقهم # أو لا فأني مدفوع إلى الثّلف

قال: فضحك العباس و قال: ويحك أصادق أنت؟ قال: نعم و الله. قال:
 يا غلام ادفع إليه ألفي درهم ثمّنها. قال: فأخذها ثم دخل على المهديّ
 فأخبره القصّة و ما احتال له به. فأمر له المهديّ بستة آلاف درهم.

و قال له المهديّ: كيف لا يضّرهم ذلك؟ قال: لأني معدم لا شيء عندي.
 و قال عمّي في خبره: فقال له العباس بن محمد شاركني في هذه الجارية.
 قال: أفعل و لكن على شريطة. قال: و ما هي؟ قال: الشّركة لا تكون إلّا
 مفاوضة [4]، فاشتر معها أخرى، ليبعث كلّ واحد منا إلى صاحبه ما عنده/و
 يأخذ الأخرى مكانها ليلة و ليلة. فقال له العباس: قبحك الله و قبح ما جئت
 به! اخذ الدراهم لا بارك الله لك فيها و انصرف.

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعرا أضحكه فأعفاه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال
 حدّثني العبيسيّ قال: كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني
 أميّة. فدعا رجل إلى البراز؛ فقال له أبو مسلم: أبرزه إليه. فأنشأ يقول: ألا لا
 تلمني إن فررت فأنيّ # أخاف على فخّارتي أن تحطما

[1] النطف: جمع نطفة (بالضم) و هي الماء الصافي قل أو أكثر.

[2] في ح، ب، س: «فخافه» و هو تحريف.

[3] المشهور في مثل هذا أن يقال: فبيننا ذاك كذا أو «بينما». و قد جاء بها أبو دلامة هنا على الأصل.

[4] شركة المفاوضة: هي الشركة العامة في كل ما يملكه الشريكان.

فلو أنني في السوق أبتاع مثلها # و جدك ما باليت أن أتقدما

فضحك و أعفاه.

وعدته ربيعة جارية فاستنجزها بشعر:

و نسخت من كتاب ابن النطاح:

أن ربيعة وعدت أبا دلامة جارية فمطلته حتى امتدحها بعدة قصائد، كل ذلك لا تفي له، ثم خرجت إلى مكة و رجعت. و كانت لها جارية يقال لها أم عبيدة تخرج و تكلم الرجال و تبلغ عنها الرسائل. فقال أبو دلامة لأم عبيدة حين عيل صبره: أبلغني سيدي إن # شئت يا أم عبيده

/أنها أرشدها اللـ # ه و إن كانت رشيدة

وعدتني قبل أن تخـ # رج للحج وليده

فتنظرت و أرسلـ # ت بعشرين قصيده

كلما تخلق أولى # بدلت أخرى جديده

إنني شيخ كبير # ليس في بيتي قعيده

غير مثل الغول عندي # ذات أوصال مديده

/وجهها أسمح من حوـ # ت طري في عصيده

ذات رجل و يد كلـ # تاهما مثل القديده

فدخلت على ربيعة فأنشدتها الشعر، فأمرت له بجارية و مائتي دينار للنفقة عليها.

اشترى لأضيافه نبذا من نباهه و لم يعطها الثمن و قال فيها شعرا:

أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدّي [1]: أن أبا دلامة نزل بالكوفة، فأناه أضياف فغداهم، ثم بعث إلى سندیة نباذة يقال لها دومة، فبعثت إليهم جرة من نبذ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضى الثمن. فقال: ليس عندي الثمن، و لكنني أمدحك بما هو خير من نبذك. فقال: ألا يا دوم دام لك التّعيم # و أحمر ملء [2] كفك مستقيم

[1] يلاحظ أن جدّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي فارسي و هو ماهان أو ميمون بن بهمن، و أنه مات و ابنه طفل في الثانية أو الثالثة، فلا يعقل أن يكون إبراهيم روى عن أبيه. على أن ماهان لم يعرف أنه من رواة الأدب

العربي. فلعل في كلمة «عن جدي» تحريفاً أو هي من زيادات النساخ. (راجع ترجمة إبراهيم الموصلي في الجزء الخامس من هذه الطبعة ص 154).

[2] كذا في ج. و في سائر الأصول: «مثل» و هو تحريف. و قد ورد هذا الشعر في الجزء العاشر صفحة 94 من «الأغاني» طبع بلاق في ترجمة الأقيشر، و روايته: ألا يا دوم دام لك النعيم # و اسمر ملء كفك مستقيم

شديد الأسر ينض حالباه # يحتم كأنه رجل سقيم

شديد الأصل ينبذ[1] حالباه # يئن كآته رجل سقيم

و هذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضا.

قال شعرا في الجنيد النحاس يذمه و يمدح جارية له:
قال إسحاق و حدّثني أبي:

أنّ أبا دلامة كان كثير الزيارة للجنيد النحاس، و كان يتعشّق جارية له و يبغضه. فجاءه يوما فقال: أخرج لي فلانة. فقال: إلى متى تخرج إليك و لست بمشتر!!/قال: فإن لم أكن مشتريا فإني أخ يمدح و يطرى. قال: ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعرا. قال: فأحلف بعقتها أن تروّيها إيّاه و تأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها و لا تحجبها. فحلف لا يحجبها. فقال أبو دلامة: إنّي لأحسب أن سأمسي ميّتا # أو سوف أصبح ثم لا أمسي

من حبّ جارية الجنيد و بغضه # و كلاهما قاض على نفسي

فكلامها يشفى به سقمي # فإذا تكلم عاد لي نكسي

**عاد إسحاق الأزرق و عنده طبيبه فقال شعرا ينصحه فيه
بمجانبة الطبيب:**

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده، و كان إسحاق قد مرض مرضا شديدا، ثم تعافى منه و أفاق، فكان من ذلك ضعيفا، و عند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوّي بدنه. فقال أبو دلامة للطبيب: يا ابن الكافرة! أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض! ما أردت و الله إلاّ قتله. ثم التفت إلى إسحاق فقال: اسمع أيها الأمير مئي. قال: هات ما عندك يا أبا دلامة. فأنشأ يقول: نجّ عنك الطبيب و اسمع لنعتي # إنني ناصح من الصّاح

ذو تجارب قد تقلّبت في الصّحّ # دهرا و في السّقام المتاح

عاد هذا الكباب كلّ صباح # من متون الفتيّة السّحاح[2]

/فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثا # من عتيق في الشمّ كالنّفّاح

ثم عند المساء فاعكف على ذا # و على ذا بأعظم الأقداح

فتقوّي ذا الضعف منك و تطفى # عن[3] ليال أصحّ هذي الصّاح

ذا شفاء ودع مقالة هذا # ناك ذا أمّه بأير رياح[4]

برؤيه الشراب فيزدهيه # و ينفخ فيه شيطان رجيم

[1] ينبذ: ينبض.

[2]السحاح: السمان، واحدها ساح و ساحة، بالحاء المشدّدة.

[4]عن ليال أي بعد ليال.

[4]رباح: القرد.

/فضحك إسحاق و عواده، و أمر لأبي دلامة بخمسمائة درهم. و كان الطبيب نصرانيا فقال: أعوذ بالله من شرِّك يا ركل (يريد يا رجل). و قال الطبيب: اقبل منِّي أصلحك الله و لا تسألني عن شيء قدَّامه. فقال أبو دلامه:

أمَّا و قد أخذت أجرة صفقتي[1] و قضيت الحق في نصح صديقي، فانعت له الآن أنت ما أحببت.

تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبو الشَّبل عاصم بن وهب البرجميّ قال:

دخل أبو دلامة على المهديّ و بين يديه سلمة الوصيف واقفا، فقال: إنِّي أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله. فإن رأيت أن تشرفني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج و أدخل إليه دابته التي كان تحته، فإذا به برزون محطم أعجف هرم. فقال له المهديّ: أيّ شيء هذا وبلك! لم تزعم أنه مهرا! فقال له: أ و ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسمّيه الوصيف و له ثمانون سنة، و هو عندك وصيف! فإن كان سلمة وصيفا فهذا مهرا. فجعل سلمة يشتمه و المهديّ يضحك. ثم قال لسلمة: ويلك، إنَّ لهذه منه أخوات، و إن أتى بها في محفل فضحك. فقال أبو دلامة: و الله لأفضحنه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحد إلّا و قد وصلني غيره، فإنِّي ما شربت له الماء قط. قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك.

قال: قد فعلت على أن لا يعاود. فقال له: ما ترى؟ قال: أفعل، فلو لا أنّي ما أخذت منه شيئا قط ما فعلت معه مثل هذه. فمضى سلمة فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته:

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمد بن سعد الكرانيّ قال حدَّثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال:

/جاء ابن أبي دلامة يوما إلى أبيه و هو في محفل من جيرانه و عشيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي، كما ترون، قد كبرت سنّه، و رقّ جلده، و دقّ عظمه، و بنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه و يبقي قوّته، فيخالفني

فيه. و أنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم، فيها صلاح لجسمه، و بقاء لحياته، فأسعفوني بمسألته. فقالوا: نفعل حبا و كرامة. ثم أقبلوا على أبي دلامة بالسنتهم و تناولوه بالعتاب حتى رضي و هو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا بليّة. فقالوا له: قل. فقال: إنّ أبي إنما يقتله كثرة الجماع، فتعاونوني عليه حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصحّ لجسمه و أطول لعمره. فعجبوا من ذلك و علموا أنه إنما أراد أن يعث بأبيه و يخجله حتى يشيع ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعتم أنتم و عرّفتكم أنه لن يأتي بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلت أمّه حكما بيني و بينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، و قصّ/أبو دلامة القصّة عليها، و قال لها: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: أنّ ابني-أصلحه الله-قد نصح أباه و برّه و لم يأل جهدا، و ما أنا إلى بقاء [1]كذا في جميع الأصول. و لعله: «أجرة صفتي إلخ» .

أبيه بأحوج منِّي إلي بقائه، و هذا أمر لم تقع به تجربة منّا، و لا جرت بمثله عادة لنا، و ما أشك في معرفته بذلك.

فليبدأ بنفسه فليخصها؛ فإذا عوفي و رأيناه ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أبوه. فنعر[1] أبوه و جعل يضحك به، و خجل ابنه، و انصرف القوم يضحكون و يعجبون من خبتهم جميعا و اتفاهم في ذلك المذهب.

أمر المهديّ مروانبا بقتل خارجي فنيا السيف في يده فقال هو في ذلك شعرا:

أخبرني عمّي قال حدّثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال: كان عند المهديّ رجل من بني مروان، فدخل إليه و سلم عليه. فأتى المهديّ بعلج[2] فأمر المروانيّ بضرب عنقه، فأخذ السيف و قام فضربه فنيا السيف عنه، فرمى به المروانيّ و قال: لو كان من سيوفنا ما نبا. فسمع المهديّ الكلام فغاضه حتى تغيّر لونه و بان فيه. فقام يقطين[3] فأخذ السيف و حسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء و لا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضرني بيتان أ فأقولهما؟ قال: قل. فأنشده: أيّ هذا الإمام سيفك ماض # و بكفّ الوليّ غير كهام[4]

فإذا ما نبا بكفّ علمنا # أنّها كفّ مبعض للإمام

قال: فسرّي عن المهديّ و قام من مجلسه، و أمر حجّابه بقتل الرجل المروانيّ فقتل.

[1] نعر: صاح و صوّت بخيشومه.

[2] العلج: الرجل من كفار العجم.

[3] يقطين: هو يقطين بن موسى البغدادي. (انظر الكلام عليه في الحاشية رقم 2 ص 285 ج 6 من كتاب «الأغاني» من هذه الطبعة).

[4] الكهام من السيوف: الكليل الذي لا يقطع.

[11-] أخبار عبد الله بن المعتز

و ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد و أحسن و برع و تقدّم جميع أهل عصره فضلا و شرفا و أدبا و شعرا و ظرفا و تصرفا في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله.

أدبه و شعره و دفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب:

و أمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله و آدابه شهرة تشرك في أكثر فضائله الخاصّ و العامّ.

و شعره و إن كان فيه رقة الملوكة و غزل الظرفاء و هلهلة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرة تجري في أسلوب المجيدين و لا تقصر عن مدى السابقين، و أشياء ظريفة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية. فليس يمكن واصفا لصيوح، في مجلس شكل ظريف، بين ندامى و قيان، و على ميادين من الثور و البنفسج و الترجس و منضود من أمثال ذلك، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس و فاخر الفرش و مختار الآلات، و رقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبّط[1] الرقيق الذي يفهمه كل من حضر، إلى جعد الكلام و وحشيته، و إلى وصف البيد و المهامة و الطبي و الظليم[2] و الناقة و الجمل و الديار و القفار و المنازل الخالية المهجورة؛ و لا إذا عدل عن ذلك و أحسن قيل له مسيء، و لا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير و توسّط في البعض و قصّر في اليسير، و ينسب إلى التقصير في الجميع، لنشر المقايح و طي المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد بمن تقدّم لوجد مساعا. و لو أن قائلا أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى- و هو أحد من يقدّمه الأوائل على سائر الشعراء- بقوله: «فأصاب حبة قلبه و طحالها[3]» .

و بقوله:

/

و يأمر للحموم[4] كلّ عشية # بقتّ و تعليق فقد كاد يسنق

[1] السبّط: السهل المرسل. و الجعد: المعقد.

[2] الظليم: ذكر النعام.

[3] العيب في هذا ورود كلمة الطحال فيه و هي مما يابها الذوق. و قد ورد كلام فيه في هذا الجزء (ص 81-82) فراجع.

[4] كذا في «لسان العرب» و كتاب «نسب الخيل» لابن الكلبي و كتاب «الشعر و الشعراء» لابن قتيبة. و اليعموم: اسم فرسه. و القت:

حب بري. و التعليق: ما تعلفه الدابة من شعير و نحوه. و يسنق: يأكل حتى يصيبه كالبشم. و قد ورد هذا البيت في ب، س هكذا:

و قد كان يأمر همو كل ليلة # بقت و تعليق فقد كاد يسبق

و في الأصول المخطوطة:

و قد كان يأمر همو في كل ليلة # يفت و تعليق فقد كاد يسبق

و هما تحريف و عيب هذا البيت أنه مدح به ملك الحيرة و هو لا يمدح به رجل من خساس الجنود؛ لأنه ليس من أحد له فرس إلا و هو يعلفه قتا و يقضمه شعيرا. و هذا مديح كالهجاء. و قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: «و لست أرى هذا عيبا؛ لأن الملوك تعد فرسا على أقرب الأبواب من مجالسها بسرجه و لجامه خوفا من عدو يفجؤها أو أمر ينزل أو حاجة تعرض لقلب الملك فيريد البدار، فلا يحتاج إلى أن يتلوم على إسراج فرسه و إلجامه. و إذا كان واقفا غدى و عشى. فوضع الأعشى هذا المعنى و دل به على ملكه و على حزمه». (راجع كتاب «الشعر و الشعراء» صفحة 141-142 طبع أوربا).

و أمثال لهذا كثيرة. و إنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه، و يلغي [1] ما لم يستحسنه، فليس مأخوذاً به. و لكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة، و يشيدوا بذكرهم الخامل، و يعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل و القدر فيهم، فلا يزدادون بذلك إلا ضعة، و لا يزداد الآخر إلا ارتفاعاً. أ لا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة، و درج فلم يبق له خلف يقزظه و لا عقب يرفع منه، و ما يزداد بأدبه و شعره و فضله و حسن أخباره و تصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعة/ و علواً. و لا نظر إلى أضداده كلما ازدادوا في طعنه و تقربوا أنفسهم و أسلافهم الذين كانوا مثلهم في ثلبه و الطعن عليه، زادوها سقوطاً و ضعة، و كلما وصفوا أشعارهم و قرظوا آدابهم، زادوا بها ثقلاً و مقناً. فإذا وقع عليهم المحصل الموافق، عدلوا عن ثلبه في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين و هجاء آل أبي طالب، و هم أول من فعل ذلك و شنع به على آل أبي طالب عند المكتفي حتى نهاهم عنه، فعدلوا عن عيب أنفسهم بذلك إلى عيبه، و ارتكبوا أكثر منه. و أنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله، مصرّحاً به على شرح إن شاء الله تعالى.

علمه بصناعة الموسيقى:

و كان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى، و الكلام على النغم و عللها. و له في ذلك و في غيره من الآداب كتب مشهورة، و مراسلات جرت بينه و بين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر و بين بني حمدون، و غيرهم، تدل على فضله و غزارة علمه و أدبه.

كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له و قد بعث إليه برسالة

إلى ابن حمدون:

و لقد قرأت بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة إليه بخطه، و قد بعث إلى برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوز و لا ينكر أن يغير الإنسان بعض نغم الغناء القديم، و يعدل بها إلى ما يحسن في حلقه و مذهبه. و هي رسالة طويلة، و شاوره فيها. فكتب إليه عبيد الله: «قرأت-أيديك الله- الرسالة الفاضلة البارعة الموقفة. فأنا و الله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أولها مبتهجا، و أتأمل و أدعو مبتهلاً، و عين الله التي لا تنام عليك و على نعمه عندك. فإنها- علم الله- النعمة المعدومة المثل. و لقد تمثلت و أنا أكثر نظري فيها قول القائل في سيدنا و ابن سيدنا عبد الله بن العباس:

كفى و شفى ما في النفوس و لم يدع # لذي إربة في القول جدًا و لا هزلاً

و لا و الله ما رأيت جدًّا في هزل، و لا هزلا في جدِّ يشبه هذا الكلام في بلاغته و فصاحته و بيانه و إنارة برهانه و جزالة ألفاظه. و لقد خيل إليَّ أن لسان جدِّك/العَبَّاس عليه السَّلَام ينقسم على أجزاء، فلك-أعزُّك الله- نصفها، و النصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور و المأمون رحمة الله عليهما. و لو أنَّ هذه الرسالة جبهت الإبراهيمين إبراهيم بن المهديّ و إبراهيم الموصليّ و ابنه إسحاق و هم مجتمعون لبهت منهم الناظر، و أخرج الناطق، و لأقروا لك بالفضل في السَّبِق، و ظهور حجّة الصّدق، ثم كان قولك لهم فرقا بين الحقّ و الباطل، و الخطأ و الصواب. و و الله ما تأخذ في فنّ من الفنون، إلاّ برزت فيه تبريز الجواد الرّائع، المغبّر في وجه كلّ حسان تابع. عضد الله الشرف ببقائك، و أحيا الأدب/بحياتك، و جمّل الدنيا و أهلها بطول عمرك» .

هذا كلام العقلاء و ذوي الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء و ذوي الجهل. و الإطالة في هذا المعنى مستغنى عنها.

[1]كذا في الأصول. و يحتمل أن يكون: «يلقى» بالقاف.

و المشهور عنه و عن أصداده و ما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصد في كتابي هذا.

أصوات له في أشعار مختلفة:

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها:

صوت

هل ترجع ليال قد مضين لنا # و الدار جامعة أزمان أزمانا [1]

صنعته في بيت واحد، و لحنه ثقيل أول.

/و من صنعته في الثقيل الأول أيضا- و فيه لعلويه رمل قديم، و ما لحنه بدون لحن علويه:-

صوت

سقى جانب القصرين فالدير فالحمى # إلى الشجر المحفوف بالطين و المدر [2]

و من صنعتة الظريفة [3] الشكلة مع جودتها:

صوت

و إبلائي من محضر و مغيب # و حبيب مئي بعيد قريب

لم ترد ماء وجهه العين إلا # شرقت قبل ربها برقيب

زارته زرياب في يوم الشعانين و غناها:

خفيف ثقيل، ابتداؤه نشيد.

و من صنعتة، و له خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجم عن زرياب قالت: زرت عبد الله بن المعتز في يوم [4] الشعانين، فسر بورودي و صنع من وقته لحنا في شعر عبد الله بن العباس الربيعي الذي له فيه هزج و هو: [1] يقول: هل تعود ليال لنا مضت أزمان أزمان و الدار جامعة أسباب سرورنا و لهونا. و أزمان أزمان يراد به أزمان لهونا و أزمان سرورنا أو نحو ذلك مما يضاف إليه أزمان و يناسب المقام. و مثل هذا التركيب مما يجب فيه البناء على فتح الجزأين كالمركب المزجي.

و كل ما ركب تركيب المزج من الظروف زمانية كانت أو مكانية يجب بناؤه، مثل قولك فلان يأتينا صباح مساء أي كل صباح و مساء، فحذف

العاطف و ركب الطرفان قصدا للتخفيف تركيب خمسة عشر. قال الشاعر:
و من لا يصرف الواسين عنه # صباح مساء يبغوه خيالا

و تقول: فلان يأتينا يوم يوم أي يوما فيوما؛ قال الشاعر: آت الرزق يوم
يوم فأجمل # طلبا و ابغ للقيامه زادا

و مثال ما ركب من ظروف المكان قولهم: سهلت الهمزة بين بين؛ و
منه قول الشاعر: نحمي حقيقتنا و بعد # ض القوم يسقط بين بينا

و الأصل بين هؤلاء و بين هؤلاء. (راجع شرح «شذور الذهب في معرفة
كلام العرب» لابن هشام الأنصاري طبع بلاق سنة 1282 ص 30، 31). و
قد ورد هذا البيت في الأصول: «أزمان أزمان» و النون عارية من الشكل، و
ليس فيها ألف الإطلاق. و رجعنا إلى «ديوانه» المطبوع فلم نجد فيه هذا
البيت.

[2]المدر: التراب المتلبد، أو هو قطع الطين اليابس.

[3]كذا في ح. و في ب، س: «الظريقة الشكل». و في أ، م:
«الظريقة الشكل».

[4]في «لسان العرب» (في مادة سعن) : «قال ابن الأثير: هو عيد
لهم معروف قبل عيدهم الكبير بأسبوع، و هو سرياني، معرّب. و قيل:

صوت

/

أنا في قلبي من الطّبي كلوم # فدع اللّوم فإنّ اللّوم لوم[1]

حبّذا يوم السّعانيين و ما # نلت فيه من سرور لو يدوم

الشعر لعبد الله بن العبّاس، و لحنه فيه هزج-قالت: فصنع عبد الله بن المعتزّ في البيت الثاني، و بعده بيت أضافه إليه، هزجا و هو: زارني مولاي فيه ساعة # ليته و الله ما عشت يقيم

و لحن ابن المعتزّ في «حبذا يوم السّعانيين» هذا البيت خفيف رمل، و هو من نهايات الأغاني التي صنعها.

و من صنعته التي تظارف[2] فيها و ملح:

زاحم كمّي كمّه فالتويا # وافق قلبي قلبه فاستويا

و طالما ذاقا الهوى فاكتويا # يا قرّة العين و يا همّي و يا

أراد هنا بقوله «و يا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون: قلت له يا سيّدي و يا مولاي و يا و يا، و كذلك ضدّه ليستغنى بالإشارة بهذا التّداء عن الشرح. و لحن ابن المعتزّ في هذا هزج.

خرجت عليه نشر في صورة جميلة فقال فيها شعرا على البدية:

حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنا عند ابن المعتزّ يوما و عنده نشر و كان يحبها و يهيم بها، فخرجت علينا من صدر البستان/في زمن الربيع، و عليها غلالة معصفرة و في يديها جتّابي[3] باكورة -هو جمع واحده سعنون» اهـ. و المشهور فيه «الشعانيين» بالشين المعجمة؛ فقد ورد في «صبح الأعشى» (ج 2 ص 415) في كلامه على أعياد القبط: «الثاني-الزيتونة، و هو عيد الشعانيين، و تفسيره بالعربية التسبيح، يعملونه في سابع أحد من صومهم. و سنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة، و هو يوم ركوب المسيح لليعفرور (و هو الحمار) في القدس و دخوله صهيون و هو راكب و الناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر» اهـ.

[1]لوم: مخفف لؤم بالهمز.

[2] في ب، س: «تظافر». و في سائر الأصول: «تضافر». و ظاهر أن كليهما تحريف.

[3] كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا عن هذه الكلمة فيما كتبه عن لعب العرب في العدد الأوّل من المجلة السلفية (السنة الثانية ص 34) شرحا لهذه اللعبة رأينا أن ننقله كله لما حواه من قيمة علمية كعادة الباشا عليه الرحمة و الرضوان فيما يكتبه. قال: «الجنابي-في «القاموس»: «و الجناباء (بفتح أوله و ثانيه) و كسماني (بضم أوله و فتح ثانيه) لعبة للصبيان» . و في «اللسان»: «الجناباء و الجنابي لعبة للصبيان يتجانب الغلامان فيعتصم كل واحد من الآخر» و نحوه في «المخصص» .

و بعد أن نقل هذه العبارة عن «الأغاني» و «معاهد التنصيص» قال: «قلنا قوله «جنابي» باقلاء يظهر أنه شيء كالسلة و لم نعر عليه في اللغة، و لعله مولد سمي بذلك لأنه يحمل في الجنب. و المفهوم من القصة أنه بتشديد النون لأن الجارية أرادت بقولها التجنيس باسم اللعبة، و هو وارد بالتشديد في شعر ابن المعتز كما ترى و إليه مال شارح «القاموس». و عبارته: «و الجناباء بالمد و الجنابي كسماني مخففا مقصورا هكذا في النسخ التي رأيناها و في «لسان العرب» بالضم و تشديد النون. و يدل على ذلك أن المؤلف ضبط سماني بالتشديد في (س م ن) فليكن هذا الأصح، ثم أنه في بعض النسخ بالمد في الثاني و كذا في «لسان العرب» أيضا، و الذي قيده الصاغاني بالضم و التخفيف ككسالي». انتهى و تتبعه مصححه بأنه سهو منه لأن المؤلف إنما ضبط سماني في (س م ن) بوزن حباري اهـ. و نقول: السهو من الشارح في تعيين المادة و كأنه يريد مادة (ح و ر) لقول المؤلف فيها «و أحمد بن أبي الحواري كسكاري، و كسماني أبو القاسم الحواري، الزاهدان معروفان» و قد ناقشه فيها هناك و لا يبعد أن يكون قوله و كسماني حرفه النساخ عن -

فقلت له: يا سيدي تلعب معي جنّابي؟ فالتفت إلينا و قال على بديهته
غير متوقّف و لا مفكّر: /

فديت من مرّ يمشي في معصرة # عشية فسقاني ثم حيّاني

و قال تلعب جنّابي فقلت له # من جاد[2] بالوصل لم يلعب بهجران

و أمر فغني فيه. غنّت فيما أرى فيه هزار لحنا، و هو رمل مطلق.

جدر خادمه نشوان فجزع عليه ثم عوفي فسّر و قال شعرا:
حدّثني جعفر قال:

كان لعبد الله بن المعتزّ غلام يحبّه، و كان يغني غناء صالحا، يقال له
«نشوان». فجزع عبد الله لذلك جزعا شديدا، ثم عوفي و لم يؤثّر
الجدريّ في وجهه أثرا قبيحا. فدخلت إليه ذات يوم فقال لي: يا أبا القاسم،
قد عوفي فلان بعدك، و خرج أحسن مما كان، و قلت فيه بيتين و غنّت
زرياب فيهما رملا ظريفا، فاسمعهما إنشادا إلى أن تسمعهما غناء. فقلت:
يتفضّل الأمير، أيده الله تعالى، بإنشادي إيّاهما. فأنشدني: لي قمر جدر لَمَّا
استوى # فزاده حسنا فزادت هموم

أطنه غني لشمس الصّحى # فنقطته طريا بالنجوم

فقلت: أحسنت و الله أيّها الأمير. فقال لي: لو سمعته من زرياب كنت
أشدّ استحسانا له. و خرجت زرياب فغنّته لنا في طريقة الرّمل في أحسن
غناء، فشرينا عليه عامّة يومنا.

غضب عليه غلامه نشوان فقال شعرا يترضا به:
حدّثني جعفر قال:

غضب هذا الغلام على عبد الله بن المعتزّ؛ فجهد في أن يترصّاه، فلم
تكن له فيه حيلة. فدخلت إليه فأنشدني فيه: بأبي أنت قد تما # ديت في
الهجّر و الغضب

و اصطباري على صدو # دك يوما من العجب

ليس لي إن فقدت وجـ # هك في العيش من أرب

رحم الله من أعا # ن على الصلح و احتسب

قال: فمضيت إلى الغلام؛ و لم أزل أداربه و ارفق به حتى ترصّيته و
جنّته به، فمرّ لنا يومئذ أطيب يوم (و كشقاري) كما نبه عليه المصحح على

حاشية هذه المادة في نسخة «القاموس» المطبوعة ببلاق سنة 1303.

بقي قول شارح «القاموس» إن (الجنابي) وردت بتشديد النون و بالمد أيضا في «لسان العرب» . و لعلها وردت كذلك؟؟؟ طة بالقلم في النسخة التي كانت عنده؛ فإن النسخة التي بأيدينا ليس فيها إلا ما ذكرناه.

و بعد، فتشديد هذه اللفظة في البيت إما أن يكون عن لغة فيها محكية اطلع عليها ابن المعتز أو عن خطأ شاع بين المولدين فجرت به السنة الشعراء. و الله أعلم اهـ» .

[1] في «معاهد التنصيص» طبع بلاق سنة 1274 ص 194: «جنابي من باكورة باقلاء» .

[2] في «معاهد التنصيص» : «من جدّ» و هي رواية جيدة.

و أحسنه، و غنّتنا هزار في هذا الشعر رملا عجيبا.

زار في حدائته أبا عيسى بن المتوكل و أنشده من شعره في كره البنات فمدحه:

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدّثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال: دخلت يوما إلى أبي عيسى بن المتوكل، فوجدت عبد الله بن المعتز و قد جاءه مسلما، و سنّه يومئذ دون عشرين سنة، إذ دخل عليّ [1] بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، فأكرمه أبو عيسى و نهض إليه. فلما استقرّ به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجت إلى معوتك في أمر دفعت إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة. قال: و ما هو؟ قال: زوّجت بنتا من بناتنا رجلا من أهلنا، فخرج عن مذهبنا، و أساء عشرة أهله، و جعل منزل عيسى بن هارون أكثر مظالمه و أوطانه، و يهدّدنا و يوعدنا بشره، حتى لقد نالنا من عيسى بسط ليد و لسانه فينا بالقبيح و القول السيئ، و كثرة معاونته له على ما يزري بدينه و نسبه. و قد توعدّنا بأنه يكشف وجهه لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا. و لو لا نسبه الذي فخره لنا و عاره علينا، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي، إلا أنّي أستعيزك منه. / فقال له أبو عيسى: أنا أوّجه إليه بعد انصرافك، و أرسله بما أنا المتكفل بعده بالألّا يعود إلى عشرته، / و الضامن أن أردّ [2] هذا الصّهر إلى حيث تحبّ و يقع بموافقتك. فشكره و دعا له و انصرف. فقال أبو عيسى: أ لا ترون إلى هذا الرجل التّيبه الفاضل السّريّ الشريف يدفع إلى مثل هذا! طوبى لمن لم تكن له بنت.

فقال عبد الله بن المعتز: أيّها الأمير إنّ لولدك في هذا المعنى شيئا قاله و استحسنة جماعة ممن يعلم و يقول الشعر.

فقال: هاته فداك عمّك. فأنشده لنفسه:

و بكر قلت موتي قبل بعل # و إن أترى وعدّ من الصّميم

أ أمزج باللّثام دمي و لحمي # فما عذري إلى التّسب الكريم

فقال له أبو عيسى: أمتع الله أهلك ببقائك، و أحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك، و جمّلهم بكمال محاسنك، و لا أرانا شرّا فيك.

كان يعمر داره و يبيضاها و قال شعرا في ذلك:

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدّثني عبد الله بن موسى الكاتب قال: دخلت على عبد الله بن المعتز و في داره طبقات من الصّناع، و هو يبني داره و يبيضاها. فقلت: ما هذه الغرامة الحادثة؟ فقال: ذلك السّيل الذي

جاء مذ ليال أحدث في داري ما أحوج إلى الغرامة و الكلفة، و قال: ألا من
لنفس و أحزانها # و دار تداعى بحيطانها

أطلّ نهارى في شمسها # شقيًا معنى ببيانها

أسود وجهي بتبييضها # و أهدم كيلى بعمرانها

[1] هو على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى البصرى
قاضى القضاة أبو الحسن. كان ولى القضاء بسر من رأى، و كان عالما
عفيفا ثقة. توفي سنة 283 هـ (عن «النجوم الزاهرة» ج 3 ص 97 طبع دار
الكتب المصرية).

[2] فى ب، س: «و أنا الضامن إن أراد هذا الصهر إلا حيث» و هو
تحريف.

خفف النميري صلاته و أطال السجود بعدها فقال هو شعرا:
 حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنت عند عبد الله بن المعتزّ و معنا التّميريّ، و حضرت الصلاة، فقام التّميريّ فصلّى صلاة خفيفة جدًّا، ثم دعا بعد انقضاء صلاته و سجد سجدة طويلة جدًّا، حتى استثقله جميع من حضر بسببها، و عبد الله ينظر إليه متعجّبًا ثم قال: /

صلاتك بين الوري نقرة # كما اختلس الجرعة الوالع

و تسجد من بعدها سجدة # كما ختم المزود[1]الفارغ

انقطعت عنه بنت الكراعة و كان يحبها فقال شعرا:
 أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني عبيد[2]الله بن موسى الكاتب قال: كانت بنت الكراعة تألف عبد الله بن المعتزّ، و كان يحب غناءها و يستظرفها و يحبّها و يواصل إحضارها، ثم انقطعت عنه فقال: ليت شعري بمن تشاغلتي بعدي # و هو لا شك جاهل مغرور

هكذا كنت مثله في سرور # و غدا في الهموم مثلي يصير

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميري فأجابه بشعر:

حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنا عند ابن المعتزّ يوما و معنا التّميريّ، و عنده جارية لبعض بنات المغنّين تغنّي، و كانت محسنة إلّا أنّها كانت في غاية من القبح، فجعل عبد الله يجمّشها و يتعلّق بها. فلمّا قامت قال له التّميريّ: أيّها الأمير، سألتك بالله أ تتعشّق هذه التي ما رأيت قطّ أقبح منها؟ فقال عبد الله هو يضحك: قلبي وثّاب إلى ذا و ذا # ليس يرى شيئا فيأباه

/يهيم بالحسن كما ينبغي # و يرحم القبح فيهواه

راسل خزامى فتأخرت عنه فقال شعرا فأجابته:
 أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدّثني أبو الحسن الأمويّ قال حدّثني عبد الله بن المعتزّ قال: كانت خزامى جارية الضبط المغنّي تنادمني و أنا حدث ثم تركت النيذ. و كانت مغنّي محسنة شاعرة ظريفة.

فراسلتها مرارا فتأخّرت عني، فكتبت إليها:

رأيتك قد أظهرت زهدا و توبة # فقد سمجت من بعد توبتك الخمر

فأهديت وردا كي يذكر عيشة # لمن لم يمتنعنا بيهجتها الدهر

[1]المزود: وعاء الزاد.

[2]كذا في جميع الأصول هنا. و تقدم في الصفحة الماضية: «عبد الله بن موسى» و ذلك أيضا باتفاق الأصول.

/فأجابت:

أثاني قريض يا أميري محبّر # حكى لي نظم الدرّ فضل بالشذر[1]
أ أنكرت يا ابن الأكرمين إنابتي # و قد أفصحت لي ألسن الدهر بالزجر
و آذنتي شرح الشّباب بينه # فيا ليت شعري بعد ذلك ما عذري

شعره في موسم الربيع:

حدّثني جعفر بن قدامة قال:

كنت أسرح مع عبد الله بن المعتزّ في يوم من أيام الربيع
بالعباسيّة[2] و الدنيا كالجنة المزخرقة. فقال عبد الله: حبّذا أذار شهرا #
فيه للنور انتشار

ينقص الليل إذا جا # ء و يمتدّ النهار
و على الأرض اخضرار # و اصفرار و احمرار
فكأنّ الرّوض وشي # بالغت فيه التّجار
نقشه آس و نسري[3] # ن و ورد و بهار[4]

هنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد:

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال:

كتب عبد الله بن المعتزّ إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر و قد
استخلف مؤنس[5] ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد: /

فرحت بما أضعافه دون قدركم # و قلت عسى قد هبّ من نومه الدّهر
فترجع فينا دولة طاهريّة # كما بدأت، و الأمر من بعده الأمر
عسى الله، إنّ الله ليس بغافل # و لا بدّ من يسر إذا ما انتهى العسر
فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها:

و نحن إذا ما نالنا مسّ جفوة # فمّا على لأوائها الصّبر و العذر
و إن رجعت من نعمة الله دولة # إلينا فمّا عندها الحمد و الشكر

[1]الشذر: خرز تفصل به الجواهر في النظم.

[2]العباسية: محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي
بن عبد الله بن العباس.

[3]النسرين: ورد أبيض عطري قويّ الرائحة. فارسي معرب.

[4]البهار: نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت أيام الربيع.

[5]مؤنس: هو مؤنس الخادم. و كان يلقب بالمظفر لما عظم أمره. و كان شجاعا مقداما فاتكا مهيبا. عاش تسعين سنة منها ستون سنة أميرا. و كان قد أبعدته المعتضد إلى مكة. و لما بوع المقتدر بالخلافة أحضره و قرّبه و فوّض إليه الأمور. قتل سنة 321 هـ (انظر «النجوم الزاهرة» ج 3 ص 239).

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعرا يعاتبه:

قال: و جاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدّة طويلة. فكتب إليه عبد الله بن المعتز: قد جئنا مرّة و لم تعد # و لم تزر بعدها و لم تعد

لست أرى واجدا بنا عوضا # فاطلب و جرّب و استقص و اجتهد

ناولني حبل وصله بيد # و هجره جاذبا له بيد

فلم يكن بين ذا و ذا أمد # إلا كما بين ليلة و غد

أبيات من معلقة زهير و شرحها:

صوت

أ من [1] أم أوفى دمنة لم تكلم # بحومانة الدّراج فالمتثلّم

بها العين و الآرام يمشين خلفه # و أطلاؤها [2] ينهضن من كلّ مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة # فلأيا عرفت الدار بعد توهم

/ فلما عرفت الدار قلت لربيعها # ألا عم صباحا أيّها الرّبع و اسلم

و من يعص أطراف الرّجاج فإنّه # يطيع العوالي ركبت كلّ لهزم

و من هاب أسباب المنية يلحقها # و لو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل. الحومانة، فيما ذكر الأصمعيّ، الأرض الغليظة، و جمعها حوامين. و قال غيره: الحومانة: ما كان دون الرّمل. و الدّراج و المتثلّم. موضعان. و روى أبو عمرو عن بعض ولد زهير «الدّراج» مضمومة الدال. و العين: البقر. و الآرام [3] تسكن الجبال. خلفه: يذهب فوج و يجيء فوج يخلفه مكانه.

و يروى: مجثم و مجثم. فمن قال مجثم قال: جثم يجثم جثوما، و من قال مجثم قال: جثم يجثم جثما، و اللّأي: البطء. الرّجاج: جمع زجّ. قال: و أصله أنّ القوم كانوا إذا أرادوا صلحا قلبوا زجاج الرماح إلى فوق، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأستة. و اللّهزم: السنّان المجدّد؛ يقال رمح لهدم و سنّان لهزم: حادّ. و أمّ أوفى: امرأة كانت لزهير فطلقها. و له في ذلك خبر يذكر بعد هذا.

الشعر لزهير بن أبي سلمى. و الغناء للغريض، ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأوّل و الثاني من الأبيات. و فيها لبذل الكبيرة ثقيل أوّل بالبنصر. و لعلويه في الثالث و الرابع ثقيل أوّل. و لإبراهيم

ثاني ثقيل بالوسطى في الخامس و السادس. و فيهما ثقيل أوّل يقال إنه ليزيد حوراء: [1]أ من أمّ أوفى: يريد أ من منازل أمّ أوفى.

[2]الأطلاء: جمع طلا و هو ولد البقرة و الظبية الصغير. و قوله ينهضن: يعني أنهن ينمن أولادهن إذا أرضعنهن ثم يرعين، فإذا ظنن أولادهن قد أنفدن ما في أجوافهن من اللبن صوتن بأولادهن فينهضن من مجاثمهن للأصوات ليرضعن. (عن شرح «ديوان زهير» للأعلم الشنتمري) .

[3]الآرام من الظباء: البيض الخالصة البياض، كما قال ذلك الأصمعي و أبو زيد. و في «اللسان» أنها تسكن الرمال.

12-نسب زهير و أخباره

نسبه:

هو زهير بن أبي سلمى [1]. و اسم أبي سلمى ربيعة [2] بن رياح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصمّ بن عثمان بن [3] عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. و مزينة أمّ عمرو بن أدّ هي بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء:

و هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، و إنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، و هم امرؤ القيس و زهير و النابغة الذبيانيّ.

قال جرير هو شاعر الجاهلية:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي قيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال: شاعر أهل الجاهليّة زهير.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا هارون بن عمير قال حدّثنا أيّوب بن سويد قال حدّثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله الليثيّ [عن ابن عباس] [4] قال:

قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية [5]: أين ابن عبّاس؟ فأتيته [6]؛ فشكا تخلف عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقلت [6]: أولم يعتذر إليك؟ قال بلى، /قلت: فهو ما اعتذر به. ثم قال: أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر. إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة و النبوة-ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب [1] سلمى بضم السين. و ليس في العرب سلمى بضم السين غيره.

[2] في «شرح التبريزي على المعلقات»: «... ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن برد بن لاطم (و في هامش نسخة مخطوطة للزوزني محفوظة بدار الكتب المصرية برقم 47 أدب م «الأطم» بن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر» .

و في «طبقات الشعراء» لابن سلام: «... ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن لام بن عثمان بن مزينة» .

[3] في حـ «بن عثمان و هو عمرو إلخ» .

[4] تكملة في السند يقتضيها سياق الخبر.

[5]الجابية: «قربة من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الحولان قرب مرج الصفر في شمال حوران. و يقال لها جابية الحولان أيضا. (عن «معجم البلدان» لياقوت) .

[6]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «فأناه... فقال...» .

فتركتها [1]أنا-ثم قال: هل تروي لشاعر الشعراء؟ قلت: و من هو؟ قال:
الذي يقول:

/

و لو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا # و لكنّ حمد النَّاس ليس بمخلد

قلت: ذاك زهير. قال: فذاك شاعر الشعراء. قلت: و بم كان شاعر
الشعراء؟ قال: لأنه كان لا يعاظم في الكلام و كان يتجنّب وحشيّ الشعر، و
لم يمدح أحدا إلا بما فيه. قال الأصمعيّ: يعاظم بين الكلام: يداخل فيه [2].
و يقال: يتبع حوشيّ الكلام، و وحشيّ الكلام، و المعنى واحد.

كان قدامة بن موسى يقدّمه على سائر الشعراء:

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلامّ و أخبرني عمر بن موسى الجمحيّ
عن أخيه قدامة بن موسى-و كان من أهل العلم:- أنه كان يقدّم زهيراً. قلت:
فأيّ شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير من هرم # و السائلون إلى أبوابه طرقا

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية:

قال ابن سلامّ و أخبرني أبو قيس العنبريّ-و لم أر بدويّاً يفِي به-عن
عكرمة بن جرير قال:

قلت لأبي: يا أبت من أشعر الناس؟ قال: أ عن الجاهلية تسألني أم عن
الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام. فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها.
قال: زهير أشعر أهلها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر. /قلت:
فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك و يصيب وصف الخمر. قلت فما تركت
لنفسك؟ قال:

نحرت الشعر نحرا.

قال عنه الأحنف بن قيس هو أشعر الشعراء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن
عيسى بن يزيد قال:

سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء، فقال: زهير. قال: و
كيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قال: مثل ما ذا؟ قال: مثل
قوله:

فما يك من خير أتوه فإتّما # توارثه آباء آبائهم قبل

مدح عمر بن الخطاب شعره و روى منه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدّثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عبّاس، قال: و حدّثنيه غيره و هو أتمّ من حديثه، قال قال ابن عبّاس:

خرجت مع عمر في أوّل غزاة غزاها. فقال لي ذات ليلة: يا ابن عبّاس أنشدني لشاعر الشعراء. قلت: و من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي سلمى. قلت: و بم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتّبع حوشي الكلام، و لا يعاظم [1] ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ق 1 ص 2768-2771 فراجع.

[2] يعاظم الكلام: يحمل بعضه على بعض و يتكلم بالرجيع من القول و يكرر اللفظ و المعنى. أو يعقده و يوالي بعضه على بعض. و كل شيء ركب شيئاً فقد عاظمه. («اللسان» في مادة عظم).

من [1] المنطق، و لا يقول إلا ما يعرف، و لا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه. أ ليس الذي يقول: إذا ابتدرت [2] قيس بن عيلان غاية # من المجد من يسبق إليها يسود

/سبقت إليها كلّ طلق [3] مبرّز # سبوق إلى الغايات غير مزوّد

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه الـ # سراع [4] و إن يجهد و يجهدن يبعد

و لو كان حمد يخلد الناس لم تمت # و لكنّ حمد النَّاس ليس بمخلد

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر. فقال: حسبك الآن، اقرأ القرآن. قلت: و ما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأتها و نزل فأذن و صلى.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال حدّثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديث نحو هذا.

استعاذ منه النبي صلى الله عليه و سلم فما قال شعرا حتى

مات:

وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نظر إلى زهير بن أبي سلمى و له مائة سنة فقال: «اللهم أعذني من شيطانه» فما لأك بيتا حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله و ابن خاله لغزو طيء فمنعاه حقه في المغنم، و شعره في ذلك:

قال ابن الأعرابي و أبو عمرو الشيباني:

كان من حديث زهير و أهل بيته أنهم كانوا من مزينة، و كان بنو عبد الله بن غطفان جيرانهم، و قدما ولدتهم بنو مّرة. و كان من أمر أبي سلمى أنه خرج و خاله أسعد بن العدير بن مّرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض و ابنه كعب بن أسعد في ناس من بني مّرة يغيرون على طيء، فأصابوا نعما كثيرة و أموالا فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم. فقال أبو سلمى لخاله أسعد و ابن خاله كعب: أفردا لي سهمي، فأبيا عليه و منعاه حقه، فكفّ عنهما؛ حتى إذا كان الليل أتى أمّه فقال: و الذي أحلف به لتقومنّ إلى بعير من هذه الإبل فلتقعدنّ عليه أو لأضربنّ بسيفي تحت قرطيك. فقامت أمّه إلى بعير منها فاعتنقت سنامه، و ساق بها أبو سلمى و هو يرتجز و يقول: [1] الذي تقدّم في الصفحة السابقة: «يعاظل في الكلام». و الذي

في «اللسان» و شرح «القاموس» في استعمالات هذه المادة أنه يتعدى بنفسه، يقال عاظل الكلام كما يقال عاظل فيه و بينه.

[2]يقول: إذا تسابقت قيس بن عيلان لإدراك غاية من المجد تسوّد من سبق إليها كنت السابق إليها. و قيس بن عيلان: قبيلة. (راجع الجزء السادس من «الأغاني» حاشية رقم 1 ص 1 من هذه الطبعة) .

[3]يقال: رجل طلق اليدين إذا كان معطاء. و ظاهر أنه يريد أن يصف الجواد بأنه ماض يجود بما عنده من العدو. و المبرز: الذي سبق الناس إلى الكرم و الخير. و المزند هنا: البخيل أو اللئيم. و يروى: «غير مجلد» أي ينتهي إلى الغايات من غير أن يجلد و يضرب.

[4]في الأصول: «فيسرع». و التصويب عن «الديوان» بشرح الأعلام، و رواية البيت فيه.

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ # سراع و إن يجهدن يجهد و يبعد

ويل لأجمال العجوز مئى # إذا دنوت و دنون مئى

كأئى سمعع من جنّ

-سمعع: لطيف الجسم قليل اللحم-و ساق الإبل و أمّه حتى انتهى إلى قومه مزينة.

فذلك حيث يقول:

و لتغدون إبل مجنّبة # من عند أسعد و ابنه كعب

-مجنّبة: مجنوبة-

الأكلين صريح قومهما # أكل الحبارى[1]برعم الرّطب[2]

البرعم[3]: شجرة و لها نور-قال: فلبث فيهم حيناً، ثم أقبل بمزينة مغيرا على بني ذبيان. حتى إذا مزينة أسهلت و خلفت بلادها و نظروا إلى أرض غطفان، تطايروا عنه راجعين، و تركوه وحده. فذلك حيث يقول: من يشتري فرسا لخير غزوها # و أبت عشيرة ربّها أن تسهلا

/يعني أن تنزل السّهل. قال: و أقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل في أخواله بني مرّة. فلم يزل هو و ولده في بني عبد الله بن غطفان إلى اليوم.

قال معلقته في مدح هرم بن سنان و الحارث بن عوف و قد حملا دية هرم بن ضمضم في مالهما:

أ من أمّ أوفى دمنة لم تكلم

قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسيّ هرم بن ضمضم المرّيّ الذي يقول فيه عنتره و في أخيه: و لقد خشيت بأن أموت و لم تدر # للحرب دائرة على ابني ضمضم

و يمدح بها هرم بن سنان و الحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المرّيّين لأنهما احتملا ديته في مالهما؛ و ذلك قول زهير: سعى ساعيا غيظ بن مرّة بعد ما[4] # تبرّل ما بين العشيرة بالدمّ

يعني بني غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم أبو الحسن حدّثني أبو/عبيدة قال:

كان ورد بن حابس العبسيّ قتل هرم بن ضمضم المرّيّ، فتشاجر عبس و ذبيان قبل الصلح، و حلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس أو رجلا من بني عبس ثم من بني غالب، و لم يطلع [1]الحباري: طائر يضرب به المثل في البلاهة و الحمق، و هو طائر صحراوي يبيض في الرمال النائية.

[2]الرطب: الرعي الأخضر من البقل و الشجر، و قبيل جماعة العشب الأخضر.

[3]الذي في «اللسان» : أن البرعم كم ثمر الشجر و النور، و قيل هو زهرة الشجر و نور النبات قبل أن يتفتح. و قد استشهد بهذا البيت.

[4]ما و الفعل بتأويل المصدر. و تبزل: تشقق، و بالدم: يريد بسفك الدم. يقول: سعى هذان السيدان (هرم بن سنان و الحارث بن عوف) في إحكام العهد بين عبس و ذبيان بعد تشقق الألفة و المودة بين القبيلة بسبب سفك الدماء بين عبس و ذبيان. (انظر «شرح ديوان زهير» للأعلم الشنتمري).

على ذلك أحدا، و قد حمل الحماله [1] الحارث بن عوف بن أبي حارثة،
و قيل بل أخوه حارثة بن [2] سنان.

فأقبل [3] رجل/ من بني عيس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بحصين بن
ضمضم. فقال له حصين: من أنت أيها الرجل؟ قال: عيسي. قال: من أي
عيس؟ فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى بني غالب، فقتله حصين. و بلغ ذلك
الحارث بن عوف و هرم بن سنان فاشتد عليهما، و بلغ بني عيس فركبوا
نحو الحارث. فلما بلغه ركوبهم إليه و ما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم و
أثم يريدون قتل الحارث، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه، و قال
للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال
لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم: «الإبل
أحب إليكم أم ابني تقتلونه مكان قتلكم». فقالوا ناخذ الإبل و نصلح قومنا،
و نتم الصلح. فذلك حين يقول زهير يمدح الحارث و هرما: أ من أم أوفى
دمنة لم تكلم

و هي أول قصيدة مدح بها هرما، ثم تابع ذلك بعد.

قصة زواج الحارث بن عوف ببهيسة بنت أوس و تحمله الدية في ماله بين عيس و ذبيان:

و قد أخبرني الحسن بن عليّ بهذه القصة، و روايته أتم من هذه، قال
حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال
حدّثنا محمد بن إسحاق المسيبيّ قال حدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد
العزیز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: قال الحارث بن
عوف بن أبي حارثة: أ تراني [4] أخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: و
من ذاك؟ قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلامه: ارحل
بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما
رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حار. قال: /و بك. قال: ما جاء بك يا
حار؟ قال: جئتك خاطبا. قال: لست هناك. فانصرف و لم يكلمه. و دخل
أوس على امرأته مغضبا و كانت من عيس فقالت: من رجل وقف عليك فلم
يطل و لم تكلمه؟ قال: ذاك سيّد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة
المريّ. قالت: فما لك لم [5] تستنزله؟ قال: إنه استحمق. قالت: و كيف؟ قال:
جاءني خاطبا. قالت: أ فتريد أن تزوج بناتك؟ قال نعم. قالت: فإذا لم تزوج
سيّد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدرك ما كان منك. قال بما
ذا؟ قالت: تلحقه فترده. قال: و كيف و قد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت

تقول له: إنك لقيتني مغضبا بأمر لم تقدّم فيه[6]قولا، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فانصرف و لك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما. قال خارجه بن سنان: فو الله إنني لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيتة، فأقبلت على الحارث و ما يكلمني غمّا فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا. قال: و ما نضع به! امض! فلما [1]الحمالة: الدية.

[2]في «شرح التبريزي» و ابن الأنباري على «المعلقات» و الأعلّم الشنتمري و «شرح ثعلب لديوان زهير»: «و قد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة و هرم بن سنان بن أبي حارثة» .

[3]في الأصول: «فأقبل على رجل إلخ» و التصويب عن المصادر المتقدّمة.

[4]هكذا في الأصول. و لم يذكر المخاطب الذي كان يحدثه. و باقي القصة يعين أنه خارجه بن سنان.

[5]في ب، س: «لاستنزله» .

[6]كذا في ج. و في سائر الأصول: «لم تقدّم مني فيه قولا» . .

رأنا لا نقف عليه صاح: يا حار اربع عليّ ساعة. فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا. فبلغني أن أوسا لَمَّا دخل منزله قال لزوجته أدعي لي فلانة (لأكبر بناته) فأنته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عوف سيّد من سادات العرب، قد جاءني طالبا خاطبا، و قد أردت أن أزوّجك منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. /قال: و لم؟ قالت: لأنّي امرأة في وجهي ردّة [1]، و في خلقي بعض العهدة [2]، و لست بابنة عمّه فيرعى رحمي، و ليس بجارك في البلد فيستحي منك، و لا آمن أن يرى منّي ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله عليك.

ادعي لي فلانة (لابنته الوسطى)؛ فدعتها، ثم قال لها مثل قوله لأختها؛ فأجابته بمثل/جوابها و قالت: إني خرقاء و ليست بيدي صناعة، و لا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون عليّ في ذلك ما تعلم، و ليس بابن عمّي فيرعى حقّي، و لا جارك في بلدك فيستحيك. قال: قومي بارك الله عليك. أدعي لي بهيسة (يعني الصغرى) ، فأتي بها فقال لها كما قال لهما. فقالت: أنت و ذاك. فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت- و لم يذكر لها مقالتيهما- لكّني و الله الجميلة وجهها، الصّناع يدا، الرفيعة خلقا، الحسبية أبا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير.

فقال: بارك الله عليك. ثم خرج إلينا فقال: قد زوّجتك يا حارث بهيسة بنت أوس. قال: قد قبلت. فأمر أمّها أن تهيبّها و تصلح من شأنها، ثم أمر بيت فضرب له، و أنزله إياه. فلَمَّا هيبّت بعث بها إليه. فلَمَّا أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج إليّ. فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا و الله. قلت: و كيف ذاك؟ قال: لَمَّا مددت يدي إليها قالت: مه! أ عند أبي و إخوتي!! هذا و الله ما لا يكون. قال: فأمر بالرحلة فارتحلنا و رحلنا بهامعنا، فسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدّم فتقدمت، و عدل بها عن الطريق، فما لبث أن لحق بي. فقلت: أفرغت؟ قال لا و الله. قلت: و لم؟ قال:

قالت لي: أ كما يفعل بالأمّة الجليبة أو السبيّة الأخيذة! لا و الله حتى تنجر الجزر، و تذبح الغنم و تدعو العرب، و تعمل ما يعمل لمثلي. قلت: و الله إني لأرى همّة و عقلا، و أرجو أن تكون المرأة منجبة إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل و الغنم، ثم دخل عليها و خرج إليّ. فقلت: أفرغت؟ قال لا. قلت: و لم؟ قال: دخلت عليها أريدها، و قلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين، فقالت: و الله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك.

قلت: و كيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء و العرب تقتل بعضها! (و ذلك في أيام حرب عبس و ذبيان) . قلت: فيكون ما ذا؟ قالت: اخرج/إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: و الله إنني لأرى همّة و عقلا، و لقد قالت قولاً. قال: فاخرج بنا. فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الدّيات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذّكر. قال محمد بن عبد العزيز: فمدحوا بذلك، و قال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته:

أ من أمّ أوفى دمنة لم تكلم

فذكرهما فيها فقال:

تداركتما عيسا و ذبيان بعد ما # تفانوا و دقّوا بينهم عطر منشم[3]

[1]الردة: القبح مع شيء من الجمال.

[2]العهدة: الضعف.

[3]منشم زعموا أنها امرأة عطارة من خزاعة، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا، فضرب زهير بها المثل، أي صار هؤلاء في شدة الأمر بمنزلة أولئك. و قيل: هي امرأة من خزاعة كانت تبيع عطرا فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم فتشاءموا بها، و كانت تسكن مكة. و فيه أقوال أخرى كثيرة راجعها في «لسان العرب» (في مادة نشم) و أمثال الميداني في

فأصبح يجري فيهم من تلادكم # مغانم شئى من إفال[1] المرثم
ينجمها[2] قوم لقوم غرامة # و لم يهريقوا بينهم ملء محجم

و ذكر قيامهم في ذلك فقال:

«صحا القلب عن سلمى و قد كاد[3] لا يسلو»

/و هي قصيدة يقول فيها:

تداركتما الأحلاف[4] قد ثلّ عرشها # و ذبيان قد زلّت بأقدامها التعل

و هذه لهم شرف إلى الآن، و رجع فدخل بها، فولدت له بنين و بنات.

مدح بقصيدته القافية هرما و أباه و إخوته:

و مما مدح به هرما و أباه و إخوته و غنّى فيه قوله:

صوت

إنّ الخليط[5] أجدّ البين فانفرقا # و علق القلب من أسماء ما علقا

و أخلفتك ابنة البكريّ ما وعدت # فأصبح الحبل منها واهنا[6] خلقا

قامت تبدّى بذى ضال لتحرزني # و لا محالة أن يشناق من عشقا

بجيد مغزلة أدماء خاذلة # من الطباء تراعي شادنا خرقا

انفرق: انفعل، من الفرقة. و أجدّ و جدّ بمعنى واحد، من الجدّ خلاف اللعب. و الواهن و الواهي واحد.

و الحبل: السبب في المودّة[7]. و الصّال: السّدر الصّغار، واحدها ضالة. و الجيد: العنق. و المغزلة: الطيبة التي لها غزال. و الأدماء: البيضاء. و الخاذلة: المقيمة على ولدها و لا تتبع الطباء. و الشّادن: الذي قد شذن أي تحرّك و لم يقو بعد. و الخرق: الدّهش.

غنّى مالك في الأوّل و الثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى، و قيل إنه لابن جامع، و قيل بل لحن ابن «أشأم من منشم» و في «شرح الأعلام الشنتري» لديوان زهير.

[1]الإفال: جمع أفيل و هو الصغير من الإبل، و المزنم: اسم فحل معروف. و التلاد: المال القديم الموروث. و إنما خص الإفال لأنهم كانوا يغرمون في الدينة صغار الإبل. (عن الأعلام). و يروي هذا البيت في شرح

«القاموس» (في مادة «زنم») هكذا) : فأصبح يحدي فيهم من تلاككم #
مغانم شتى من إفال مزنم

[2]ينجمها قوم: أي تجعل نجوما أي أفساطا على غارمها. يريد أن
هذين الساعيين حملا دماء من قتل و غرم فيها قوم من رهطهما على أنهم
لم يصبوا ملء محجم من دم، أي أعطوا فيها و لم يقتلوا (عن الأعلم) .
[3]في أ، م: «كان» .

[4]الأحلاف: أسد و غطفان و طيء. و ثلّ عرشها: أي أصابها ما كسرها
و هدمها. و ذبيان: قبيلة الممدوحين و هم من غطفان. و إنما فصلهم منهم
لأن حصين بن ضمضم المري جنى عليهم الحرب و هو منهم لأن مرة من
ذبيان. و يقال «زلت بأقدامها النعل» إذا وقعت القبيلة في حيرة و ضلال.
(عن الأعلم) .

[5]الخليط: المخالط، و يقال للجمع أيضا خليط.

[6]في أ، م: «واهيا» بالياء المثناة.

[7]في أ، م: «المحبة» .

جامع بالبنصر. و في الثالث و الرابع لابن المكيّ رمل صحيح من روايتي
بذل و الهشاميّ.

/و في هذه القصيدة يقول يمدح هرما:

قد جعل المبتغون الخير من هرم # و السائلون إلى أبوابه طرفا
من يلق يوما على علّته هرما # يلق السماحة منه و التدى خلقا
ليث بعثر[1] يصطاد اللّيوث[2] إذا # ما اللّيث كدّب[3] عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطّعنوا # ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا[4]

خرف سنان بن أبي حارثة ثم مات فرثاه:

و من مدائحه[5] إيّاهم قوله يمدح أبا هرم سنان بن أبي حارثة. و ذكر
ابن الكلبيّ أنه هوي امرأة فاستهيم بها؛ و تفاقم به ذلك حتى فقد فلم يعرف
له خبر. فتزعم بنو مرّة أنّ الجنّ استطارته فأدخلته بلادها، و استعجلته
لكرمه. و ذكر أبو عبيدة أنّه قد كان هرم حتى بلغ مائة و خمسين سنة؛ فهام
على وجهه خرقا ففقد. قال: فزعم لي شيخ من علماء بني مرّة أنه خرج
لحاجته بالليل فأبعد، فلمّا رجع ضلّ[6] فهام طول ليلته حتى سقط فمات، و
تبع قومه أثره فوجدوه ميّتا فرثاه[7] زهير بقوله: إنّ الرّزيّة لا رزيّة مثلها[8]
ما تبتغي غطفان يوم أضلت[9]

/إنّ الرّكاب[10] لتبتغي ذا مرّة # بجنوب نجد[11] إذا الشهور أحت

ينعين خير الناس عند شديدة # عظمت مصيبته هناك و جلّت

و مدقّ ذاق الهوان ملّعن # راخيت عقدة حبله[12] فانحلّت

و لنعم حشو الدّرع كان إذا سطا[13] # نهلت من العلق[14] الرّماح و علّت

[1] عثر: (بتشديد الثاء) اسم موضع باليمن، و قيل: هي أرض مأسدة

بناحية تبالة.

[2] في ح و «الديوان»: «الرجال» .

[3] كذب: أي لم يصدق الحملة. يقال: كذب الرجل عن كذا إذا رجع

عنه. يقول: إذا رجع الشجاع عن قرنه و لم يصدق الحملة عليه فهذا
الممدوح يصدقها. (عن الأعلام) .

[4] اعتنق: التزم قرنه. يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل

هو تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا

بالسيوف اعتنق قرنه و التزمه، أي أنه يزيد عليهم في كل حال من أحوال الحرب. (عن الأعلام) .

[5] الأبيات الآتية في الرثاء. و الرثاء ضرب من المدح.

[6] في الأصول: «مثل» و هو تحريف.

[7] في الأعلام: «و قيل إنما رثى بالأبيات حصن بن حذيفة» .

[8] في أ، م: «بعدها» .

[9] يقال: ضل فلان الطريق و أضل بغيره يقال الأوّل للثابت و الثاني لغيره.

[10] الركاب: الإبل، و المراد راکبوها. و ذا مرة أي ذا عقل و رأي مبرم. و قوله «إذا الشهور أحلت» أي إذا دخلت الشهور التي يحل فيها الغزو.

[11] في «ديوان زهير بشرح الأعلام» النحوي: «بجنوب نخل» .

[12] في أ، م: «كبله» و الكبل: القيد.

[13] في «شرح الأعلام» : «و لنعم حشو الدرع أنت لنا إذا» .

[14] العلق: الدم.

أشعار له غنّى فيها:

/و الذي فيه غناء من مدائح زهير قوله:

صوت

أ من أمّ سلمى[1]عرفت الطلولا # بذى حرض ما ثلاث مثولا

بلين و تحسب آياتهن # على[2]فرط حولين رقًا محيلا[3]

المائل هاهنا: اللاطئ بالأرض، و في موضع آخر: المنتصب القائم. و ذو حرض: موضع. و الحرض: الأشنان. و آياتهنّ: علاماتهم. و فرط حولين: تقدّم حولين، و الفارط: المتقدّم.

غنّى في هذين البيتين إسحاق، و له فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، من كتابه. و الآخر ما خوريّ من مجموع غنائه، و روايته عن الهشاميّ. و فيهما للزبير بن دحمان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو. يقول فيها: إليك سنان الغداة الرّحيد # ل أعصي النّهاة و أمضي الفئولا

جمع فال، أي لا أتطيّر.

/

فلا تأمني[4]غزو أفراسه # بني وائل و احذره جديلا

و كيف اتقاء امرئ لا يؤو # ب بالقوم في الغزو حتى يطيلا[5]

و من الغناء في مدائح هرم قوله:

صوت

قف بالدّيار التي لم يعفها القدم # بلى و غيرها الأرواح و الدّيم

كأنّ عيني و قد سال السّليل بهم # و عبرة[6]ما هم لو أنّهم أمم

غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق # في السّلك خان به ربّاته النّظم

الدّيم: جمع ديمة و هو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون. سال السّليل بهم: أي ساروا فيه سيرا سريعاً. و السّليل: واد. و قوله و عبرة ما هم أي هم عبرة[7]، و ما هاهنا صلة. لو أنّهم أمم أي قصدت أروهم. و الأمم: بين القريب و البعيد. و القلق: الذي لم يستقرّ لما انقطع الخيط. و النّظم: جمع واحدها نظام، شبّه دموعه بلؤلؤ انقطع سلكه، و بماء سال من الغرب.

- [1] في «شرح الأعلام» : «أ من آل ليلى إلخ» .
- [2] في «شرح الأعلام» : «عن» .
- [3] المحيل: الذي أتى عليه حول. شبه رسوم الدار برق مكتوب قد أتى عليه حول بحيث يتغير و يدرس.
- [4] يريد: يا بني وائل لا تأمني غزو فرسانه، و يا جديلة احذريه. و جديلة أم فهم و عدوان، و كان سنان يجاورهم. (عن الأعلام) .
- [5] أي هو مطيل للغزو لأنه يتتبع أقصى أعدائه فلا يثوب بالقوم من غزوه إلا بعد مدة طويلة. فاتقاء مثل هذا أشد اتقاء. (عن الأعلام) .
- [6] روي في «لسان العرب» مادة أمم: «و جيرة» و كذلك روي في مادة سئل مردفا بقوله: «و يروي: و عبرة» .
- [7] أي هم سبب بكائي و حزني.

الغناء في هذه الأبيات رمل لابن المكيّ بالوسطى عن عمرو. و ذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحنا أيضا.
و ذكر يونس أن فيها لحنا لمالك.

صوت

لمن الدّيار بفتّة الحجر[1] # أقوين مذ حجج[2] و مذ دهر
/لعب الرّيح بها و غيرّها # بعدي سوافي الرّيح[3] و القطر
دع ذا وعدّ القول في هرم # خير الكهول و سيّد الحضر
لو كنت من شيء سوى بشر # كنت المنوّر ليلة البدر

القنّة: الجبل الذي ليس بمنتشر. أقوين: خلون. و السّوافي: ما تسفي الرياح[4]. قال: و القطر مخفوضة بنسقه على الرّيح[5]، و القطر لا سوافي[6] له. و هذا تفعله العرب في المجاورة، و هو مثل/قولهم: حجر ضبّ خرب.

عنى في هذه الأبيات سائب خائر من رواية حمّاد عن أبيه، و لم يجنّسه. و فيه ثقل أوّل بالبنصر نسبه عمرو بن بانة إلى معبد، و نسبه غيره إلى سائب، و إلى الأوسيّة مما ذكر حبش. قال: و هي من قيان الحجاز القدائم مولاة للأوس.

و منها قوله يمدح سنان بن أبي حارثة:

صوت

صحا القلب عن سلمى و قد كاد[7] لا يسلو # و أقفر من سلمى التّعانيق فالتقل
و قد كنت من سلمى سنين ثمانيا # على صير أمر ما يمرّ و ما يحلو
و كنت إذا ما جئت يوما لحاجة # مضت و أجمت حاجة الغد ما تخلو
و كلّ محبّ أحدث النأي عنده # سلوّ فؤاد غير حبّك ما يسلو
تأوّنني ذكر الأحبة بعد ما # هجعت و دوني قلّة الحزن فالرّمل
/فأقسمت جهدا بالمنازل من منى # و ما سحفت فيه المقاديم[8] و القمل

[1] الحجر: موضع بعينه و هو حجر اليمامة.

[2] في ج و «ديوانه»: «من حجج و من شهر» .

[3] في «شرح الأعلام»: «المور» و هو التراب.

[4] هذا على الرواية التي ذكره المؤلف. و على رواية الأعلّم يراد بالسوافي الرياح، يعني أن الرياح و الأمطار تردّدت على هذه الديار حتى عفت رسومها و غيرت أثارها بما سفت الرياح عليها من التراب و محت الأمطار من الآثار.

[5] في الأصول: «على الرياح» .

[6] إذا فسرت السوافي بالرياح فيصح أن يكون القطر مما تسفيه الرياح.

[7] في أ، م: «كان» .

[8] المقاديم: جمع مقدم الرأس، و أراد بالقمل: الشعر الذي فيه القمل، على تقدير مضاف، أي و شعر القمل. و قد يراد على معناه فإنه تابع و مسحوف مع المقاديم و شعرها.

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن # إلى الليل إلا أن يعرّجني طفل
و هل ينبت الخطيَّ إلا وشيجه # و تغرس إلا منابتها التّخل[1]

التّعانيق و التّقل: موضعان. و يروى: فالنّخل. و قوله على صير أمر: أي على شرف أمر. و أجمت: دنت. و تأوّني: أتاني ليلا. و التأويب: سير يوم إلى الليل. سحفت: حلقت، يقال سحفت رأسه و سبته و جلطه: حلّقه. و قوله «يعرّجني طفل» قال يقال الطفل: الليل، و يقال الطفل: مغيب الشمس، و قال أبو عبيدة: الطفل: الحزن، و إيقاده نار[2] التّحير. و الخطيَّ: رماح نسبها إلى الخط و هي من جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح. و الوشيح: القنا واحدها وشيحة. و الوشوح: دخول الشيء بعضه في بعض.

عنى إبراهيم الموصلي في الأوّل و الثاني ثقيلاً أوّل بالبنصر من رواية الهشاميّ و عمرو. و عنى إبراهيم أيضا في السادس و السابع و الثامن خفيف ثقيل. و في الثالث لمعبد خفيف ثقيل. و لعلويه في السابع و الثامن خفيف رمل. و ذكر حبش أن لإبراهيم في الثامن لحنا ماخوربًا.

و من الغناء في مدائحه هرما قوله:

صوت

لمن طلل برامة لا يريم[3] # عفا و أحاله عهد قديم[4]
/تطالعني خيالات لسلمي # كما يتطالع الدّين الغريم

عناّه دحمان ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو. و عفا: درس هاهنا، و في موضع آخر: كثر، و هو من الأضداد.

و خيالات: جمع خيال.

أنشد عمر رضي الله عنه شعرا له في هرم بن سنان فمدحه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّه، و قال المهلبيّ في خبر له عن الأصمعيّ قال:

أنشد عمر بن الخطاب قول زهير في هرم بن سنان يمدحه:

دع ذا وعدّ القول في هرم # خير الكهول و سيّد الحضر

لو كنت من شيء سوى بشر # كنت المنور ليلة البدر

و لأنت أوصل منح سمعت به # لشوابك الأرحام و الصّهر

/و لنعم حشو الدّرع أنت إذا # دعيت نزال و لِحّ [5] في الدّعر

[1] هذا البيت وارد في «ديوانه» في القصيدة بعد أبيات عدّة لم يذكرها أبو الفرج، و قبله: فما يك من خير أتوه فإنما # توارثه إباء آبائهم قبل

[2] نار التحير: هي النار التي توقد لهداية الحائر.

[3] لا يريم: لا يبرح.

[4] رواية «الديوان»: عفا و خلاله حقب قديم

[5] في أ، م: «لز» بالزاي.

و أراك تفري[1] ما خلقت و بع # ض القوم يخلق ثم لا يفري
أنتي عليك بما علمت و ما # أسلفت في التّجديات من ذكر
و السّتر دون الفاحشات و لا # يلفاك دون الخير من ستر
فقال عمر: ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم:

قال و قال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدح زهير أباك،
فأنشده. فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول. قال: و نحن و الله إن كنّا
لنحسن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه و بقي ما أعطاكم.

حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه:

قال: و بلغني أنّ هِرْمًا كان قد حلف ألاّ يمدحه زهير إلاّ أعطاه، و لا
يسأله إلاّ أعطاه، و لا يسلم عليه إلاّ أعطاه: عبدا أو وليدة أو فرسا. فاستحيا
زهير مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملاً قال: عموا صباحا غير هرم، و
خيركم استثنيت. و روى المهلبيّ: و خيركم تركت.

سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه إياها هرم فأجابته:

أخبرني الجوهريّ و المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّه قال:
قال عمر لابن زهير: ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك؟ قال: أبلاها
الدهر. قال: لكنّ الحلل التي كساها أبوك هرما لم يبيلها الدهر. و قد ذكر
الهيثم بن عديّ أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير.

شعر له مدح به هرما و لم يسبقه إليه أحد:

و قال أبو زيد عمر بن شبّه: و مما سبق فيه زهير في مدح هرم و لم
يسبقه إليه أحد قوله: قد جعل المبتغون الخير من هرم # و السائلون إلى
أبوابه طرقا

من يلق يوما على علّته هرما # يلق السّماحة منه و التّدى خلقا

يطلب شأو امر أين قدّما حسبا [2] # بدّا الملوك و بدّا هذه السّوقا

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما # على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل [3] # فمثل ما قدّما من صالح سبقا

[1] تفري: تقطع. و خلقت أي قدرت الأديم و هيأته للقطع و الخرز. و
المعنى: أنك إذا تهيات لأمر مضيت له و أنفذته و لم تعجز عنه، و بعض القوم

يقدر الأمر و يتهاياً له ثم لا يقدم عليه و لا يمضيه عجزاً و ضعف همة. (عن «شرح الأعلم») .

[2]رواية هذا البيت في «شرح الأعلم» للديوان.

يطلب شأو امرأين قدّما حسنا # نالا الملوك و بدّا هذه السوقا

و أراد بالمرأين: أباه وجدّه. يقول: تساوى أبواه بالملوك و سبقا أوساط الناس و هو يطلب سبقهما، و ذلك شديد لأنهما لا يجاريان في فعل. (عن «شرح الأعلم») .

[3]المهل: التقدّم. يقال أخذ فلان المهلة و المهل على فلان إذا تقدمه. يقول: إن الممدوح معذور إذا سبقه أبواه و أخذاً عليه المهلة في الشرف؛ لأن مثل فعلهما و ما قدماه من صالح سعيهما سبق من جاراها. (عن «شرح الأعلم») .

مدح عبد الملك بن مروان شعره في مدح آل أبي حارثة:
 أخبرني الجوهرى و المهلبى قالا حدّثنا عمر بن شبة قال قال المدائنى:
 قال عبد الملك بن مروان: ما يضّرّ من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة
 من قوله: على مكثريهم رزق من يعثريهم[1] # و عند المقلين السّماحة و
 البذل

ألا يملك أمور الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال: ما ترك منهم زهير
 غنيا و لا فقيرا إلا وصفه و مدحه.

مدح عثمان بن عفان شعرا له:
 و قال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي: أنشد عثمان بن عفان قول
 زهير: و منهما تكن عند امرئ من خليفة # و إن خالها تخفى على الناس
 تعلم

فقال: أحسن زهير و صدق، لو أنّ رجلا دخل بيتا في جوف بيت لتحدّث
 به الناس. قال و قال النبي صلى الله عليه و سلم: «لا تعمل عملا تكره أن
 يتحدّث عنك به» .

**تمثل عروة بن الزبير بيت له و قد استخف به عبد الملك بن
 مروان:**

قال و قال علي بن محمد المدائنى حدّثني ابن جعدويه: أنّ عروة بن
 الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن الزبير. فكان إذا
 دخل إليه منفردا أكرمه، و إذا دخل عليه و عنده أهل الشام استخفّ به.
 فقال له يوما: يا أمير المؤمنين، بنس المزور أنت؛ تكرم ضيفك في الخلا، و
 تهينه في الملا، و قال[2]: لله درّ زهير حيث يقول: /

فقري في بلادك إنّ قوما # متى يدعوا بلادهم يهونوا

ثم استأذنه في الرّجوع إلى المدينة، فقضى حوائجه و أذن له. و هذا
 البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم، و قد بلغه أنها حشدت لغزو
 غطفان؛ أولها: /

ألا أبلغ لديك بني تميم # و قد يأتيك بالخبر الطّنون

الطّنون: الذي لست منه على ثقة. و الظنين: المتهّم.

شعره في الحارث بن ورقاء و قد أخذ إبله و غلا:

كان الحارث بن ورقاء الصّيداوي من بني أسد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق[3]إبل زهير و راعيه يسارا. فقال زهير: بان[4]

الخليط و لم يأووا لمن تركوا # و زودوك اشتياقا أئمة سلكوا

[1]يعتريهم: يقصدهم و يطلب ما عندهم.

[2]في أكثر النسخ: «فقال» و في ج: «قال» .

[3]كذا في ب، س. و في سائر النسخ: «فاستخف» .

[4]كذا في «الديوان» . و في الأصول: «إن الخليط» . و الخليط: الأصحاب المخالطون في الدار. و لم يأووا: أي لم يرحموا و لم يرقوا.

و هي طويلة يقول فيها:

لئن حللت بجؤ [1] في بني أسد # في دين [2] عمرو و حالت بيننا فدك
ليأتيتك مني منطلق قدع # باق كما دّس القبطية [3] الودك
فاردد يسارا و لا تعنف عليه و لا # تمعك [4] بعرضك إنّ الغادر المعك
و لا تكونن كأقوام علمتهم # يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا [5]
طابت نفوسهم عن حقّ خصمهم # مخافة الشرّ و ارتدّوا لما تركوا [6]

/و في هذه القصيدة مما يغنى فيه:

صوت

أهوى لها أسفع الخدين مطّرق # ريش القوادم لم ينصب [7] له شرك
و قد [8] أكون أمام الحيّ تحملني # جرداء لا فحج فيها و لا صكك

أهوى لها-يعني القطاة تقدّم وصفه إيّاها-صقر. و رواه الأصمعيّ: «هوى لها» و قال: هوى: انقضّ، و أهوى: أوفى. و مطّرق: ريشه بعضه على بعض ليس بمنتشر، و هو أعتق له. و قوله لم ينصب له شرك: أي لم يصطد و لم يذلل. و القوادم: العشر المتقدّمات. و الفحج: تباعد ما بين الفخذين. و الصكك: اصطكاك العرقوبين في الدوابّ، و في الناس الركبتين. قال: فلمّا أنشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام إلى زهير. و قيل: بل أنشد قول زهير: تعلم أنّ شرّ الناس حيّ # ينادى في شعارهم يسار [9]

[1] جو: واد.

[2] كذا في ج و «الديوان» و ياقوت في كلامه على فدك. و المراد بدين عمرو: طاعته و سلطانه. و عمرو هو عمرو بن هند الملك. و في سائر النسخ و ياقوت في كلامه على دير عمرو: «دير عمرو». و قال: «دير عمرو: جبال في طيء قرب قرية لهم يقال لها جو». ثم ذكر هذا البيت و الذي بعده. و فدك: قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان أو ثلاثة.

[3] كذا في «الديوان». و القبطية (بضم القاف) : ثياب كتان بيض رفاق تعمل بمصر منسوبة إلى القبط (بكسر القاف) على غير قياس.

و في الأصول «القطيفة» و هو تحريف. و الودك: الدسم. يقول: لئن حللت بحيث لا أدركك ليردن عليك هجوي و لأدنسنّ به عرضك كما يدنس الودك القبطية.

[4]المعك: المطل و زنا و معنى. و المعك (بكسر العين) : المطول.
يقول: لا تمطلني بيسار فمطلك غدر. و كلما مطلني لحق ذلك بعرضك.

[5]يلوون ما عندهم أي يمطلون بما عليهم من الدين. و نهكوا: شتموا
و بولغ في هجائهم. (عن «شرح الأعلام») .

[6]أي لما أوزوا بالهجاء دفعوا الحق إلى صاحبه و ارتدوا إلى إعطاء ما
كانوا تركوه و منعه من الحق مخافة من الشر و إبقاء على أعراضهم. (عن
«شرح الأعلام») .

[7]رواية «لديوان بشرح الأعلام» : «لم ينصب له الشبك» . و نصب
ريش القوادم على التشبيه بالمفعول به، كما تقول: زيد حسن الوجه، بنصب
الوجه. (راجع «شرح الأعلام») .

[8]هكذا غنى في هذا البيت. و أصله كرواية «الديوان» :

و قد أروح أمام الحيّ مقتنصا # قمرًا مراتعها القيعان و التّبك

و صاحبي وردة نهد مراكلها # جرداء لا فحج فيها و لا صكك

[9]الشعار: علامة القوم في سفرهم: اسم رجل أو شيء قد عرفوه
فيما بينهم إذا دعوا به عرفوه. و إنما أراد أن يسارا صار عيبا عليهم

و لو لا عسبه [1] لرددتموه # و شرّ منيحة [2] أير [3] معار
 إذا جمحت [4] نساؤكم إليه # أشطّ [5] كأثّه مسد مغار
 /بيربر [6] حين يعدو [7] من بعيد # إليها و هو قبقاب قطار

فرده عليه. فلامه قومه و قالوا له: اقتله و لا ترسل به إليه، فأبى عليهم. فقال زهير عند ذلك: أبلغ لديك بني الصّيداء كلّهم # أنّ يسارا أتانا غير مغلول

و لا مهان و لكن عند ذي كرم # و في حبال و فيّ العهد [8] مأمول

و هي قصيدة. فقال الحارث لقومه: أيّما أصلح: ما فعلت أو ما أردتم؟ قالوا: بل ما فعلت.

كان يذكر في شعره بنو غطفان و أحوال بني مرة و يمدحهم:
 قال ابن/الأعرابيّ و حدّثني أبو زياد الكلابيّ:

أنّ زهيرا و أباه و ولده كانوا في بني عبد الله بن غطفان، و منزلهم اليوم بالحاجر [9]، و كانوا فيه في الجاهلية.

و كان أبو سلمى تزوّج إلى رجل من بني فهر بن مّرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير [10]- و الغدير هو أبو بشامة الشاعر [11]- فولدت له زهيرا و أوسا، و ولد لزهير من امرأة من بني سحيم. و كان زهير يذكر في شعره بني مّرة و غطفان و يمدحهم. و كان زهير في الجاهلية سيّدا كثير المال حليما معروفا بالورع.

شكا إليه رجل من غطفان بني عليم بن جناب فهجاهم:

قال و حدّثني حمّاد الرواية عن سعيد الرواية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أنّ زهيرا هجا آل بيت من كلب من بني عليم بن جناب [12]، و كان بلغه عنهم شيء من وراء وراء، و كان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم [13]، و أكرموه لمّا نزل بهم و أحسنوا جواره، و كان رجلا مولعا يعرفون به كما يعرف كل قوم بشعارهم. (عن «شرح الديوان» لثعلب).

[1] العسب: الضراب و النكاح أو هو ماء الفحل.

[2] المنيحة: العارية.

[3] في «شرح الأعلم»: «عسب» .

- [4]رواية «اللسان» في مادة شظظ: «جنحت» .
- [5]كذا في «الديوان» . و أشظ: أنعظ و اشتدّ. و في الأصول: «أشد» . و المسد: الحبل. و المغار: الشديد الفتل.
- [6]يبربر: يصوت. و القبقاب: من القبقبة و هي هدير الفحل. و القطار (بضم أوله) : وصف من القطر أي يسيل، و قيل عن أبي محمد: المنتصب الرافع رأسه. (عن «شرح ثعلب») .
- [7]كذا في ح و «الديوان» بشرح الأعلام. و في «الديوان» بشرح ثعلب: «يغدو» بالغين المعجمة. و في سائر الأصول: «يبدو» .
- [8]ورد هذا الشطر في «شرح الديوان» للأعلم الشنتمري هكذا: «و في حبال و في غير مجهول» . و الحبال: العهود و الذمم.
- [9]في الأصول: «بالحاجز» بالزاي و هو تصحيف.
- [10]كذا في «شرح ثعلب» ، و قد صححه المرحوم الأستاذ الشنقيطي كذلك في نسخته، و يرجحه ما سيأتي في ص 312 من هذه الترجمة. و في الأصول هنا: «الغابر» .
- [11]كذا في «شرح الديوان» لثعلب في الدخول على قصيدته الهمزية. و في الأصول: «هو أبو يسار هذا» و هو تحريف.
- [12]كذا في «شرح ثعلب» و «المعارف» لابن قتيبة. و في الأصول: «حبان» و هو تحريف.
- [13]في الأصول: «غليب» و هو تحريف. -

بالقمار فهو عنه، فأبى إلا المقامرة. قمر مرة فردّوا عليه، ثم قمر أخرى فردّوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردّوا عليه، فترجّل عنهم و شكّا ما صنع به إلى زهير، و العرب حينئذ يتّقون الشعراء اتقاء شديدا. فقال: ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيني الله بعقوبة لهجائي قوما ظلمتهم. قال: و الذي هجاهم به قوله: عفا من آل فاطمة الجواء # فيمن فالقوام فالحساء[1]

فذو هاش[2] فميث عربينات[3] # عفتها الرّيح بعدك و السماء

جرت سنحا فقلت لها أجزبي # نوى مشمولة فمتى اللّقاء

كأنّ أوابد التّيران فيها # هجائن في مغابنها الطّلاء

لقد طالبتها و لكلّ شيء # و إن طاللت لجاجته انتهاء

و قد أغدو على شرب[4] كرام # نشاوى واجدين لما نشاء

لهم طاس[5] و راووق و مسك # تعلّ به جلودهم و ماء

الجواء: أرض. و يمن و القوادم: في بلاد غطفان. و الميث: جمع ميثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء. و السماء هاهنا: المطر. و السّانج: ما أقبل من شمالك يريد يمينك. و البارح: ضدّه. و قال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤية عن السانج و البارح فقال: السانج: ما ولاك ميامنه. و البارح: ما ولاك ميثائمه. و أجزبي: انفذي. قال الأصمعيّ: يقال أجزت الوادي إذ قطعته و خلّفته، و جزته: إذا سرت فيه فتجاوزته. و الأوابد: الوحشية. و الهجائن: إبل بيض. و المغابن: الأرفاغ، واحدها مغبن.

و مشمولة: سريعة الانكشاف. أخذه من الريح الشّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب[6]. و جعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيّتهم كانت سريعة، فأحرى ذلك مجرى الدّم، فهذه السّنج.

عنى في الأوّل و الثاني و السابع معبد ثقيلاً أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و ذكر عليّ بن يحيى أنّ للغريض فيها خفيف ثقيل. و ذكر حبش أنّ فيه للهدليّ ثاني ثقيل بالوسطى. و في الثالث و الرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر و هو: بنفسي من تذكره سقام # أعالجه و مطلبه عناء

في[7]هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه للغريض، /و غيره ينسبه إلى ابن سريج و إلى ابن عائشة. و في الرابع و الخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من عنائه.

[1]الحساء: في بلاد غطفان.

[2]ذو هامش: موضع في بلاد غطفان.

[3]عربتنا: اسم واد.

[4]رواية «الديوان» :

و قد أغدو على ثبة كرام

و الثبة: الجماعة من الناس.

[5]رواية «الديوان» : «لهم راح» .

[6]في الأصول: «لم تلبث أن تذهب» . و عبارة «لسان العرب» : «... و قال ابن السكيت: مشمولة سريعة الانكشاف، أخذه من أن الريح الشمال إذا هبت بالسحاب لم يلبث أن ينحسر و يذهب» .

[7]في الأصول: «و في» .

طلب من خاله بشامة و هو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورتك الشعر:

و قال ابن الأعرابيِّ حدّثني أبو زياد، و ذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصليّ عن حمّاد الرواية و عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: /و كان بشامة بن الغدير خال [زهير بن 1] أبي سلمى، و كان زهير منقطعا إليه و كان معجبا بشعره. و كان بشامة رجلا مقعدا و لم يكن له ولد، و كان مكثرا من المال، و من أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان لخنولتهم. و كان بشامة أحزم الناس رأيا، و كانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه و صدروا عن رأيه، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثر ماله. و كان أسعد غطفان في زمانه. فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته و بين بني إخوته. فأتاه زهير فقال: يا خاله لو قسمت لي من مالك!! فقال: و الله يا ابن أختي لقد قسمت لك أفضل ذلك و أجرله. قال: و ما هو؟ قال: شعري و رثتيه، و قد كان زهير قبل ذلك قال الشعر، و قد كان أوّل ما قال. فقال له زهير: الشعر شيء ما قلته فكيف تعتدّ به عليّ؟ فقال له بشامة: و من أين جئت بهذا الشعر! لعلك ترى أنّك جئت به من مزينة، و قد علمت العرب أن حصاتها و عين مائها في الشعر لهذا الحيّ من غطفان ثم لي منهم، و قد رويته [2] عني. و أحذاه [3] نصيبا من ماله و مات.

بشامة خاله شاعر مجيد و شيء من شعره:

و بشامة شاعر مجيد و هو الذي يقول:

صوت

أ لا ترين و قد قطعتني [4] قطعاً # ما ذا من الفوت بين البخل و الجود

إلا يكن ورق يوما أراح به # للخاطبين فإني لئن العود [5]

الغناء لإسحاق ثقيل أوّل بالبنصر، و قيل: إنه لإبراهيم.

طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعرا:

قال ابن الأعرابيِّ:

أمّ أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته، فولدت منه أولادا ماتوا، ثم تزوّج بعد ذلك امرأة أخرى، و هي أمّ ابنيه كعب و بجير؛ فغارت من ذلك و أدته، فطلقها ثم ندم فقال فيها: لعمرك و الخطوب مغيّرات # و في طول المعاشرة الثقالي

لقد باليت مطعن أمّ أوفى # و لكن أمّ أوفى ما تبالي[6]

[1]وضعنا هذه التكملة لما تقدّم في ص 309.

[2]يحتمل أن يكون: «و قد ورثته عني» .

[3]أحذاه: أعطاه.

[4]كذا في ب، س. و في سائر الأصول: «قطعني» بالنون. و يظهر أن الخطاب لزوجته أو للائمة تلومه في الكرم.

[5]يقال: راحت الريح الشيء إذا أصابته. و يقال: خبط الشجرة إذا شدها ثم نقض ورقها.

[6]في أ، م: «لا تبالي» .

فأما إذ نأيت فلا تقولي # لذي صهر أذلت و لم تذالي [1]
أصبت بني منك و نلت مني # من اللذات و الحلل الغوالي

عانت امرأة ابنه سالما فمات فرثاه:

و قال ابن الأعرابي:

كان لزهير ابن يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشعر. فأهدى رجل إلى زهير بردين [2]، فلبسهما الفتى و ركب فرسا له، فمرّ بامرأة من العرب بماء يقال له التّناءة [3]، فقالت: ما رأيت كالיום قط رجلا و لا بردين [2] و لا فرسا. فعثر به الفرس فاندقت عنقه و عنق الفرس و انشقّ البردان [2]. فقال زهير يرثيه: رأيت رجلا لاقى من العيش غبطة # و أخطاه فيها الأمور العظام

و شتّب له فيها بنون و توبعت # سلامة أعوام له و غنائم
/ فأصبح محبورا [4] ينظر حوله # بغبطته [5] لو أنّ ذلك دائم
و عندي من الأّبام ما ليس عنده # فقلت تعلّم أنّما أنت حالم [6]
/ لعلك يوما أن تراعى بفاع # كما راعني يوم التّناءة سالم

قال ابن الأعرابي:

هو و قومه شعراء:

كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، و كان أبوه شاعرا، و خاله شاعرا، و أخته سلمى شاعرة، و ابنه كعب و بجير شاعرين، و أخته الخنساء شاعرة، و هي القائلة ترثيه: و ما يغني توقّي الموت [7] شيئا # و لا عقد التّميم و لا الغضار

- و الغضار: كان أحدهم إذا خشى على نفسه يعلّق في عنقه خزفا أخضر-

إذا لاقى منيته فأمسى # يساق به و قد حقّ الحذار
و لاقاه من الأيام يوم # كما من قبل لم يخلد قدار [8]

و ابن ابنه المضرب [9] بن كعب بن زهير شاعر، و هو القائل:

[1] أذال المرأة: هزلها و أهانها. و في المثل: «أخيل من مذالة» و هي الأمة لأنها تهان و هي تتبختر من حمقها.

[2] في الأصول: «بردتين... البردتان» قال ابن سيده: البرد ثوب فيه خطوط و خص بعضهم به الوشي. و البردة: كساء يلتحف به، و قيل غير ذلك. (راجع «اللسان» في مادة برد) .

[3] التناءة: ماء لبني عميلة أو ماء لغني. و قال الحفصي. التناءة نخيلات لبني عطار. و يوم التناءة من أيام العرب. («معجم البلدان» لياقوت) .

[4] المحبور: المنعم. و منه قوله تعالى: **فِي رَوْصَةٍ يُحْبَرُونَ** أي ينعمون. و ينظر حوله أي ينظر حوله يمينا و شمالا.

[5] كذا في «معجم البلدان» في الكلام على التناءة. و في «الأصول» : «تغبطه» . و في «الديوان» بشرح ثعلب: «بمغبطة» . و لم ترد هذه الأبيات في «شرح الأعلام» .

[6] يخاطب ابنه. بقول: ما أنت فيه من السرور و الشباب بمنزلة الحلم.

[7] في «اللسان» (في مادة غضر) : «توقي المرء» .

[8] قدار: هو قدار بن سالف عاقر الناقة.

[9] في «شرح القاموس» (في مادة ضرب) : «و كمحدث (بكسر الدال المشددة) و معظم (بفتح الطاء المشددة) لقب عقبة بن كعب بن

إني لأحبس نفسي و هي صادية # عن مصعب و لقد بانتي لي الطُّرق
/رعوى[1]عليه كما أرعى على هرم # جدِّي زهير و فينا ذلك الخلق
مدح الملوك و سعي في مسرتهم # ثم الغنى و يد الممدوح تنطلق

ما امتاز به شعره و كان سبب تقديمه:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال:

من قدّم زهيراً احتجّ بأنه كان أحسنهم شعراً، و أبعدهم من سخف، و
أجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، و أشدّهم مبالغة في
المدح، و أكثرهم أمثالا في شعره.

مرثية ابنه سالم:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال:

كان لزهير ابن يقال له سالم، و كان من أمّ كعب بن زهير؛ فمات أو
قتل، فجزع عليه كعب[2]جزعا شديداً، فلامته امرأته و قالت: كأنه لم يصب
غيرك من الناس! فقال: رأيت رجلا لاقى من العيش غبطة # و أخطأه فيها
الأمور العظام

و شبّ له فيها بنون و توبعت # سلامة أعوام له و غنائم

فأصبح محبورا ينظر حوله # بغبطته لو أنّ ذلك دائم

و عندي من الأيّام ما ليس عنده # فقلت له مهلا فإنك حالم

لعلك يوما أن تراعي بفاجع # كما راغني يوم التّناءة سالم

صوت

عزفت و لم تصرم و أنت صروم # و كيف تصابي من يقال حليم

صدت فأطولت الصدود و لا أرى # وصالا على طول الصدود يدوم

/عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء: إذا تركته و أبته نفسك. قال
ابن الأعرابي: يقول لم تصرم صرم بتات. و لكن صرمت صرم دلال. و
أطولت الصدود أي أطلته. و إنما قال هذا ضرورة[3]. الشعر للمزار بن
سعيد الفقعسيّ. و الغناء لإسحاق رمل.

-زهير. و بالوجهين ضبط في نسخة الصحاح». و في كتاب «الشعر و
الشعراء» أنه شُبه بامرأة من بني أسد فقال: و لا عيب فيها غير أنك واجد
ملاقيها قد ديثت بركوب

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت و أخذ الدية، فسمي
المضرب.

[1]رعى عليه: أي بقيا عليه؛ يقال: أرعى فلان على فلان إذا أبقى
عليه.

[2]تقدم في ص 313 أن هذا الشعر قاله زهير في ابنه سالم.

[3]في «لسان العرب» (في مادة طول): «و أطلت الشيء و أطولت
على النقضان و التمام بمعنى المحكم: و أطال الشيء و طوَّله و أطوله:
جعله طويلا. و كأن الذين قالوا ذلك إنما أرادوا أن ينهبوا على أصل الباب.
قال: فلا يقاس هذا إنما يأتي للتنبيه على الأصل» .

13- ذكر المرّار و خبره و نسبه

نسبه و كان قصيرا ضئيل الجسم:

هو المرّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشيم بن جحوان[1] بن فقّس بن طريف بن عمرو بن قعين[2] بن الحارث بن ثعلبة[3] بن ذودان[4] بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. و أمّ المرار بنت مروان بن منقذ[5] الذي أغار على بني عامر بثهلان[6] فقتل منهم/مائة بحبيب بن منقذ[5] عمّه[7]، و كانوا قتلوه.

و كان المرّار قصيرا مفرط القصر ضئيل الجسم. و في ذلك يقول:
عدّوني الثعلب عند العدد # حتى استثاروا بي إحدى الإحد[8]

ليثا هزبرا ذا سلاح معتدي[9] # يرمي بطرف كالحرّيق الموقد

كان يهاجي المساور بن هند:

و كان يهاجي المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسيّ. و فيه يقول المرّار: شقيت بنو سعد بشعر مساور # إنّ الشقيّ بكلّ جبل يخنق

و المساور القائل فيه:

[1] كذا في جـ و هو الصحيح كما في «شرح القاموس» (في مادة جحو). و في «سائر الأصول»: «هوازن» و هو تحريف.

[2] كذا في حـ. و في سائر الأصول: «معين» بالميم و هو تحريف.

[3] في جميع الأصول: «تغلب». و التصويب عن «شرح القاموس» (في مادتي قعن و جحو).

[4] كذا في أ، م و «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي و قد أورده في باب الذال المعجمة مع الواو. و في سائر الأصول: «دودان» بالذال المهملة.

[5] كذا في حـ. و في أ، م: «منقذ» بالذال المهملة. و يظهر أنه مصحف عن منقذ بالذال المعجمة إذ لم يسم بهذا الاسم. و في ب، س: «منقر» بالراء المهملة.

[6] تهلان: جبل ضخم بالعالية عن أبي عبيدة. و قال نصر: تهلان جبل لبني نمير بن عامر بن صعصعة بناحية الشريف به ماء و نخيل.

(عن «معجم البلدان» لياقوت).

[7] يلاحظ أنه أخوه لا عمه إلا أن يكون منقذ جدّ مروان و سقط اسم أبيه.

[8] إحدى الإحد: الأمر المنكر الكبير. قال الشاعر: بعكاظ فعلوا إحدى الإحد

و إحدى الإحد الداهية. يقول: حسبوني من عداد الثعالب عند لقاء الأبطال أروغ عنهم و لا أكافهم حتى استثاروا مني داهية.

[9] المعتدي: وصف من العدوان إلا أنه وقف على لغة ربيعة في تسكين المنصوب. و في الأصول: «معند» بالنون و بدون ياء.

و يحتمل أن يكون مصحفا عن «معند» وصف من أعتد الشيء إذا هياه و أعدّه، و على هذا يكون وصفا للسلاح. و يرمي بطرف كالحرّيق الموقد: أراد أن عينه في غضبه حمراء كالنار الموقدة الملتهبة. (راجع «لسان العرب» في مادة أحد، «و خزانة الأدب» للبغدادي ج 3 ص 293 و 294).

ما سرّني أنّ أمّي من بني أسد # و أنّ ربّي ينجيني من النار
أو أنّهم زوّجونني من بناتهم # و أنّ لي كلّ يوم ألف دينار

من مخزومي الدولتين أغار هو و أخوه بدر على بني عبس و نهبا إبلهم فحبسهما الوالي:

و المرّار من مخزومي الدولتين. و قد قيل: إنّّه لم يدرك الدولة
العباسيّة.

و قال هذه القصيدة و هو محبوس. ذكر محمد بن حبيب عن ابن
الأعرابي عن المفصل و الكوفيّين: أنّ المرّار بن سعيد كان أتى حصين بن
برّاق من بني عبس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدّث نساءهم و ينشدهنّ
الشعر. فنظروا إليه و هم مجتمعون على الماء فظنّوا أنّه يعظهنّ. ثم
انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال. فقال له بعضهم: أنت يا
مرّار تقف على أبياتنا و تنشد النساء الشعر! فقال: إنّما كنت أسألهنّ.

فجرى بينه و بينهم كلام غليظ، فوثبوا عليه و ضربوه و عقروا بغيره؛
فانصرف من عندهم إلى بني فقعس فأخبرهم الخبر، فركبوا معه حتى أتوا
بني عبس فقاتلوهم فهزموهم، و فقأت بنو فقعس من بني عبس عينا و
قتلوا رجلا ثم انصرفوا. فحمل أبو شدّاد النّصريّ لبني عبس مائتي بغير و
غلّظوا عليهم في الدّية. ثم إنّ بدر بن سعيد أبا المرّار قال: قد استوفت
عبس حقّها، فعلام أترك ضرب أخي و عقر جملة! فخرج حتى أتى جمالا لبني
عبس في المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف. فقال للمرّار: إنّّه و الله
ما يقنع بهذا و لكن اخرج بنا. فخرجا حتى أغارا على إبل لبني عبس فطرداها
و توجهتا بها نحو تيماء[1]. فلمّا كانا في بعض الطريق انقطع بطان راحلة
بدر/فندر[2] عن رحله. فقال له المرّار: يا أخي أطعني و انصرف ودع هذه
الإبل في النار، فأبى عليه. ثم سارا، فلمّا كانا في بعض الطريق عرض لهما
ظبي أعصب[3] أحد القرنين. فقال المرّار لبدر: قد تطيّرت من هذا السفر،
و لا و الله ما نرجع من هذا السفر أبدا، فأبى عليه بدر. فتفرّقت عبس
فرقتين في طلب الإبل، فعمدت فرقة إلى وادي القرى[4]، و فرقة إلى
تيماء؛ فصادفوا الإبل بتيماء تباع، فأخذوا المرّار و بدرا فرفعوهما إلى الوالي.
و عرفت سمات عبس على الإبل فدفعت إليهم، و رفع المرّار و أخوه إلى
المدينة فضربا و حبسا، فمات بدر في الحبس.

فكلّمت عدّة من قريش زياد بن عبد الله النّصريّ في المرّار فخلّاه. و
قال في حبسه: صرمت و لم تصرم و أنت صروم

و هي طويلة.

مات أخوه بدر في الحبس فرثاه:

و قال يرثي أخاه بدرا:

ألا يا لقومي للتَّجُدِّدِ و الصبر # و للقدَّر السَّارِي إليك و ما تدري

/و للشيء تنساه و تذكر غيره # و للشيء لا تنساه إلاَّ على ذكر

[1] تيماء: بليد في أطراف الشام بين الشام و وادي القرى على طريق
حاج الشام و دمشق.

[2] ندر عن رحله: سقط.

[3] الأعضب: المكسور.

[4] وادي القرى: واد بين المدينة و الشام من أعمال المدينة كثير
القرى.

و ما لكما بالغيب علم فتخبرا # و ما لكما في أمر عثمان من أمر

و هي طويلة، يقول فيها:

ألا قاتل الله المقادير و المنى # و طيرا جرت بين السعافات[1] و الحبر[2]

و قاتل تكذيبي[3] العيافة بعد ما # زجرت فما أغنى اعتيافي و لا زجري

/تروّح فقد طال التواء و قضيت # مشاريط كانت نحو غايتها تجري

-المشاريط: العلامات و الأمارات-

و ما لقفول[4] بعد بدر بشاشة # و لا الحيّ آتيهم و لا أوبة السفر

تذكرني بدرا زعاع حجرة[5] # إذا عصفت إحدى عشياتها الغبر

-الزعاع: الشديدة الهبوب. و الحجرة[5]: السنة الشديدة-

إذا شولنا[6] لم نؤت منها بمحلب # قرى الصيف منها بالمهتد ذي الأثر

و أضيفنا إن نبهونا ذكرته # فكيف إذا أنساه غابرة الدهر

إذا سلّم الساري تهلّل وجهه # على كل حال من يسار و من عسر

تذكرت بدرا بعد ما قيل عارف[7] # لما نابه يا لهف نفسي على بدر

إذا خطرت منه على النفس خطرة # مرت[8] دمع عيني فاستهلّ على نحري

و ما كنت بكاء و لكن يهيج[9] لي # على ذكره طيب الخلائق و الخبر

أ عينيّ إني شاكر ما فعلتما # و حقّ لما ألبتmani بالشكر

سألتكما أن تسعداني فجدتما # عوانين[10] بالتسجام باقيتي[11] قطر

[1] في «معجم البلدان»: «السعافات بضم أوله و بعد الألف فاء و

آخره تاء مثناة من فوق موضع في قول المرار». و استشهد بهذا البيت.

[2] الحبر (بالكسر ثم السكون): اسم واد، كذا ذكره ياقوت في

«معجم البلدان» و استشهد بأبيات من هذه القصيدة. و في الأصول:

«الحجر» بالجيم.

[3] في ياقوت: «و قاتل تريب العيافة» .

[4] في حـ: «و ما لقفولي» .

[5] في الأصول: «حجرة» بتقديم الحاء المهملة على الجيم و هو

تصنيف. و في ياقوت: «لزبة» و سنة لزبة: شديدة.

[6]الشول: جمع شائلة، و هي من الإبل ما أتى عليها من وضعها أو حملها سبعة أشهر فارتفع ضرعها و خف لبنها. و المحلب: إناء يحلب فيه. و الأثر (بالفتح و بالكسر و بضمّتين) : فرند السيف و رونقه. و رواية هذا البيت في كتاب «الشعر و الشعراء» . ص 441 طبع.

أوريا: «إذا شولنا لم نسع فيها بمرفد... إلخ» .

[7]عرف للأمر: صبر.

[8]مرت دمع عيني: أرسلته و أسبلته. و استهل: سال.

[9]في ب، س: «يهيجني» .

[10]العوان: النصف في سنها من كل شيء. و الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأولى بكرا. و الحرب العوان هي أشد الحروب. فلعله يريد أن عينيه سجمتا الدمع أي أسالتاه مرة بعد أخرى.

[11]كذا في كتاب «الشعر و الشعراء» . و وردت هذه الكلمة في الأصول مصحفة، ففي بعضها: «يا قنتي» و في بعضها الآخر: «يا قبتي» .

/

فلما شفاني اليأس عنه بسلوة # و أعذرتما لا بل أجلّ من العذر
 نهيتكما أن تسهراني[1] فكنتما # صبورين بعد اليأس طاويتي غير
 يقول: طويتما أغبار دمعكما. و الأغبار: البقايا كأغبار اللّبن.

خرج حاجا و أضافه قرشي بالأبطح:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني رجل عن
 واصل بن زكريّا بن المرّار أنّ المرّار قال: خرجت حاجّا فأنخت بناحية
 الأبطح، فجاء قوم فنحّوني عن موضعي و ضربوا فيه قبة لرجل من قريش.
 فلما جاء و جلس أتيته فقلت:

هذا فعودي باركا بالأبطح # عليه عكما[2] أكرم[3] لم تفتح

فقال: و ما قصّتك؟ فأخبرته. فقال: و الله لا تفتح منهما شيئا حتى
 تنصرف، فأقم معنا، يدك مع أيدينا، و قعودك مع أباعرنا [4]. فو الله ما
 فتحت العدلين حتى انصرفت بهما إلى أهلي. فما هجاني أحد قط هجاءه.

حبس هو و أخوه بدر، و شعره في الحبس:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي
 عبيدة قال أخبرني أبو موهب رتيل الزبيري أحد بني زبير بن عمرو بن قعين
 قال: كان المرّار بن سعيد و أخوه بدر لصّين، و كان بدر أشهر منه بالسرقه
 و أكثر غارات على الناس. فأغار بدر على ذود[5] لبعض بني غنم بن
 ذودان[6] فطردها، فأخذ/و رفع إلى عثمان بن حيّان/المريّ، و هو يومئذ على
 المدينة فحبسه. و طرد المرّار طريده فأخذ معها و هو يبيعها بوادي القرى أو
 بريمة[7]، فرفع إلى عثمان بن حيّان فحبسه. قال: فاجتمعا و مكثا في
 السجن مدّة؛ ثم أفلت المرّار و بقي بدر في السجن حتى مات محبوسا
 مقيدا.

فقال المرّار و هو في الحبس:

أنا بدت من كوة السّجن ضوأها[8] # عشية حلّ الحيّ بالجرع[9] العفر

[1] في كتاب «الشعر و الشعراء»: «أن تشمتا بي» .

[2] العكم: العدل و هو الغرارة.

[3]أكمر: جمع كمر (بكسر الكاف و سكون الميم) نحو ذئب و أذؤب. و هذا الجمع سماعي في مثل هذا الوزن. و الكمر من البسر: ما لم يرطب على نخلة و لكنه سقط فأرطب على الأرض.

[4]كذا في أ، م. و في سائر الأصول: «أقاعدنا» و هذا الجمع لم يرد في «كتب اللغة» في جمع قعود.

[5]الذود: ثلاثة أبعرة إلى التسعة، و قيل إلى العشرة، و قيل غير ذلك. و لا يكون إلا من الإناث. و هو واحد و جمع كالفلك.

[6]راجع الحاشية رقم 4 ص 317 و غنم هو أخو ثعلبة المذكور في تلك الصفحة. (راجع كتاب «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» للسويدي ص 58 طبع بغداد سنة 1270 هجرية) .

[7]برمة (بكسر أوله) : عرض من أعراض المدينة بين خيبر و وادي القرى.

[8]كذا في الأصول، بتأنيث الفعل لإضافة الفاعل إلى ضمير المؤنث.

[9]كذا في ح بالراء المهملة. و الجرع بالتحريك: جمع جرعة بالتحريك أيضا و هي هنا الرملة العذاة الطيبة التي لا وعوثة فيها. و في سائر الأصول: الجرع بالزاي المعجمة و هو تصحيف.

عشيّة حلّ الحيّ أرضاً خصيبة # يطيب بها مسّ الجنائب[1] و القطر
 فيا ويلتا[2] سجن اليمامة أطلقا # أسيركما ينظر إلى البرق ما يفري[3]
 فإن تفعلأ أحمد كما و لقد أرى # بأنكما لا ينبغي لكما شكري
 و لو فارقت رجلي القيود وجدتنني # رفيقا بنصّ العيس[4] في البلد القفر
 جديرا إذا أمسى بأرض مضلّة[5] # بتقويمها حتى يرى وضح الفجر

خاصم رجلا من قومه و سابه، و قال في ذلك شعرا:
 و قال أبو عمرو الشيبانيّ:

كان بين المرّار بن سعيد و بين رجل من قومه لحاء، فتقاذفا و تسابّا،
 ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك:

صوت

أ لم تربع فتخبرك المغاني # فكيف و هنّ مذ حجج ثمان

برئت من المنازل غير شوق # إلى الدار التي بلوى أبان[6]

لإسحاق في هذين البيتين هزج بالخنصر في مجرى البنصر من كتاب
 ابن المكيّ.

كان أخوه بدر شاعرا، و شيء من شعره:
 و كان بدر بن سعيد[7] أخو المرّار شاعرا و هو الذي يقول:

صوت

يا حبّذا حين تمسي الريح باردة # وادي أشيّ[8] و فتیان به هضم[9]

مخدّمون كرام في مجالسهم # و في الرّحال إذا لاقيتهم خدم

[1] الجنائب: جمع جنوب و هي الريح التي تقابل الشمال. و منه إذا
 جاءت الجنوب معها خير و تلقيح.

[2] هكذا في جميع الأصول: و يا ويلتا بمعنى يا فضيحتا. و قد أشكل
 علينا مرجع الضمير المثنى في قوله «أطلقا أسيركما». و لهذا يحتمل أن
 تكون هذه الكلمة محرفة عن مثل قوله «فيا حارسي سجن اليمامة» أو نحو
 ذلك.

[3] يفري: يشق؛ و البرق يشق الظلام.

[4] نصّ العيس: استحثّاتها و استقصاء آخر ما عندها من السير.

[5] أرض مضلة (بفتح الصاد و تكسر) : يضل فيها الطريق.

[6] أبان: يطلق على موضعين هما أبان الأبيض و أبان الأسود. فالأبيض شرقي الحاجر فيه نخل و ماء و هو لبني فزارة و عبس.

و الأسود: جبل لبني فزارة خاصة، و بينه و بين الأبيض ميلان. (عن «معجم البلدان» لياقوت) .

[7] في «لسان العرب» (في مادة هضم) و «معجم البلدان» في الكلام على أشي و شعوب و نغم أن قائله زياد بن منقذ. و في «شرح الحماسة» للتبريزي طبع أوربا ص 608 أن قائله زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث و يقال زياد بن منقذ. و مثله في «لسان العرب» (في مادة أشي) غير أنه ورد فيه: «زياد بن حمد» بالدال محرفا.

[8] أشي: موضع بالوشم. و الوشم: واد باليمامة؛ ذكر ذلك ياقوت و استشهد بالأبيات.

[9] هضم: جمع هضوم. و فتیان هضم: يهضمون المال أي يكسرونه و ينفقونه.

و ما أصحاب من قوم فأذكرهم # إلا يزيدهم حبا إليهم [1]

الغناء لابن محرز ثاني ثقل بالخنصر و البنصر عن ابن المكي. و فيه لمتميم خفيف رمل. و ذكر حبش، أن الثقل للهللي. و فيه لمحمد بن الحارث بن بسخر ثقل أول عن الهشامي.

صوت

صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجن في حبال متينة # تمدّ بها أيد إليك نوازع

فإن كنت لا ذا الصغن عني مكذبا # و لا حلفي عند البراءة نافع

فإنك كالليل الذي هو مدركي # و إن خلت أن المنتأى عنك واسع

عروضه من الطويل. يقول: أنا في قبضتك متى شئت قدرت عليّ كأني في خطاطيف تجذبني إليك و لا أقدر على الهرب منك. و يروي «و إن خلت أن المنتوى» أي الموضع الذي أنتوي قصده. و المنتأى: المفتعل من النأي و الحجن: المعوجة. و التوازع: الجواذب. و الصغن: الحقد.

الشعر للنابغة الديباني. و الغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق و عمرو ما خوري بالبنصر.

انتهى الجزء العاشر من كتاب الأغاني و يليه الجزء الحادي عشر و أوله أخبار النابغة و نسبه [1] ارتفع «هم» الأخير بيزيد. و قد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل؛ لأنه كان الوجه أن يقول إلا يزيدونهم حبا إليّ؛ و مثله لطفة: أصرمت جبل الحي إذ صرموا # يا صاح بل صد؟؟؟ لوصال هم

(عن «شرح ديوان الحماسة» للتبريزي).

فهرس موضوعات الجزء العاشر

الموضوع الصفحة

- أخبار دريد بن الصمة و نسبه 243
- أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن و غيره من الأغاني 269
- أخبار إبراهيم بن العباس و نسبه 271
- صنعة أولاد الخلفاء الذكور منهم و الإناث 290
- أخبار مروان بن أبي حفصة و نسبه 292
- بعض أخبار إبراهيم بن المهدي 308
- أخبار أبي النجم و نسبه 344
- أخبار علية بنت المهدي و نسبها و نتف من أحاديثها 353
- أخبار أبي عيسى بن الرشيد و نسبه 370
- و ممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء: عبد الله بن موسى الهادي 375
- و ممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء: عبد الله بن محمد الأمين 378
- أخبار عبد الله بن محمد و نسبه 379
- و ممن صنع من أولاد أبو عيسى بن المتوكل 382
- أخبار علي بن الجهم و نسبه 383
- و من صنعة أبي عيسى بن المتوكل 406
- أخبار أبي دلامه و نسبه 407
- أخبار عبد الله بن المعتز 434
- أبيات من معلقة زهير 442
- نسب زهير و أخباره 443
- ذكر المزار و خبره و نسبه 462
- فهرس موضوعات الجزء العاشر 469